جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

إعداد الطالب
عمر فارس الكفاوين

إشراف
الدكتور فايز القيسي

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجـــــــة
الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب عمر فارس الكفاوين الموسومة بـــ:

صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
د. فايز عبدالنبي القيسي		2006/12/27	مشرفاً ورئيسا
أ.د. محمد علي الشوابكة		2006/12/27	عضواً
أ.د. علي ارشيد المحاسنة		2006/12/27	عضواً
أ.د. صلاح محمد جرار	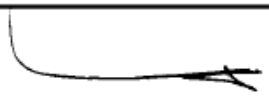	2006/12/27	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى أبي وأمي ..... برّاً بهما .

إلى إخوتي جميعاً .

إلى أرواح أولئك الذين فقدتهم وبقوا في ذاكرتي :

أخي يوسف ..... رحمه الله .

صديقيّ رافع ومحمد ..... غفر الله لهما .

إلى أخي الذي لم تلده أمي :

عثمان محمد ..... أطال الله في عمره .

أهدي هذا الجهد المتواضع .

عمر الكفاوين

شكر وتقدير

يسرني أن أتقدم بعميق الشكر والعرفان إلى الدكتور فايز القيسي الذي كان لي منذ البداية خير المرشد والعون على تحمل عناء هذه الرسالة، فقدّم لي الكثير من علمـــه الوافر وأحاطني بنور علمه ونصائحه، فله من الله كل الخير والعرفان .

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل : الأستاذ الدكتور صلاح جرّار، والأستاذ الدكتور محمد الشوابكة ، والأستاذ الدكتور علي المحاسنة، لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة، وتحملهم عناء قراءتها وتقويمها، وإغنائها بوافر علمهم الغزير، فلهم كل الشكر والامتنان .

عمر فارس الكفاوين

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	جـ
الملخص باللغة العربية	هـ
الملخص باللغة الإنجليزية	و
المقدمة	1
الفصل الأول : مكانة الخيل في المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين	4
1.1 دواعي الاهتمام بالخيل	14
2.1 الخيل في الحرب ودورها في المعركة	23
3.1 الخيل في السفر والتنقل والركوب	34
الفصل الثاني : الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين	40
1.2 الخيل ضمن قصائد مستقلة	41
2.2 الخيل ضمن الأغراض الشعرية	48
1.2.2 المدح	49
2.2.2 الرثاء	58
3.2.2 الغزل	63
4.2.2 الشعر الحماسي (شعر الحرب)	68
5.2.2 شعر الطبيعة	74
الفصل الثالث : صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين	80
1.3 صفات الخيل الحسية	81
1.1.3 الوصف الجزئي لأعضاء الخيل	81

2.1.3 وصف منظر الخيل العام 91
2.3 صفات الخيل المعنوية 101
الفصل الرابع : الصورة الفنية للخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين 106
1.4 عناصر الصورة 108
1.1.4 اللون 108
2.1.4 الحركة 115
3.1.4 الصوت 122
2.4 مصادر الصورة 125
1.2.4 البيئة الأندلسية 127
2.2.4 الموروث الثقافي 133
1.2.2.4 أثر النص الديني 133
2.2.2.4 التأثر بالمشارقة 141
3.2.4 تجربة الشعراء الذاتية 150
3.4 الخصائص الفنية 154
1.3.4 الابتكار والتجديد 155
2.3.4 النسيج اللغوي (التعابير والألفاظ) 162
3.3.4 جمال التعبير ودقة التصوير 169
الخاتمة 179
المصادر والمراجع 184

الملخص

صورة الخيل في الشعر الأندلسي
في عصري الطوائف والمرابطين

عمر فارس الكفاوين

جامعة مؤتة ، 2006م

تتناول هذه الدراسة صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين، حيث كُثر وصف الخيل عند الشعراء في هذه الفترة، فأصبح جزءاً مهماً من موضوعات شعر الوصف وخاصة وصف الطبيعة الحية .

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع تطور صورة الخيل في الشعر الأندلسي في هذه الفترة، والوقوف على هذه الصورة في دواوين الشعراء وكتب الأدب الأندلسي والمجاميع الشعرية العامة، ودراسة البناء الفني لصورة الخيل من حيث الإيقاع واللغة والأسلوب، والوقوف على مصادر هذه الصورة وتحليل عناصرها .

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ففي المقدمة تحدثت عن سبب اختياري هذا البحث ومنهجي في كتابته .

ودرست في الفصل الأول مكانة الخيل في المجتمع الأندلسي في عصر الدراسة وأهميتها ودواعي الاهتمام بها ودورها في الحروب والسفر وسبل الحياة الأخرى .

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الخيل في الشعر الأندلسي في فترة الدراسة، وكيفية معالجتها في هذا الشعر، من حيث وصفها ضمن قصائد مستقلة أو ضمن الأغراض الشعرية كالمديح والرثاء والغزل وشعر الطبيعة والشعر الحماسي .

وتحدثت في الفصل الثالث عن صورة الخيل الحسية، ووصف أعضائها بشكل تفصيلي أو وصف منظرها العام والحديث عن صفاتها المعنوية .

وناقشت في الفصل الرابع صورة الخيل الفنية المتمثلة بعناصرها ومصادرها وأبرز خصائصها .

أما الخاتمة فقد ضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

Abstract

The Image of Horses in Andalusia Poetry during the Period of Petty-Kings and Almoravides

Omar Faris Al-Kfaween

Mu'tah University, 2006

This study traced the image of the horses in Andalusian poetry during the era of petty-Kings and Almoravides, and payed attention to the style and artistic aspects for the privacy of this image within Andalusian poetry and the most creative and renovation features.

This study consists of and introduction, four chapters and conclusion.

In the first chapter the study discusses the importance of the horses in Andalusian society from several aspects.

The second chapter deals with various aspects of the description of horses in Andalusian poetry in terms of content.

The third chapter deals with the attributes of the beauty of horses as portrayed by Andalusian poets.

The fourth chapter tackles the artistic features for the privacy of the image of horses within Andalusian poetry and the most creative and renovation features.

In the conclusion the researcher includes the result of his research work.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف رسل الله، وعلى آله وصحبه الأجواد، ما تسابقت الجياد، ودام بفرض الجهاد وضمرت الخيل للطراد، وسلم تسليماً إلى يوم التناد .

فقد ازدهر الشعر في الأندلس في عصري الطوائف والمرابطين ازدهاراً كبيراً، حيث كان وافراً غزيراً، يتغلغل في كل ناحية من نواحي الحياة في المجتمع الأندلسي، ويقبل عليه الناس بمختلف فئاتهم وطبقاتهم إقبالاً شديداً . كما أنه حظي بتقدير السلاطين والأفراد ورجال الدولة واهتمامهم، بل إن كثيراً من هؤلاء السلاطين ورجال الدولة كانوا هم أنفسهم شعراء مجيدين .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النتاج الشعري كان نتيجة لعوامل عدة أدت إلى تشكيله، فتلك الأحداث السياسية التي عمّت الأندلس، وما رافق ذلك من تيارات فكرية وأدبية واجتماعية، تعدّ من أبرز العوامل التي أدت إلى تكوين هذا الشعر، إضافة إلى العوامل البيئية والطبيعية في الأندلس، التي أسهمت في انتشار أغراض الشعر وموضوعاته وخصائصه الفنية .

وقد كان وصف الطبيعة من الموضوعات الشعرية التي توسع بها الأندلسيون، وأبدعوا فيها متأثرين بعوامل وأحداث إقليمية شهدتها بلادهم . وكانت الخيل جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة الأندلسية؛ لذا فإن الشعراء قد ركّزوا في كثير من أشعارهم على وصف الخيل، والحديث عنها لأهميتها وصلتها بحياة الإنسان الأندلسي، وذكرياته وعاداته وطبائعه، التي لا تبعد كثيراً عن طبائع أهل المشرق وعادتهم في أصولها وقواعدها الأساسية .

وكان للخيل مكان خاص في حياة المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين، فقد قامت بدور كبير في الحياة الاجتماعية والعسكرية في تلك الفترة؛ ذلك أنها كانت أداة القتال الرئيسة في الصراع مع الإسبان؛ لذا حظيت باهتمام الشعراء وشكلت جزءاً مهماً من موضوعات شعر الوصف وخاصة وصف الطبيعة الحية . وقد شغل وصفها حيزاً واضحاً في دواوين الشعراء المشهورين كابن زيدون

وابن حمديس وابن خفاجة والأعمى التطِيلي وغيرهم من الشعراء المعروفين في عصري الطوائف والمرابطين .

واللافت للنظر أن صورة الخيل لم تحظَ باهتمام كبير لدى دارسي الأدب الأندلسي، ومعظم ما نجده لا يتعدى إشارات متناثرة عند عدد من الباحثين؛ لذا سعت هذه الدراسة إلى تناول صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال تحقيق الأهداف الآتية : تتبع تطور صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين، والوقوف على هذه الصورة في الدواوين المفردة والمجاميع الشعرية العامة وكتب الأدب الأندلسي، والوقوف على مصادر الصورة الشعرية للخيل، وتحليل مفردات هذه الصورة وعناصرها الفنية والمضمونية، والكشف عن دور الخيل في تطور شعر الوصف عند الأندلسيين، ودراسة التشكيل الفني لصورة الخيل من حيث البناء والإيقاع واللغة والأسلوب .

وقد جاءت مادة هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية دراسة صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين، وأسباب اختيارها والمنهج العلمي الذي اعتمده الباحث في تناولها .

وتناول الفصل الأول الحديث عن مكانة الخيل في المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين وأهميتها، ودواعي الاهتمام بها، ودورها في الحروب والمعارك، وأهميتها في السفر والتنقل والركوب .

أما الفصل الثاني فقد تناول الحديث فيه الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرايطين، والنظر في بناء القصيدة الوصفية للخيل من حيث وضعها العام والمعالجة التي تمّ بها الوصف، وكانت على نوعين : أن تدور القصيدة كلها في الخيل ، أو أن يأتي الحديث عن الخيل ضمن أغراض وموضوعات أخرى كالمدح والرثاء والغزل والشعر الحماسي وشعر الطبيعة .

وتناول الفصل الثالث صورة الخيل من خلال الحديث عن صفات الخيل الحسية والمعنوية، ووصف أعضاء الخيل ومنظرها العام، فقد جاء وصفهم لهذا الحيوان على جانب كبير من الدقة والتفصيل، فقد وصفوه حسياً، ووصفوه وصفاً معنوياً، وأكثروا من عرض الصور وجزئيات المشاهد في كلا الناحيتين .

أما الفصل الرابع فقد بسط القول في الحديث عن الصورة الفنية للخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين، وأبعادها المتمثلة بعناصر هذه الصورة كاللون والصوت والحركة، والمصادر التي أدت إلى تشكيل هذه الصورة كالبيئة الأندلسية، والموروث الثقافي، وتجربة الشعراء الذاتية، وأخيراً جاء الحديث عن أبرز الخصائص الفنية لصورة الخيل كالابتكار والتجديد، واللغة وجمال التعبير ودقة التصوير .

أخيراً فإنني حرصت ــ قدر المستطاع ــ خلال معالجة موضوعات هذه الدراسة، على أن أجعل النص الأدبي أساس النظر ومحل التأمل والمتابعة، ومنطلق بناء الأحكام وتسجيل وجهات النظر، آملاً أن يكون هذا الجهد المتواضع قد أسهم ولو بشيء قليل في خدمة التراث العربي الإسلامي في الأندلس .

وعلى الرغم من هذا أعترف أن هذه هي أول محاولة لي في مجال البحث والدراسة، وأنني ما زلت في بداية الطريق، وأن هذا البحث لا يخلو من الزّلات والهفوات والحاجة إلى ملاحظات الدارسين والباحثين الفضلاء من الأساتذة والمتخصصين . فأرجو من أساتذتي الكرام أن ينظروا إلى هذا العمل بعين الرّضا والصّفح عمّا فيه من قصور، ولهم الأجر من عند الله، فالكمال لله وحده . ومنه جلّ وعلا نسأل العون والتوفيق والسّداد في القول والعمل . والحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

مكانة الخيل في المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

لقد استأثرت الخيل بحب الأندلسيين منذ أقدم العهود، فهي موجودة في الأندلس قبل مجيء المسلمين إليها، حتى إن الفاتحين _ كما يحدثنا التاريخ _ قد حصلوا على عدد كبير من الخيل في أعقاب معركة وادي لكة التي خاضوها ضد الأسبان، وانتهت بالفتح الذي يعدّ بداية للدولة الإسلامية في الأندلس .

يقول أحد المؤرخين بعد أن ذكر المعركة الفاصلة :

" ... وأقبل يليان إلى طارق فقال له : قد فرغت بالأندلس وهؤلاء أدلاء من أصحابي فرق معهم جيوشك وخذ أنت إلى طليطلة، ففرق جيوشه من استجة فبعث مغيثاً الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة وكانت من أعظم مداينهم وهي اليوم قصبة الأندلس وقيروانها وموضع ملكها في سبعمائة فارس لم يبعث معه راجلاً واحداً ولم يكن بقي من المسلمين راجل إلا ركب " [1] .

يستشف من الكلام السابق أن المسلمين عندما فتحوا الأندلس بقيادة طارق ابن زياد كانت الخيل تعيش فيها، هذا بالإضافة إلى تلك الخيل العربية التي جلبها المسلمون معهم، التي بقيت سلالتها إلى أبعد العصور ومن ضمنها عصرا الطوائف والمرابطين اللذين نحن بصدد دراستهما.

لقد أحبّ الأندلسيون في عصري الطوائف والمرابطين وفي جميع العصور الخيل، وأعطوها أهمية كبيرة في حياتهم؛ لأنها موضع فخرهم واعتزازهم ودعامة هامة من دعائم حياتهم، لما تؤديه من خدمات لا يستطيع سواها أن يقوم بها، ومن هنا كان لا بدَّ من الاعتناء بها عناية شديدة، فهي أداة الإنسان الأندلسي في حربه وسلمه، ولها العديد من المنافع وهي رمز لعزة العربي وبهائه.

---

[1] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص19_20 .

يقول الجاحظ : " وأما الخيل، ففيها من خصال الشرف والمنافع والغناء في السفر والحضر، وفي الحرب والسلم، وفي الزينة والبهـــــاء، وفي العـــدة والعتاد " [1]

ربما كان الجاحظ يقصد بذلك الخيل المشرقية، ولكن مقولته تنطبـق علـى كـل الخيل، ففي الأندلس كانت الحاجة إليها ملحة كيف لا والأندلسـيون أهـل حـــرب وسفر.

إن الأندلسي لم يكن يكرم شيئاً ويصونه ويحافظ عليه مثلما كان يحافظ على فرسه وحصانه، لذلك كان ذكرها ووصفها والاستفاضة في الحديث عنها يتردد على ألسنة الشعراء والأدباء، فهي الصديق الحميم لصاحبها في وقت الشدة والرخاء لذلك أحبها وأعزها، يقول عباس الصالحي :

" فقد شغف العربي بفرسه، فوجد فيها صديقاً حميماً ينجده في الشدة والرخاء " [2] .

فالأندلسي يفخر بخيله ويفضلها على المال والولد فهي التي تنقلـه وتسـافر بـه وتطوف به أرجاء البلاد وهي التي تحارب معه في حربه ومعاركه وهي التي يتباهى بها في الأعياد والسباقات، فهي تعيش معه وتشاركه في حياته؛ لذلك فلـيس من الممكن أن يتركها الأدباء والشعراء دون الحديث عنها، فقد أكثروا مـن ذلـك، والمتأمل للأشعار والقطع النثرية للأندلسيين يجد أنها تتناول وبشـكل لـيس قلـيلاً موضوع الخيل، فقطعهم الوصفية لا تكاد تخرج عـن " أحيـاء عايشـت الإنسـان وشاركته بيئته كالخيول ..." [3]، فالخيل تعايش الإنسان وتشاركه في جميع منـاحي حياته .

ولم يزل الأندلسي أزماناً بعيدة ودهوراً طويلة يفخر بخيله، ويعتني بهـا ويبـاهي بأنسابها، ويقدمها على أمواله ونفسه وأهله؛ لأنها حصنه الحصين في أوقات الشدة ومطيته السريعة في سفره، ولها فضائل عديـدة تميزهـا عـن سـائر البهـائم

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/ 868م)، الحيوان، تحقيق عبـد السـلام هـارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1968م، ج7، ص120.

[2] الصالحي، عباس مصطفى، الصيد والطرد في الشعر العربي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981م، ص142 .

[3] حميد، بدير متولي، قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، 1964م، ص133 .

والحيوانات " فمن فضائلها أنها أصبر البهائم وأشدها شدة، وأخف الدواب كلها مئونة في العلف والمشرب عند ضيق الأمر في ذلك، إذ كان يكفيها في السرايا والأسفار القليل منه، ...والفرس يحمل الفارس وآلته وسلاحه وتجفافه _ أي درعه _ وزاده وعلفه، يحمله يوماً كاملاً دون أن يملّ أو يجوع، ومن هنا فإنه لا شيء من البهائم أشدّ ولا أصبر ولا أجود ولا أفضل ولا أكرم ولا أقوى من الخيل " [1] .

ومن هنا كان لا بدّ للأندلسي أن يفضّل الخيل ويعتني بها ويتغنى بامتلاكه الفرس ويفخر باهتمامه بها وولعه بركوبها، فهي حصنه ضد المعتدين ووسيلته في الحرب، كيف لا وهي التي فضّلها الخالق عزّ وجلّ فأقسم بها لفضلها عنده فقال سبحانه وتعالى : " والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً، فالمغيرات صبحاً، فأثرن به نقعاً، فوسطن به جمعاً، إن الإنسان لربه لكنود " [2] .

فالعاديات هي الخيل التي يقسم بها عز وجل مصوراً أهميتها وهي تضبح بأصواتها اللاهثة فتوري الشرر بحوافرها القادحة فتثير النقع، وتتوسط الجمع في اندفاع وقوة [3] ،والخيل خير كما يسميها الله جل جلاله، حيث يقول على لسان نبيه سليمان بن داود : " إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي " [4]، وهي مفضلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث فضلها على الرجال وبذلك يتبين لنا أن الخيل تتميز عن سائر الحيوانات، فالعرب تميزها، " فهم يحبون الخيل ويبالغون في إكرامها ويرون أن العز والزينة وقهر الأعداء على ظهورها والغناء في بطونها " [5] .

---

[1] ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن (ت بعد سنة 763هـ/ 1361م)، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ط1، مركز زايد للتراث، الامارات، العين، 2001م، ص52 .

[2] سورة العاديات (آية 1_6) .

[3] ابن الأعرابي، أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي (ت231هـ/ 845م)، أسماء خيل العرب وفرسانها، رواية أبي منصور الجواليقي، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1978م، ص10 .

[4] سورة (ص) آية 32 .

[5] الجزائري، محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص18 .

في السهمان فجعل للفرس سهمين وللرجل سهماً واحداً [1] .

وجاءت في فضلها عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " [2] .

والأندلسيون شأنهم شأن بقية العرب يعزون الخيل، ومما يدل على اهتمام الأندلسيين بالخيل تلك الأشعار والنصوص الكثيرة التي تصف الخيل وتتحدث عن أهميتها، وكان الأندلسي شأنه شأن أي فارس عربي يفضل الفرس الأصيلة التي تجتمع فيها الخصال الحسنة .

نالت الخيل عند الأندلسيين اهتماماً كبيراً وحظيت بحرص شديد؛ لأنها مصدر مهم يفيدون منه في شتى مناحي الحياة . وفي عصري الطوائف والمرابطين كثر الاهتمام بالخيل فهي عندهم أداة للحرب ووسيلة للسفر والتنقل والتنزه، ولعل هذين العصرين من أكثر العصور الأندلسية اهتماماً بالخيل، فقد تناول الشعراء والكُتّاب صفات الخيل الجسدية والمعنوية فوصفوا ألوانها وقوتها وصلابتها، فهي كما يقول صاحب نفح الطيب "ضخمة الأجسام، حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح " [3]، وهي تتميز عن غيرها من الحيوانات بالقوة والضخامة فمن يركبها يصل إلى منتهى غايته ويبلغ هدفه ومبتغاه .

فالأندلسيون يفخرون بجيادهم ويعزونها، " ولم يزالوا يفضلون الجياد من الخيل على الأولاد، ويستكرمونها للزينة والطراد، على أنهم ليطوون مع شبعها، ويظمأون مع ريها ويؤثرونها على أنفسهم وأهليهم عند حلول الأزمة واللأواء، واغبرار آفاق السنة الشهباء " [4] .

---

[1] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص43 .

[2] الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القيشري النيسابوري (ت261هـ/ 874م)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص683 .

[3] المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، م1، ص199.

[4] ابن هذيل الاندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص245 .

فرسه : " أنظر إليه سليم الأديم، كريم القديم، كأنما نشأ بين الغبراء واليحموم، نجم إذا بدا، ووهم إذا عدا، يستقبل بغزال ويستدبر برآل، ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال " [1]. إن هذا الجواد تكتمل فيه كل الصفات فهو سليم من كل عيب، كريم الأصل، نتج من سلالة كريمة جميل كالنجم، سريع كأنه لم يكن موجوداً إذا عدا، يستقبلك بشكل الغزال ويدبر عنك بشكل الرآل [2].

ولقد شغف شعراء الأندلس في عصري الطوائف والمرابطين بوصف الخيل، فراحوا يتفاخرون بقوتها وسرعتها وأصالتها؛ لما تفجر لديهم من رموز ومعان يتشبثون بها ويقفون عندها كالبطولة والرجولة والشجاعة والفروسية، ويدل هذا الاهتمام على أن الأندلسيين جميعاً كانوا يهتمون بالخيل ويعشقونها لما يتمثل فيها من جمال طبيعي حيّ، ولأنها " رمز للمجد، لذلك كانوا يتعرضون لها ويقفون عندها بإطالة " [3].

وتتضح صورة اهتمام الشعراء بالخيل وتبدو أعمق تأثيراً حين نتأمل النصوص الوصفية الواردة في دولة بني عباد في إشبيلية، ولعل ذلك يعود في الغالب إلى ما كان يمتاز به أميرها من حب الأدب والشعر وتعلقه به وممارسته له وتأييده ودعمه للأدباء والشعراء على نطاق واسع معروف في تاريخ هذه الدولة ومن خلال ما عرضته لنا المصادر الأندلسية والمشرقية [4].

ويشير إلى هذا بعض الباحثين خلال حديثه عن الأدب في إشبيلية بقوله :

" ...ولم تقتصر عناية الإشبيليين على وصف الطبيعة الصامتة فحسب بل كان

---

[1] ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي (ت529هـ/ 1134م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص307 .

[2] القيسي، فايز، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1989م، ص256 .

[3] السعيد، محمد مجيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1985م، ص145 .

[4] خضر، حازم عبدالله، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص29 .

لهم نشاط واهتمام في جوانبها الناطقة أيضا ..." [1] ، والناطقة هي الطبيعة الحية ممثلة بالحيوانات وعلى رأسها الخيل وغيرها من الكائنات الحية الأخرى .

وكان ملوك بني عباد يهتمون بالخيل ويستهدونها ويصفونها في أشعارهم، وكان على رأسهم المعتمد الذي بعث إلى أبيه المعتضد يطلبه جواداً بأبيات يقول فيها : [2]

(الهزج)

ألا يا غُـرّةَ السَّعـدِ وقُرَّةَ ناظـرِ المجـدِ
ومولاي الـذي مـازا لَ يسحـبُ حلَّة الحمـدِ
لعبدِكَ همّـةٌ هامـت بركضِ الضُّمّرِ الجُـردِ
ويرغبُ ضارعاً منهـا إلى عَلياك فـي الـوردِ

فهو يطلب من والده فرساً أحمر ويلح عليه في الطلب فيستجيب والده فيبعث إليه فرساً مسرجاً ملجماً، ويكتب إليه: [3] (المجتث)

خلعتَ ثوبَ الصَّـفـيِّ على العُبيدِ الوفـيِّ
يـا مستـرقاً بنُعمـا هُ ، كلُّ حُرٍّ سَـريِّ
أتـى مع الوردِ سـرجٌ كالهَدْيِ فوق الهَـدِيِّ

فنجد المعتضد يبعث للمعتمد فرساً أحمر عليه سرجه كالعروس عليها حليهـا، فهـو فرس مجهز محلى، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على مدى الاهتمام الكبير الذي كان بنو عباد يولونه للخيل وزينتها والاعتناء بها .

وكانت الخيل عند الأندلسيين من الهدايا الرفيعة التـي تُهـدى للملـوك والأمـراء لاستمالتهم وكسب ودهم، فقد أهدى المعتضد بن عباد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس خيلاً لكي يتألفه بها، ولكن المظفر يتنكر لهذا الصنيع فيستغل هذه الخيـل

---

[1] السعيد، محمد مجيد، ا لشعر في ظل بني عباد، ط1، مطبعـة النعمـان، النجـف الأشـرف، 1972م ص122 .

[2] المعتمد بن عباد، أبو القاسم محمد بن عباد (ت488هـ/ 1095م)، الديوان، تحقيق حامد عبـد المجيـد وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ص34 .

[3] المعتمد بن عباد، الديوان، ص 45 .

لمحاربة المعتضد ومساندة أعدائه، ويتنبه إلى ذلك ابن زيدون في قصيدة قالها في أعقاب انتصار المعتضد على المظفر حيث يقول :[1] (الطويل)

كأنكَ أهديتَ السوابحَ ضُمّراً ليُركِضَها فيما كرهتَ فيُجهِدا

وأجررته ذيلَ الجبيرِ تألفاً ليُخلفَ فيما جرَّ حقداً مُجددا

فهذه الخيل المهداة سريعة كأنها تسبح في الهواء وغير مترهلة في السباق، ولكن المظفر بعد أن وهبه المعتضد هذه الخيل المطهمة أساء إليه واستخدمها لقتاله حتى أجهدها وأعياها .

ويعدّ المعتمد بن عباد من أكثر الملوك اهتماماً بالخيل، وكان يكثر من ركوبها حتى نجد ابن بسام يصفه قائلا " ... أنه صار حلساً لمتون الخيل " [2]، وأكثر الشعراء من ذكر محبة المعتمد للخيل وركوبها، فنجد الشاعر محمد بن عمار أحد المقربين للمعتمد يخاطبه قائلاً :[3] (البسيط)

مولايَ عندي لما تَهْوى مساعدةٌ كما تتابعَ خطفُ البارقِ السّاري

إنْ شئتَ في البحرِ فاركبْ ظهرَ سابحةٍ أو شئتَ في البرِ فاركبْ ظهرَ طيّار

لقد استخدم الشاعر الطيار هنا كناية عن الحصان، فهو من الأمور التي يهواها المعتمد لذلك يخاطبه ابن عمار قائلا له : إذا كانت تهوى هذا الأمر أي ركوب الخيل فاسع إليه .

وأشاد الشعراء ببني عباد ووصفوا خيلهم، فهي خيل ضامرة لا تهاب المعارك والحروب، فتدخل المعركة المكروهة الشديدة، يقول ابن اللبانة في مدح آل عباد مشيراً إلى خيلهم : [4] (الكامل)

والجيشُ في ظلِّ اللواءِ مؤيدٌ والخيلُ في وهجِ الكريهةِ شُزَّبا

---

[1] ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن زيدون (ت463هـ/ 1070م)، الديوان، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، ط3، منشورات جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م، ص519 .

[2] ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ/ 1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1975م، ق2، م1، ص42 .

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص383 _ 384 .

[4] ابن اللبانة الداني، أبو بكر محمد بن عيسى (ت507هـ/1113م)، شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، 1977م، ص15 .

وكان ممن اهتمّ بالخيل من أمراء الطوائف المتوكل بن الأفطس الذي كان له فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض، وندب الشعراء لصفته، فصنع أبو الوليد النحلي فيه : [1] (الرمل)

رَكِبَ البدرُ جواداً سابحاً تَقِفُ الرّيحُ لأدنى مَهلِهْ
لبِسَ الليلَ قميصاً سابغاً والثُّريّا نُقَطٌ في كَفَلِهْ
وغديرُ الصّبحِ قد خِيضَ به فبدا تحجيلُهُ مِنْ بَلَلِهْ
كلُّ مَطلوبٍ وإنْ طالتْ به رِجْلُهُ مِنْ أَجْلِهِ في أَجَلِهْ

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه، فصنع ابن اللبانة : [2] (الكامل)

لله طِرْفٌ جالَ يا ابنَ محمدٍ فَحَبَتْ به حوباؤه التأميلا
لمّا رأى أنَّ الظّلامَ أديمُهُ أهدى لأرْبَعِهِ الهدى تحجيلا
وكأنّما في الرّدفِ منه مَبَاسمٌ تَبْغي هناكَ لِرِجْلِهِ تقبيلا

إن انتداب المتوكل الشعراء لوصف فرسه يدل على المكانة الرفيعة التي تتمتع بها الخيل عنده .

وعدّ الأندلسيون الخيل من علامات الغنى، فهي من الأشياء التي يحبون اقتناءها كالمال والذهب والسلاح، وإلى ذلك يشير أبو إسحاق الإلبيري في قصيدة ذكر فيها متاع الدنيا ومنها الخيل العتاق : [3] (الكامل)

أينَ المُلوكُ وأيْنَ ما جَمَعُوا وَمَا ذَخَرُوهُ مِنْ ذَهَبِ المَتَاعِ الذَّاهِبِ
ومِنَ السَّوابِغِ والصّوارِمِ والقَنَا ومِنَ الصَّواهِلِ بُدّنٍ وشَوَازِبِ
كانتْ سوابِقُها تحمّلُ مِنْهُمُ أَقْمَارَ أنديَةٍ وأُسْدَ كَتَائِبِ

فملوك الطوائف كانوا يتخيرون الخيل الكريمة والسوابق منها سواءً أكانت جسيمة أم ضامرة .

وليس من شك في أن المكانة التي شغلها وصف الخيل في شعر عصري

---

[1] المقري، نفح الطيب، م3، ص333 .

[2] المقري، نفح الطيب، م3، ص333 .

[3] أبو إسحاق الإلبيري، إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري (ت460هـ/ 1067م)، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1991م، ص133 .

الطوائف والمرابطين، تعكس لنا إدراك القوم أهمية هذا الحيوان، وما يرتبط بـه من ذكريات تتصل بأحوالهم السياسية والعسكرية، بالإضافة إلى ما لها مـن فوائـد على مختلف ميادين الحياة وجوانبها المتعددة .

ويسجل لنا أديب الطوائف والمرابطين وأديب الأندلس ابن خفاجة قدراً وافـراً من النصوص الشعرية في وصف الخيل وبيان أهميتها ومن ذلك قوله:[1] (الكامل)

وَمُطَهَّمٍ شَرِقِ الأديمِ كأنمـا ألفَتْ مَعَاطِفُهُ النّجيعَ خِضَابا
طَرِبٍ إذا غنّى الحُسامُ مُمَزِقٍ ثوبَ العَجَاجَةِ جَيْئَـةً وذَهَابا
قَدَحَتْ يَدُ الهيجـاءِ منهُ بَارِقاً مُتَلهباً يُزجِي القَتَامَ سَحَابـا
بَسَّامُ ثَغرِ الحَلْـيِ تَحسبُ أنَّهُ كأسٌ أثَارَ بها المِزاجُ حَبَابـا

إن ابن خفاجة ينظر إلى الجواد ومن خلال ما يمتاز به في مظهره ومجده، فهو جميل أنيق خفيف سريع لا يضيق ذرعاً في الحرب وتزاحم السـيوف وتـداخل الصفوف وصليل الرماح، بل يطرب لهذا الصليل ويأنس بجلبة السيوف ويفـرح إذا ما اشتدت الحرب وحمي الوطيس، وهو بالإضافة إلى هذا كله قد ألف لون الدم حتى صار له زينة وخضابا [2] . فهو حصان شجاع لا يهاب المعارك دأبه دأب كل الخيل الأندلسية .

إن هذه الخيل تستخدم للدفاع عن الدين وحمايته وصونه، فهي تكرّ مسرعة لقتـال أعداء الإسلام، يقول ابن حمديس مخاطباً الأمير أبا الحسـن علي بـن يحيى : [3] (الكامل)

ما صَوْنُ دينِ محمدٍ من ضَيْمِهِ إلا بسيفكَ يومَ كـلِّ جلاد
وطلوع رايات ، وقودِ جحـافلٍ وقراعِ أبطالٍ ، وكرِّ جيادِ

---

[1] ابن خفاجة، أبو اسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي (ت533هـ/ 1138م)، الديوان، تحقيق سيد غـازي، ط2، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1979م، ص211 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي ، ص31 .

[3] ابن حمديس، عبدالجبار بن حمديس الصقلي (ت527هـ/ 1132م)، الديوان، صححه وقدم لـه إحسـان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، ص145 .

إنها خيل ضامرة تملأ ساحات الأندلس وتمرح وتلهو حول القصور والمباني، يقول الحكيم أبو الصلت : [1] (الطويل)

وأغيدَ معسولِ المراشفِ واللّمى ألَمَّ بنا والبدرُ تحتَ نقابِهِ

من البيضِ تُدمى البيضُ دونَ خيامِه وتمرحُ قُبُّ الخيلِ حولَ قبابِهِ

فعندما نرى الخيل تمرح حول القباب فهذا يدل على مدى قربها من أهل تلك القباب وعلى مدى اهتمامهم بها .

والفرس عند شعراء العصر شأنه عند الشعراء الأوائل، كريم معزز يُحافظ عليه ويُقدم له ما يلذّ للعربي شربه وهو اللبن، فهم يقدمون لخيلهم الماء الزلال واللبن الصافي، يقول أبو بكر بن بقي : [2] (البسيط)

أقامَ في الحيِّ أحوالاً وآونةً يسقي الخليطينِ من ماءٍ ومن لبنِ

واعتزاز الأندلسيين بخيلهم وحبهم لها كان مدار حوار طويل في قصائد الشعراء الذين وجدوا فيها ضرباً من إظهار فلسفتهم في هذا الاعتزاز، وكانت صورهم حية تبين أوصاف الخيل و تحدد مناقبها وأوجه الجمال فيها، وتذكر دورها في الحرب والسلم، وإنها نموذج من نماذج الزهو والافتخار، هذا ويجد الشعراء في الحديث عن الخيل وأهميتها وارتفاع أثمانها الفرصة المناسبة والوقت الملائم لكي ينطلقوا في تأكيد دورها في الحياة ومكانتها في مواجهة المواقف الصعبة .

إذن فالخيل لها دور في الحياة ومكانة عظيمة، فهي تواجه المواقف الصعبة وعصر الطوائف والمرابطين هو عصر الحروب والغزوات فالخيل لا بدَّ أن تظهر في هذا العصر؛ لأنها تواكب كل تلك الحروب الدائرة وتشترك فيها ويكون لها دور عظيم في القتال والمواجهة، هذا بالإضافة إلى أنها من أكثر الوسائل المستخدمة للتنقل والسفر في هذا العصر .

---

[1] أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز الأندلسي (ت529هـ/ 1134م)، الديوان، ط1، تحقيق عبدالله الهوني، دار الأوزعي، الدوحة، 1990م، ص108 .

[2] الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن حامد بن عبدالله عماد الدين (ت597هـ / 1200م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ق4، ج2، ص264 .

ونستنتج مما تقدم أن الأندلسي كان يعنى بخيله عناية كبيرة، وليس ذلك بعجيب منه لأن الفرس كانت عدته في الحياة، وذخيرته لوقت الشدة فعليها يعتمد في الحرب، ويستطيع بواسطة خيله أن يجلب لنفسه العز والجاه وتمكنه فرسه من التنقل والسفر في الأرجاء وتساعده في شتى مجالات حياته، ولشدة أهمية الخيل عندهم نراها قد شغلت جزءاً ليس يسيراً في أدبهم .

1.1 دواعي الاهتمام بالخيل :

اهتمّ الأندلسيون بخيلهم اهتماماً كبيراً وحرصوا على إكرامها والعناية الفائقة بها، ولا غرو في ذلك، فهم عرب فرسان خاضوا غمار المعامع وقاتلوا في كثير من الحروب ضد النصارى، وكانت صهوات الخيل منجاتهم وحصونهم التي يمتنعون بها حين تحتدم المعارك .

ولم يكن اهتمام الأندلسيين بالخيل وليد بيئتهم أو إبداع مخيلتهم، وإنما كانت العناية منصرفة إليها منذ أقدم مراحل الشعر العربي، ففي الأدب الجاهلي إشارات إليها وأوصاف عديدة لها، ولكن تجدد العناية بها والترنم بمفاخرها عند الأندلسيين ما هو إلا دليل على تعشقهم لها وحبهم إياها .

إن الحصان رفيق للأندلسي في تنقله وحربه وصيده فعليه يحارب أعداءه وبه يهاجم ويتصيد وعليه يسرح ويمرح و يقطع الفيافي، وبه يسابق ويتسلى، ومن هنا فإن العلاقة بين الأندلسي وحصانه علاقة مصيرية، فالحصان الأصيل وفي لصاحبه مخلص في شدته ورخائه، فهما صديقان وفيان يتقاسمان صروف الحياة، ويتعرضان لنفس المخاطر ويتذوقان نفس النشوة في غمار المعارك، وكانت النصرة والعزة لتعاونهما الوثيق وشجاعتهما وجلدهما وبراعتهما " . [1]

ونتيجة لهذه العلاقة المتينة بين الحصان وفارسه تحققت روح الذات عند الأندلسي وفرضت على مناوئيها حضورها وسيادتها رغم كثرة الأعداء وشراستهم؛ لذا فإن الأندلسي يحب خيله حباً عميقاً، ويضحي بنفسه من أجلها كيف لا وقد أصبح هو وحصانه شخصاً واحداً، فالحصان يحقق له العز والشجاعة، والأندلسيون عرب

---

[1] برس، جروس، الحصان العربي الأصيل، ترجمة قبلان غلوب، ط1، طرابلس، ليبيا، 1989م، ص12 .

يمتدون من جذور مشرقية بدوية والبدوي مبدؤه في الحياة هـو " ..... أن العـز يتحقق له بالإبل والشجاعة بالخيل " [1]، فاعتمـد العربي علـى الخيـل فـي السـلم والحرب يصدّ بها عن نفسه ويغزو بها .

"ونجدهم يسبغون عليها أجمل النعوت ونجد الملوك والرؤساء يشتغلون بهـا"[2]، ونستشف هذا الاهتمام والاعتزاز من خلال شعرهم، فهي عنـدهم بمثابـة الـدرر والجواهر، فها هو ابن عمار يهنئ المعتضد بـن عبـاد بالنصـر فـي (معركـة قرمونة)[3]، قائلاً له : [4] (الطويل)

وقلّدتَ أجيادَ الرُّبا رائقَ الحُلى ولا درٌ غير المطهمةِ الجردِ

فهذه الخيل المطهمة درر ثمينة لا يعدلها أي شيء في الحياة، فهي التـي تجلـب النصر لصاحبها وتزينه بالعزة والمجد، وهذا دافع عظيم جداً لكي يجعل الأندلسـيين يهتمون بخيلهم فهي جالبة النصر لهم، لذلك فإنهم كانوا يهتمـون بهـا ويزينونهـا فتصبح زاهية كأنها عندما يوضع عليها لجامها وسرجها ملك يجلس علـى عرشـه مكللاً بالتاج والزينة، يقول الرمادي : [5] (الكامل)

يَزْهَى بتحليةِ اللجامِ كما زَهَى مَلِكٌ مُحلَّى الرأسِ بالإكليلِ
فلهُ الملاحِظُ من حبيبٍ هاجرٍ للصـّب أو مُتَكبّـرٍ لذَليلِ

---

[1] د.ر. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة ابراهيم الكيلاني، ط2، دار الفكر، دمشق ،1984م، ص38 .

[2] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجـوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، ج3، ص231 .

[3] معركة قرمونه : قرمونه مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية، وهي مدينة كبيرة قديمـة جـرت فيهـا معركة بين المعتضد بن عباد وباديس بن حبوس صاحب غرناطة الذي هب لنصرة العز بـن إسـحاق بـن عبدالله البرزالي بعد أن استنجد به، لكن المعتضد ضيق عليه واخرج اليه جيشا بقيادة ابنه المعتمد فأوقع بـه شر هزيمة وتركه هو وجنوده مضرجين في أرضهم . " ابن عِذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمـد بن عِذاري (كان حياً عام 712هـ/ 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كـولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ج3، ص267 _ 169 " وانظر : ابن خاقان ، أبو نصر الفـتح بـن محمد بن عبيدالله القيسي الاشبيلي (ت529هـ/ 1134م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليـه حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط1، 1989م، ص262 ".

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص263 .

[4] ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 314 .

والأندلسيون كانوا يقتنون الخيل ويقربونها من بيوتهم إكراماً لها وتعظيماً لقدرها واعتزازاً بها، يقول (محمد التطيلي الهذلي) [1] في مدح ابن هود صاحب سرقسطة : [2] (الكامل)

المُقتني الجُرْدِ المَذَاكِي عُدَّةً للكرِّ في الأعداءِ والإقدامِ

وكانوا يقربونها منهم حتى إنها تكون حولهم وحول قصورهم لكي تكون مستعدة للخروج للحرب أو للسفر في أي وقت يشاؤون، يقول ابن حمديس في حديثه عن الأمير علي بن يحيى أبي الحسن ابن الأمير يحيى بن تميم ابن المعز : [3] (الطويل)

هُمامٌ من الأملاكِ هزَّ لواءهَ وأوْضَعَ حَوْلَيهِ الجيادَ وَأَوْجَفَا

ولشدة حبهم لها واهتمامهم بها وتقريبها سميت بالمقربات، يقول أبو محمد ابن مالك القرطبي في مدح المعتصم بن صمادح : " فكررت الطرف خلال تلك الجياد، فرأيت مقربات خيل يتخايلن تخايل العذارى الردد، ويتهادين تهادي المهادى القود " [4]، فهذه الخيل مقربة تتباهى وتختال كما تختال العذارى .

ومن دواعي اهتمام الأندلسيين بالخيل أنها وسيلتهم للصيد والرياضة والسفر ومطيتهم في الكرّ والفرّ، فقد كان الأندلسي عندما يذهب للصيد والتنزه يمتطي الخيل الكريمة القوية لكي تساعده في سيره وصيده، يقول ابن دراج القسطلي في وصف

---

[1] محمد التطيلي الهذلي : سكن سرقسطة وكان من أحفظ أهل عصره بالأدب وأعرفهم بالتواريخ والأنساب، رحل من بلده تُطيلة الى حضرة الملك سرقسطة فمدح فيها المقتدر بن هود وأخذ عنده منزلة رفيعة " ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/ 1286م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص451 " .

[2] المقري، نفح الطيب، م4، ص151 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص318 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص745 .

خيل لسليمان بن محمد بن هود الجذامي وقد خرج للصيد: [1]

(الكامل)

حتّى اصطفَى لكَ من صوافنِ خَيْلِه علقاً لهُ لـم يدخركَ فوائده

خيلاً تصُـادُ بها الظبـاءُ وفوقَهـا فرسانُها أشباهُ ما هي صائده

إن هذه الخيل التي تمشي كأنها قائمة على ثلاث من سرعتها تساعد ذلك الصائد الذي يمتطيها على صيده الظباء الجميلة التي تشبه صياديها .

وها هو أحد الشعراء يؤكد أن الخيل وسيلة للصيد فيرى أنها وسيلة صيد من الطراز الأول، وكانت مقاييسه لجودة الخيل هي السرعة الفائقة والرشاقة والجمال الأخاذ، يقول : [2] (الرجز)

فَرُحْتُ للصيدِ برحبٍ هَيْكلِ عالي الشوَّى لاحقِ خَلْقِ الأَيطلِ

متقـد حَمِيَّـةٌ كالمرْجَـلِ يختـالُ كالنَّشْـوانِ فـي التَفتُّـلِ

يسبـقُ شَدَّ الريحِ بالترسُّـلِ يَغْـدُو لديْـهِ البـرقُ كالمكبَّـلِ

اذكرْ عليه أيَّ أرضٍ وانـزلِ يَقْفُـزُها مِـنْ قَبْلِ ذكر المنـزلِ

وكان التنزه من أهم وسائل التسلية عند الأندلسيين فهم يتسلون في نزههم ويسلون خيلهم، وفي ذلك يقول المعتصم بن صمادح وقد خرج لنزهة: [3]

(البسيط)

ركبتُ ظهرَ جَوادِي كي أُسَلِّيَهُ وقُلتُ للسيفِ : كُنْ لِي مِنْ تَمَائِمِهِ

إذن فالمعتصم من شدة حرصه على جواده كان يذهب به للتنزه كي يسليه ويبعد عنه الملل .

وكان الأندلسي يتخذ صهوة جواده وسيلة للوصول إلى محبوبته وهو أمر ملـيء

---

[1] ابن دراج القسطلي، أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي (ت421هـ/ 1030م)، الديوان، تحقيق محمود علي مكي، ط2، منشورات جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2004م، ص358 .

[2] ابن الكتاني، أبو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (ت420هـ/ 1029م)، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، ط3، دار الشروق، بيروت، 1986م، ص187 .

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص150 .

بالمخاطر والأهوال، يقول ابن الحداد واصفاً طريقه إلى محبوبتـــه نـــويرة : [1]

(الكامل)

واسلُكْ علـــى آثارِ يومِ رِهانِهِمْ فهناك تُغْلَقُ للقلوبِ رُهُونُ
حيثُ القِبابُ الحُمْرُ ساميَةُ الذُّرَى والأعْوَجِيَّاتُ الجِيَادُ صُفُونُ
أُفُقٌ إذا مـــا رُمْتَ لَحْظَ شَمُوْسِهِ صَدَّتْكَ للنَّقعِ المُثارِ دُجُونُ

فالطريق إلى نويرة محفوفة بالمخاطر والأهوال فمن اتبعها وراهن في الوصـــول إليها لطلب يدها، أخفق وخسر الرهان، ولا يستطيع الوصول إليها إلا مـــن يمتطـــي خيلاً قوية منحدره من نسل (أعوج) فرس بني هلال، وهي خيل ســـريعة، كأنهـــا تمشي على ثلاث قوائم، وهناك خيل تغشى أرض المعركة دفاعاً عن نويرة وحمايـــة لها، إذن فهي خيل تحول دون الوصول إلى نويرة .

واهتمّ الأندلسيون بالخيل لأنها من وسائل السباق والزينة عندهم، بها يتبارون في ميادين السباق وحلباته، فهم يهتمون بها ويكرمونهـــا ويتخيرونهـــا مـــن الأصـــائل ويدفعون مقابلها ثمناً كبيراً لكي تستطيع أن تحرز قصب السّبق .

يقول أحد الشعراء وقد أنشدها في حلبة السباق : [2]

(الطويل)

تُرى مَنْ يرى الميدانَ يَجهلُ أنّهُ لأهل التّباري في الشّطارةِ ميدانُ
كأنَّ الجيادَ الصافناتِ وقد عَدتْ سطـــورَ كتابٍ والمُقَّـــدم عنـــوانُ

فهذه الخيل وهي تعدو في حلبة السباق تبدو كأنها سطور كتاب مرتبـــة والخيـــل السابقة هي عنوان هذا الكتاب، إذن فإن الطـــراد والسباق من أهـــــم ضروب الرياضة والتسلية عند الأندلسيين، بل من أحبها وأمتعها إلى نفوسهم، وفي الحـــديث

---

[1] ابن الحداد، أبو عبدالله بن الحداد الأندلسي (ت480هـ/ 1087م)، الديوان، تحقيق يوسف علي طويـــل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص266 _ 267 .

[2] الحميدي، أبو عبدالله محمد ابن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت488هـ/ 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1996م، ص93 .

عن ميادين السباق نجد أبا بكر بن الملح يصف حلبة الخيل فـــي قصيدة مطولة يقول فيها : [1] (الطويل)

خوافقُ قَدْ رِيشتْ بِأَجْنحةِ الهدى فطارتْ ببحرِ الرّومِ كلَّ مَطارِ
فهنَّ بشدِّ الجري عِقْبانُ شاهــقٍ وهنَّ بألحانِ الصهّيــلِ قَمارِي
بكــلِّ مبــاهٍ بالسِّــلاحِ كأنمــا يجــرُّ مــن الخطيِّ فَضْلَ إزارِ

إن هذه الخيل تجري في حلبة السباق كأنها عقبان لشدة سرعتها أما صهيلها فهــو لحن تطرب له.

وقد أكثر الشعراء من وصف خيل السباق، فنجدهم يفردون قطعاً شعرية خاصــة عن وصفها، كقول أبي محمد ابن عبد الغفور في وصف فرس أشهب سابق للأميــر يحيى بن سير والى إشبيلية لسنة 507هـ ، يقول: [2]

(مخلع البسيط)

يــا ملكــاً لــم يزلْ قديمــاً بِكُلِّ عَلْيَاءَ جِــدَّ وامِــقْ
وسابقــاً فــي النَّــدى أتتنا جِيَادُهُ في المَدَى سَوَابِــقْ
لله منهــا أسيــلُ خَــــدٍّ هَريتُ شدقيه كالجَوالــقْ
حديــدُ قلــبٍ حَديدُ طَــرْفٍ ذُو مَنْكبٍ مثلَ البواسِــقْ
ذو وحشةٍ في الصّهيلِ حَلَّتْ منهُ على أكرَمِ الخلائِــقْ
أشهبُ كالرَّجْــعِ مُستطيُــرٌ كأنهُ الشيبُ في المفارِقْ

إن هذا الحصان الأشهب قد أجهد وأتعب البوارق من شدة سرعته في هذا السباق الذي تفوق فيه على سائر الخيل الأخرى .

ويقول ابن حمديس في حديثه عن الخيل في السباق وفي الحلبة : [3] (الطويل)

ومنقطعٍ بالسَّبْقِ من كلِّ حلبةٍ فتحسبُه يَجْرِي إلى الرّهنِ مُفْردا

فهذا الحصان سيطر على حلبة السباق حتى بدا كأنه هو وحده الذي يسابق فقــط فتلك الخيل التي تسابقه لا يمكن رؤيتها لأنها متأخرة عنه .

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص463 .

[2] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص467 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص144 .

ويتحدث أبو عبدالله بن الحداد عن الخيل وسباقها في الحلبات وترتيبها في الفوز، فيقول : [1] (الكامل)

أو رَدَّ حَظِّي في الحُظُوظِ مُصَلِّياً؟ أنْ كانَ ذِهني سَابِقَ الأذهانِ
هَلاَّ تَنَاءَتْ فِي التَّسَابُقِ حَلْبَةٌ حتى يُبَرِّزَ رَبُّ كُلِّ رِهَانِ

فحصانه مصلٍّ أي جاء في المرتبة الثانية من السباق والأول يسمى مجلياً أو مبرزاً أو سابقاً [2]. ويتمنى الشاعر أن تتسع حلبة ميدان السباق ليظهر المبرز في السباق؛ أي الحصان الفائز الذي اعتبره رب الرهان .

وبذلك يتضح لنا أن الأندلسيين كانوا يمضون شيئاً من أوقاتهم في حلبات السباق ويجرون فيها خيلهم مباهين بقوتها، مفاخرين بأنسابها وعدوها، يتحدون بها بعضهم البعض ويتراهنون على ذلك شأنهم في ذلك شأن المشارقة الذي كان الواحد منهم "يراهن صاحبه في المسابقة، يضع هذا رهناً وهذا رهناً فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه ..." [3].

والخيل عندهم رمز للزينة يتباهون بها وبجمالها وبمنظرها، فالرمادي يتصور الجواد بأنه زينة في وقت السلم، ويلفت انتباهه في الجواد رشاقته وسرعته وقوته، يقول : [4] (الكامل)

وأقبَّ كالمحبوبِ حُسْناً لم يَجِدْ كصفاتِه لو حُدَّ في تمثالِ
ذو منظرٍ حَسَنٍ تَضَمَّنَ مخبراً حَسَناً فكانَ لزينةٍ وقتالِ
أُلقوا عليه حَلْيَهُ فبدَا لنا فيه كما تَبْدو العروسُ لجالِ
وكأنما يُزْهَى بما يعلوهُ مِنْ حَلْيٍ فَيَمْشِي مِشْيَةَ المُختالِ

فهذا الحصان يختال من شدة جماله، فهو محلى بالزينة كأنه عروس في ليلة زفافها .

---

[1] ابن الحداد، الديوان، ص290 .

[2] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص189 _ 190 .

[3] ابن عبد ربه، أبو عمر بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت328هـ/ 939م)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط3، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1965م، ج1، ص177 .

[4] ابن الكتاني، التشبيهات، ص185 _ 186 .

وبجانب الصيد والسباق والزينة نجد أن الأندلسيين عدّوا الخيل هدية ثمينة يهديها الأندلسي إلى من يحب؛ ولذلك يبذل كل ما بوسعه من أجل إكرامها لكي تكون لائقة بمن ستهدى إليه، يقول ابن خفاجة في إهداء مهر أدهم بهيم : [1] (المنسرح)

تَقَبَّلِ المُهْـرَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... أَرْسَلَ رِيحاً بِهِ إِلَى مَطَـرِ
مُشْتَمِلاً بِالظَّلامِ مِـنْ شِيَةٍ ... لَمْ يَشْتَمِلْ لَيْلُهَا عَلَى سَحَـرِ
مُنْتَسِبـاً لَوْنُـهُ وَغُرَّتُـهُ ... إِلَى سَوَادِ الفُؤَادِ وَالْبَصَـرِ
تَحْسَبُهُ مِنْ عُلاكَ مُسْتَرَقـاً ... بَهْجَةَ مَرْأَى وَحُسْنَ مُخْتَبَـرِ
تَرَى بِهِ وَالنَّشَـاطُ يُلْهِبُـهُ ... مَا شِئْتَ مِنْ فَحْمَةٍ وَمِنْ شَرَرِ
لَوْ حَمَلَ اللَّيلُ حُسْنَ دُهْمَتِهِ ... أَمْتَعَ طَرْفَ المُحِبِّ بالسَّهَـرِ
كَأَنَّـهُ والنُّفُـوسُ تَعْشَقُـهُ ... مُرَكَّبٌ مِنْ مَحَاسِنِ الصُّـوَرِ
وَمِثْـلُ شُكْرِي عَلَى تَقَبُّلِهِ ... يَجْمَعُ بَيْنَ النَّسيمِ وَالزَّهَـرِ

إن هذا الجواد هدية ثمينة ورائعة فهو جواد اكتملت صفاته فلونه أدهم خالص السواد كأنما استمدّ هذا اللون من ظلام الليل، كما أنه نشيط سريع كأنه نار ملتهبة تقدح الشرر؛ لذلك فإن النفوس تعشقه لأنه من بدائع الصور ومن هنا يطلب المهدي إلى المهدى أن يتقبله مع الشكر .

ويتقبل ناصر الدولة مبشر بن سليمان صاحب ميورقة خيلاً أُهديت له، وهي خيل عريقة النسب من أولاد الوجيه وسلالته ومن سلالة لاحق؛ لذلك فهي جميلة أبدعها الخالق لكي يريها لخلقه.

يقول ابن حمديس : [2] (الكامل)

جاءتكَ أولادُ الوجيهِ ولاحقٍ ... فأرَتْك في الخَلْقِ ابْتداعَ الخالقِ
بمؤلَّلاتٍ تستديـرُ كأنّهـا ... أقلامُ مبتـدعِ الكتابـةِ ماشقِ
غُرٌّ مُحجَّلَةٌ تَكَامَـلَ خلقُهـا ... بمجانسٍ مِنْ حسنِها ومطابقِ

---

[1] ابن خفاجة ، الديوان، ص191 _ 192 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

وبعد أن كانت الخيل تهدى للأمراء والملوك وكانت من وسائل الزينة والتسلية فإنها تصبح وسيلة مهمة من وسائل الحرب، " ولاهتمام المحاربين والمجاهدين بها فقد عنوا بنسبها كما عنوا بنسب الإنسان نفسه، فخيل الجهاد خيل أصيلة شريفة" [1] ، فهي كما يقول الأعمى التطيلي من : [2] (الرجز)

كلٌّ مُعَمٌّ في الجيادِ مُخْوِلِ
أغَرَّ مِنْ عِتَاقِها مُحَجَّلِ

و تعدّ الخيل علامة من علامات النصر وهزيمة الأعداء، أينما حلت في ديار الكفر فالظفر معقود للمسلمين، فالخيل القوية هي التي يكون لها الدور الكبير في تحقيق النصر؛ لأنها تكرّ وتفرّ في المعركة وتحارب مع راكبها وتدوس رؤوس الأعداء بحوافرها .

ويؤكد الأعمى التطيلي دور الخيل في المعارك والحروب، فيصف هزيمة الأعداء النصارى في (معركة أقليش)[3] ، مشيراً إلى دور الخيل فيها وكيف أنها ساعدت في تحقيق النصر فقد داست وجوه الأعداء : [4] (الطويل)

رُويدكمُ حتى تروَا كيفَ ترتَمي بأنفسكم بينَ الإجازةِ والردِّ
وحتى تدوسَ الخيلُ أوْجُهَ فتيةٍ كِرامٍ عليها غيرِ شُؤْمٍ ولا نُكْدِ
وتخرُجَ من ليلِ الغُبَارِ ولو تَرى شوازبَ تَرْدي تحت صُمانةٍ تُردي

---

[1] عياط، حامد كساب، أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين، رسالة ماجستير، اشراف د. عبد الكريم خليفة، الجامعة الأردنية، 1983م، ص137 .

[2] الأعمى التطيلي، أبو جعفر احمد بن عبدالله بن أبي هريرة (ت 525هـ/ 1130م)، الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص157.

[3] معركة أقليش : جرت يوم الجمعة 16 شوال سنة 501 هـ / 1108م بين المرابطين والنصارى وانتهت بنصر المرابطين وتعرف عند الاسبان بموقعة الكنتات السبعة . " الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت723هـ/ 1323م)،، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص28 " .

[4] الأعمى التطيلي، الديوان، ص32 .

شاركت الخيل فيها، واختلطت حتى سال سيل الدم، وتحقق النصر للمسلمين [1]، يقول واصفاً بعض اللحظات الحرجة في المعركة : " فعند ذلك اختلطت الخيل، بل سال السيل، وأظلم الليل، واعتفت الفرسان، ... ودارت رحى الحرب تفرّ بنكالها وثارت ثائرة الطعن والضرب تفتك بأبطالها " [2] .

يتضح من خلال ما تقدم أهمية الخيل في الحياة العربية في الأندلس، والحاجة القصوى إليها، فقد كانت تلحّ على الأندلسي للاهتمام بها، حتى بلغت مظاهر الاعتزاز بها وتقريبها والاعتناء بتربيتها درجة كبيرة جداً، فهو يريدها وسيلة للحرب، يطارد بها خصومه، وسبيلاً إلى الصيد والقنص ووسيلة للتسلية والتنزه والرياضة .

لذلك فالأندلسيون يؤثرون الخيل على جميع الكائنات، فبها يحمون حياتهم ويغنمون ويتمتعون بركوبها وزينتها أوقات سلمهم ولهوهم وكرهم وفرهم، ولا أبالغ إذا قلت إن الأندلسي لم يحافظ على كرامته وأرضه وشعبه إلا بواسطة هذا الحيوان وباقتنائه، فصال وجال في ساحات الوغى، بالإضافة إلى أن ظروف الحياة في الأندلس التي كانت تحتم على الأندلسي أن يقتني الخيل ويكرمها ويفضلها على كل شيء في حياته؛ لما تقوم به من الأعمال الجليلة التي يعجز عنها غيرها .

2.1 الخيل في الحرب ودورها في المعركة :

امتازت حياة العرب في الأندلس بكثرة حروبهم المتواصلة، التي فرضتها عليهم طبيعة الشعوب القاطنة في الأندلس، فكلّ من هذه الشعوب يسعى للسيطرة على حكم البلاد، والعرب كان عليهم أن يحاربوا أعداءهم من أجل توطيد حكمهم، وفي عصري الطوائف والمرابطين كثرت الفتن والحروب ومن أشهرها الحروب بين المسلمين والنصارى .

---

[1] شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الاندلسي، ط1، المطبعة المغاربية، تونس، 1994م، ج2، ص71 .

[2] شيخة، جمعة، ص71، نقلاعن : مؤنس، حسين، " سرقسطة والثغر الأعلى في عهد المرابطين"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م1، ج2، ديسمبير،1949م، ص129 .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحروب كانت تحتاج إلى العديد من الأسلحة والعتاد، وكان من أهم هذه الأسلحة الخيل، فقد كانت من أكثر العناصر أهمية في الحرب، ومن هنا فقد كان لها أهمية كبرى عند الناس فهي عدتهم وعتادهم في الحرب، " ولما كانت الخيل وفرسانها من أظهر ما يكشف عن قوة المقاتلين، فقد دعا الله المؤمنين إلى أن تكون الخيل أبرز أسلحتهم في الحرب، إلى جانب إيمانهم بالله، والدفاع عن دينه، وعن الداخلين فيه لذلك نجده يحضّ على الجهاد والاستعداد له " [1] ، ومن وسائل هذا الاستعداد وأهمها الخيل وإعدادها، قال جلّ وعلا : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " [2] ، إذن فالخيل بالنسبة للفرسان المحاربين قوة إلى قوتهم وسلاح إلى أسلحتهم .

إن الأندلسيين اهتموا بخيل الحرب حتى أن تنظيم الخيل والقيام على إعدادها كان يوكل إلى إدارة تابعة لنظام الحكم، " فمن المناصب المهمة في الجيش الأندلسي خطة الخيل، والخطة بضم الخاء معناها نظام وتنظيم وكان المسؤول عنها يسمى بصاحب الخيل " [3] ، وصاحب الخيل هذا هو المسؤول عن تدريب خيل القتال والعناية بها وترتيبها في صفوف المعارك، " فهو قائد الفرسان أو الخيالة، ويبدو أن ثمة علاقة بين هذه الخطة _ خطة الخيل _ وبين القيادة " [4] ، فصاحب الخيل يقوم بالتنسيق مع القيادة العليا بإعداد الخطط اللازمة لتنظيم الخيل والغارات .

وكانوا يدربون الخيل ويهيؤونها ويعدّونها للقتال، يقول أبو إسحاق الإلبيري : [5]

(السريع)

وَضَمَّرُوا الخيلَ ليومٍ بهِ يُنكَبُ مَنْ يَركَبُ فوقَ الهُجُنْ

---

[1] قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ط6، دار الشروق، بيروت، 1980م، ص250 .

[2] سورة الأنفال (آية 60) .

[3] القرطبي، أبو مروان حيان بن حيان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص94 .

[4] طه، عبد الواحد زنون، دراسات في التاريخ الأندلسي، ط1، 1987م، ص58 .

[5] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص116 .

فهم يضمرون الخيل استعداداً للمعارك والحروب، فيعلفونها " ويشدون عليها السروج ويجللونها بالأجِلَّة حتى تعرق تحتها، فيذهب رَهَلُها ويشتد لحمها ثم تعلف القوت بعد السِّمَنِ ويستمر ذلك مدة أربعين يوماً، فتصبح جاهزة للقتال أو السباق"[1] .

ولما كانت الفرس من وسائل المعركة المهمة؛ فقد حرص الأندلسيون على تخيرها لكي تكون صالحة للقتال، ورسم الشعراء صورة عامة للحصان الأصيل الصالح للحرب الذي يتمتع بالقوة والأصالة، فهو كما يقول الأعمى التطيلي : [2] (البسيط)

كالجذعِ شُذِبَ حتى طالَ ثم هفا ذاكَ السبيبُ فقلنا إنّهُ سَعفُ

وفيه من صفات العتق والنجابة ما يلحقه بأصائل الخيل وما ينمُّ عن طيب أصله ونقائه، بل إن الشعراء رسموا النموذج الذي يحلم كل فارس بأن يكون حصانه عليه، فهو كما يقول ابن خفاجة : [3] (الطويل)

طويلُ سَبيبِ العُرفِ والعُنقِ والشّوَى قصيرُ عسيبِ الذيلِ والأُذنِ والظّهرِ

لـه غرةٌ تستصحبُ النّصرَ طَلَقَةٌ كفاكَ بها في سُوْرَةِ الحُسنِ مِن عَشْرِ

و شبهوا خيلهم بأصائل خيل العرب المشهورة فهي على حدّ قول ابن الزقاق: [4] (الكامل)

منْ آلِ أعوجَ ما عَهدْنا قَبْلَهُ وقد انتمى ، بَرْقاً نماهُ أعوج

وهي ضامرة البطون لعتقها وأصالتها، يقول الوزير أبو عامر أبو الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صمُادح : [5] (المتقارب)

فتى الخيلِ يقتادُها ذُبّلاً خِفافاً تُبارِي القَنَا الذّابِلا

تَرى كلَّ أجْرَدَ سامي التَّليل وتحسبُهُ غُصُناً مائِلا

---

[1] ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م4، ص491 .

[2] الاعمى التطيلي، الديوان، ص81.

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص26 .

[4] ابن الزقاق البلنسي، أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف اللخمي البلنسي (ت528هـ/1133م)، الديوان، تحقيق عفيفة محمود ديراني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص117 .

[5] المقري، نفح الطيب، م3، ص499 .

ويختار ناصر الدولة صاحب ميورقة لحربه جواداً طويل الجسم قوي البنية ويصطحبه معه عندما يغزو الأعداء ويحاربهم؛ لأن ضخامة هذا الجواد وقوته تبعث الذعر والخوف في قلوب المعتدين كما يقول ابن اللبانة : [1] (الطويل)

ويركبُ في أرحائِها ظهرَ شَيْظَمٍ فيحملُهمْ منهم على ظهرِ شَيْهَمِ

وهكذا فالأندلسيون يتخيرون لحروبهم خيلاً أصيلة قوية ضخمة تساعدهم على النصر، فهي خيل لا تهاب الموت .

والخيل في المعركة من أنفع الوسائل الحربية فهي تهاجم مع فارسها وتكون سريعة في الكرّ والفرّ فهي أكثر عوناً في المعارك وأسرع حركة وتلعب دوراً مهماً في القتال ضد الأعداء، ولها فضل في ذلك، وفي الأندلس كثرت الحروب حتى أصبحت ساحات الأندلس كأنها ملاعب للخيل في الجهاد والحرب، يقول صاحب نفح الطيب : " ولو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً " [2] .

وخيل الجهاد عندهم تقطع المسافات في قصد بلاد العدو، وهي تلاحق الأعداء وتطاردهم، لذلك فإنها تتعب ويصيبها الضمور والهزال بسبب ذلك التعب وذلك الجهد الذي تبذله في المعركة فتصبح كالقسي نحافة وقوة، يقول الأعمى التطيلي : [3] (الخفيف)

ضُمَّراً كالقسّي مُطرَّداتٍ كالقنا مُستشقةً كالنّبالِ

ونجدها تحمل عدة المحارب وسلاحه، يقول ابن دراج القسطلي :[4] (البسيط)

سفائنٌ من خيولٍ مالها شُحَنٌ إلا سيوفٌ وأرماحٌ وأبطالُ

فهو يجعل الخيل كالسفن التي تشحن السيوف والرماح والأبطال .

---

[1] ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة الداني، ص97 .

[2] المقري، نفح الطيب، م1، ص186 .

[1] الأعمى التطيلي، الديوان، ص102 .

[2] ابن دراج القسطلي، الديوان،ص482.

وإذا ما وصلت هذه الخيل إلى أرض المعركة فإنها تكرّ وتفرّ فيها، وتطير في الحرب وتطوي الأرض طياً، يقول ابن الزقاق : [1] (السريع)

يختـرقُ النّقـعَ علـى أشقـرٍ ينقـضُّ منـهُ الوغَـى كوكـبُ
يطيـرُ فـي الحُضْـرِ بهِ أربعٌ يُطـوى لهـا المشرقُ والمغربُ
صهيلُـهُ عـن عتقِـهُ مُفصْحٌ وخَلْقُـهُ عـن سَبَقِـهِ مُعْـربُ
لـو طلـبَ العنقا علـى متنـهِ راكبُـهُ مـا فاتـهَ مَطلـبُ
الريـحُ تكبـو خلفَهُ مـن ونـىً والبـرقُ مـن سرعتِـهِ تعجَبُ
لـه تليـلٌ مثـلُ مـا ينثنـي غُصْـنٌ بـهِ ريـحُ الصَّبا تلعبُ
وحافـرٌ إن يكُ ذا خضُـرةٍ فالجـوُّ مـن عِثيـرَهِ أكهْـبُ
يحمـلُ فـي صهوتِهِ ضيغمـاً ليـسَ سـوى السيفِ لهُ مخلبُ

فابن الزقاق يصف فرساً يطير في الحرب، يجتاب الأرض ويقطعها كأنه يطويها طيّاً، وقد أخذ في صهيل دال على عتقه وأصله، وهو من السرعة بحيث يسبق الرياح فتتعثر خلفه ويدهش البرق عدوه [2] .

وهذه الخيل لشدة شجاعتها وقوتها تخوض المعارك وتثبت أمام الموت وتقتحم غمار الحرب العوان، فتتعب وتشيب من شدة المعارك، فالخيل عند الأعمى التطيلي تدخل المعركة الشديدة، وتكون شعث النواصي شيبها النقع وعلى متونها أبطال أقوياء أشداء، يقول : [3] (البسيط)

والخيلُ شُعْثُ النّواصي فوقَها بُهُمٌ حُمْسُ العزائمِ والأخلاقِ والمِررِ
شابتْ من النقعِ فارتابَ الشبابُ بها فغُيِّرَتْ من دمِ الأبطالِ بالشَّعَـرِ

المرابطون من استرجاع مدينة (قلمرية) من أيدي النصارى سنة (511هـ)، كانت الخيل من أبرز العناصر التي ساهمت في ذلك، فها هو الشاعر أبو بكر بن

---

[1] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص84 _ 85 .

[2] منصور، حمدي، الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، ط1، دار الجوهرة، عمان، 2003م، ص159 .

[3] الأعمى التطيلي، الديوان، ص50 .

بقي يتساءل عن تلك الحيوانات التي أقدمت لاسترجاع هذه البلاد، ظاناً أنها جاءت لترعى أو تشرب ولكنه أجاب نفسه قائلاً بأن هذه الخيل التي تشبه الظباء لشدة جمالها، إنما أقبلت لترجع تلك الأرض المسلوبة : [1] (البسيط)

قالوا: لعلّ ظباءً أقبلت سَنَحاً إلى خمَائِلَ تَرْعَاهُنَّ أو تَرِدُ

تلكَ الظباءُ عِرَابُ الخيلِ دُونَكُمُ نَهْدٌ وَوَرْدٌ وذُبَّالٌ ومُنْجَرِدُ

إن هذه الخيل التي اشتركت في المعركة، خيل عراب سليمة من الهجنة ومن كل عيب وهي متعددة الألوان والأشكال، "حتى عمي أمرها على الرائين فحسبوها ظباء، وهي خيل جميلة لذلك نعتها الشاعر بنعوت شتى فهي نهد وورد وذبال ومنجرد، وهي نعوت الأنواع الجيدة منها " [2] .

ولأهميتها في المعارك فقد أسبغ عليها الشعراء أوصافاً تقربها من صفات الإنسان : فهي تطرق مفكرة وتحمل على الأعداء متحينة الفرصة، فتقدم في الساعة المواتية، بل يجعل ابن خفاجة منها فرساناً يهاجمون الأعداء ويفتكون بهم [3] ، يقول : [4] (الطويل)

يبيتُ بوادِي الفكرِ يُطْرِقُ حيّةً ويغشى جنابَ الخطبِ يقدمُ ضيغما

ويحملُ دونَ المجدِ حطةَ فاتكٍ تخايلَ ما بينَ الخميسينِ مُعْلِما

برأيٍ كصدرِ السيفِ يبتدهُ العلا ووطأةِ أيدٍ تستخفُ يلطما

خِلالٌ كما مرَّ الغمامُ بتلعةٍ فطرّزَ أثوابَ الربيعِ وسهّما

والخيل تقنية من تقنيات القتال، " ولذلك فإن الشعراء أكثروا من وصفها في المعارك فنحن نجد أبا بكر الصيرفي يسمح لنفسه أن ينصح المرابطين بعد هزيمة

---

[1] السعيد، محمد مجيد، " شعر ابن بقي القرطبي _ حياته وشعره"، مجلة المورد العراقية، م7، ع1، سنة 1978م، رقم 32، ص 23 .

[2] بهجت، منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي الطوائف والمرابطين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص305 .

[3] عياط، أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين، ص140 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص175 .

تلقوها على يد المسيحيين، ينصحهم باستخدام تقنيات خاصة للقتال ومنها الخيل"[1]، وكأن الصيرفي ينصح هؤلاء المقاتلين أن ينتقوا خيلهم المشاركة في القتال بحيث تكون مؤهلة لذلك، وتكون من السوابق حتى تصبح حصنهم الحصين، يقول الصيرفي : [2] (الكامل)

إيّاكَ تعبيةَ الجيوشِ مضيّقاً والخيلُ تفحصُ بالرجالِ وتمزعُ
واركبْ من الخيلِ السوابقِ عُدةً حِصناً ليس فيه مدفع

وعندما هجم المتوكل على الشمال الأوسط لشبه الجزيرة الإيبيرية واستولى على (مجريط)، واستعصت عليه مدينة وادي الحجارة حيث أصرّ حاكمها احامد بن مسرة على الامتناع والمقاومة [3] ، نجد أبا الخطاب بن عطيون يشير على المتوكل بأن يستخدم في حربه خيلاً قوية كالكواسر وسريعة كالعقبان، خيلاً ضامرة شديدة تهبط وتصعد في ساحات الوغى حتى تخضع الأعداء وخيلهم، يقول : [4] (الطويل)

رميتَ قَصيَّ الثّغرِ بالخيلِ شُزَّباً هبطْنَ على غَوْرٍ فأُصْعدْنَ في نجدِ
وأقبلتَها مَجْريطَ شعْثاً كأنها كواسرُ عقبانٍ تقضينَ من فَنَدِ
تدوسُ الإكامَ الجُرْدَ منها فترتمي سجوداً إلى أيدي سوابقك الجُردِ

ولقد أفاض الشعراء في عصري الطوائف والمرابطين في الحديث عن خيل الحرب ودورها في المعارك، فهي خيل لا تخاف من وقع الرماح والسيوف بل تطرب لصوت الرماح، يقول أبو جعفر بن وضاح المرسي واصفاً الخيل في موقعة (أفراغة) سنة 529 هـ بقيادة يحيى بن غانية : [5] (البسيط)

---

[1] بيريس، هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1988م، ص314 .

[2] مؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن الثامن الهجري، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القدر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص126 . وانظر : لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن الخطيب السلماني (ت776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ج4، ص412 .

[3] شيخة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ج1، ص112 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص776 .

[5] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص49 .

والخيلُ تنحط من وقعِ الرماحِ بها كـــأنَّ تصهالَها ترجيـــعُ ألحـــانِ

وبالإضافة إلى أنها لا تخاف المعارك الذارية فإنها مستعدة لدكّ ديـــار الأعـــداء ومحاربتهم في كل لحظة، يقول ابن دراج القسطلي : [1] (البسيط)

إن سالَموا الأَرْضَ كانوا غيثَ أَمْحُلِها

أو _ كَلَّفُوهَا توالِي خَيْلِهِمْ _ عَنُفُوا

فابن دراج في مدحه للأمير يقول أنه كالغيث يحيي الأرض المهجـــورة لخـــوض غمار المعارك ومهاجمة الأعداء .

والخيل تتبع الأعداء وتسير وراءهم وتقتحم المدن وتطـــارد الرجـــال وتباغـــت الأعداء وتقضي عليهم، يقول ابن بسام واصفاً خيـــل المعتمـــد فـــي إحدى معاركه مع خصومه : " ثم خرجوا مع المغيب وشعر بفعلهم، فاتبعهم الخيل إلى النهـــر، فتهافتوا فيه تهافت الفراش في النار " [2] ، فهذه الخيل تتبع الأعداء وترديهم .

ويبدع ابن خفاجة في وصفه خيل الحرب، فيرسم صورة لمعركة نابضة بالحيوية والحركة خاضتها خيل عابسة، والعبوس يوحي بالكآبة والحزن المشوب بالغضـــب والألم مما يوحي بالخطر الذي تواجهه، إنه خطر الموت والقتل، وهي خيل تتعثـــر بالرماح من كثرتها وتسبح في بحار الدم لكثرة القتل الدائر في المعركة ومـــع ذلـــك فهي قوية لا تهاب هذا كله، يقول : [3] (الكامل)

والسُّمرُ حُمْرٌ والجيـــادُ عوابسٌ والجوُّ كَاسٍ ، والسيوفُ عَوَارِ

والخيلُ تعثرُ في شَبَا شَوْكِ القَنَا قصداً وتَسْبَحُ في الدّمِ المِـــوّارِ

وهذه الخيل لا تتأثر بما بذلت من جهد في ساحات المعارك ولا تتأثر بما يصيبها من طعن أو ضرب، بل أن ابن خفاجة يجعل حصانه هو الذي يؤثر في الرماح التي تطعنه فيحطمها ويكسرها [4] ، يقول : [5] (البسيط)

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص493 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص275 _276 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص37 .

[4] عياط، أدب الجهاد في عصر المرابطين، ص144.

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص208 .

وأشهبٍ ناصعِ القرطاسِ مُؤتلـقٍ كأنما خاضَ ماءَ الصُّبحِ فاغتسلا
ترى به ماءَ نصلِ السيفِ مُنسكباً يجري وَجَاحِمَ نَارِ البأسِ مُشتعِلا
فغادرَ الطعنَ أجفـان الجراحِ به رمداً وصيّرَ أطرافَ القنـا مُقـلا
وأشرقَ الدّمُ في خدّ الثّرى خجلاً وأظلمَ النقّعُ في جفنِ الوَغَى كُحلا

وجواد ابن خفاجة شجاع قوي؛ لذلك نجده يتغنى بشجاعته ويستعين بوصف الليل المظلم وكيف تكون صولته مع جواده الأشهب، تلمع غرته في الظلام الدامس حتى يكون مع السنان الأزرق والسيف البتار ثلاثة أنجم تتألق في الأعالي، ثم تتهاوى على الأعداء عند احتدام المعارك، وتتوارى على الأنظار من شدة الغبار، ثم تظهر كأنها حاملة الموت للأعداء ترجمهم بضرباتها القاتلة، وجواده سريع جمع القوة والسرعة والخفة والطاعة والانصياع لراكبه على الرغم من اشتداد وطأة المعركة، يقول الشاعر في ذلك : [1] (الكامل)

وظلامِ ليلٍ لا شهـابَ بأُفقِـهِ إلا لنصـلِ مُهنـدٍ أو لَهْذَمِ
لاطمتُ لُجّتَهُ بموجَةِ أشهـبٍ يرمي بها بحرَ الظلامِ فيرتَمـي
قد سالَ في وجهِ الدُّجُنّةِ غُـرّةٌ فالليـلُ فـي شِيَةِ الأغرِّ الأدهمِ
إن يعتكرْ ليلُ العَجَاجةِ تَسْتَتِـرْ أو يعترض شيطانُ حربٍ تُرْجَمِ
جاذبتُه فضلَ العَنَانِ وقد طغى فانصاعَ ينسابُ انسيـابَ الأرقمِ

ويرسم ابن خفاجة صورة أخرى لخيل الحرب والجهاد وهي تشترك في المعركة لابسة الدروع مثيرة للغبار مما يجعلها مخوفة مرهوبة، قال : [2] (الطويل)

فيا رُبَّ وضاحِ المحاسنِ أشقـرٍ رميتُ بهِ الهيجا وقدْ فغرتْ فما
وبحرِ حديدٍ قد تلاطمَ أخضـرٍ إذا عصفتْ ريحُ الجيادِ بهِ طمى
عدا فاستنارَ البرقُ لوناً وسرعةً وغيّرَ في وجهِ النهـارِ فغيّمـا
بيومٍ تراءى الموتُ أحمرَ قانياً بـهِ واستطارَ النّقعُ أربدَ أقتما
فأقسمُ لو أهوى أليَّ ابنُ غابـةٍ لكَّـع علـى أعقابِهِ متذمّمـا

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص244 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص174 .

وهي خيل كريمة نجيبة تبذل جهداً كبيراً لكي تصل إلى أرض المعركة، يقول ابن دراج القسطلي : [1] (البسيط)

وسابِحِ الشَّأْوِ ما أَقْحَمْتَ هادِيَــهُ بحرَ المهالكِ إلا غاضَ أو سَبَحا
طِرْفٍ تقودُ عِنانَ الطَّرْفِ غُرَّتُهُ إذا تعالى مُجِدّاً أو وَنى مَرِحــا

إن ابن دراج يصور سرعة الفرس وسبقه إلى غايته في الوصول إلى المعمعــة، وما فيها من مهالك بالبحر الذي يسبح فيه هذا الفرس الذي يغوص فيه حتى تــزول هذه المهالك، ويصف هذه الخيل بالكرم والنجابة فهي لا تحتاج إلى من يزجرهــا أو يزجيها إلى المعركة، فهي تسعى بجد ونشاط لتحقيق النصر في المعركــة والمجــد لصاحبها في الحرب [2] .

لقد أكثر الشعراء من الحديث عن خيل المسلمين في المعارك والحروب، "فخيــل المسلمين تتميز بالقدرة على تحمل الصعاب عند مسيرها إلى أرض العــدو بــل أن الأعمى التطيلي يعكس الصورة ويجعل النجوم تكــلُّ عــن مســايرتها، فيصــيبها النعاس، وتتأخر عنها في المسير شاكية السرى والنصــــــــب " [3]، يقول : [4] (الطويل)

وقدْ طلَّحتْ زهرُ النجومِ مــن السُّرى ورابَكَ في أجفانِها أثــرُ السهــدِ
بِطَــاءٌ علــى آثارِ خَيلِــكَ تشتكــي بجَهْدِ سُرَاها ما طَوَيْنَ من البُعْدِ

وخيل المسلمين تتباهى وتختال في المعارك خاصة عنــدما ينتصــر راكبوهــا، فنجدها عند ابن بقي تمشي في المعركة كمشي الفتيات الجميلات المزينات بالجواهر والحلي، حتى أنها تستحق التقبيل أكثر من تلك الحسناوات، يقول ابن بقي القرطبــي في وصف خيل معركة خاضها المسلمون ضد الروم مصوراً اختيــال الخيــل فــي ساحة المعركة لكرمها في ذاتها : [5] (البسيط)

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص540 .

[2] ذعدور، اشرف علي، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص452 .

[3] عيّاط، أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين، ص142 _143 .

[4] الأعمى التطيلي، الديوان، ص30 ــ 31 .

[5] السعيد، شعر ابن بقي القرطبي، ص140 .

ترى السماءَ دُخاناً مثلمـــا خُلقـتْ والأرضَ قد شرقتْ بالخيلِ والإبل
تمشي بها الخيلُ لا جُرْدٌ مطهَّمـــةٌ مشيَ الكواعبِ من حَلْيٍ وفي حللِ
من كلِّ مُضطمِرِ الكشحينِ حافـــرُهُ أحقُّ من مَبسمِ الحسناءِ بالقُبـــلِ

ويصف ابن خفاجة معتركاً بجهة قرطبة في مدة أبي عبد الله بن الحاج [1] ، مبينـــاً فرحة الخيل بالنصر وكيف كانت تتخايل كأنها نشوانة بسبب شربها للخمر، يقول :[2] (الكامل)

ركضوا الجيادَ إلى الجلادِ صبَاحَا واستشعروا النَّصرَ العزيزَ سِلاحَا
وتخايلـــتْ بهـــمُ الجيـــادُ كأنمـــا شَرِبتْ مَعَاطِفُ كُلِّ طِرفٍ رَاحَـــا

وهي أيضاً عند ابن دراج تختال وتتباهى في وقت اشتدت فيه المعركة ولمعت فيه السيوف وحميت الأسنة، يقول :[3] (الكامل)

والبيضُ تَلمعُ والأسنةُ تلتظي والخيلُ في ضنكِ الوغَى تختالُ

هذا ولم يتوقف الشعراء عند خيل المسلمين فحسب، بل نجدهم يتحدثون عن خيل الأعداء وقوتها وكثرتها، فقد ورد " أن ابني المعتضد عندما هاجما حصون السودان المغاربة استصرخ هؤلاء أميرهم باديس بن حبوس فلباهم بزخرة من تياره، وأقبسهم شرارة من ناره، فلم يرع ابني عباد إلا صهيل الجياد، وتداعي الأجناد ..." [4] ، فهذه الخيل الكثيرة روعت وأخافت ابني المعتضد بصهيلها لأنها خيل كثيرة قوية زاحفـــة نحوهم مما أدى إلى انهزامهم "ولجوئهم إلى رندة وقد انغمسا في عارها " [5] .

وخيل الأعداء شرسة قوية تهتك حرمة ديار المسلمين، ولا تبقي على شيء فيها، يقول ابن العسال الفقيه الزاهد بعد أن سقطت مدينة بَرْبَشْتر ســـنة 456هـــ بيـــد النورمان مصوراً قوة خيل الأعداء وبأسها في القتال، فهي خيل تفترس كلّ من فـــي

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص251 .
[2] ابن خفاجة، الديوان، ص251 .
[3] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص582 .
[4] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص582 .
[5] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص50 .

طريقها وتقتله في مكانه وتهتك حرمة القصور وتسيطر على الجبال والصحراء : [1]

(الكامل)

ولقد رَمَانا المشركونَ بأسْهُـمٍ لم تُخْطِ لكنْ شأنُها الاصماءُ

هتكوا بخيلهمُ قصورَ حريمِهـا لم يبقَ لا جبل ولا بَطْحـاءُ

فالخيل وسيلة الأعداء لاحتلال المدينة وسقوطها فـي أيـديهم، وهـذه الصـورة المرعبة التي يرسمها الشاعر تكشف عن فظائع النورمان الرهيبة التي مارسوها ضد المسلمين [2] ، فهذه الحملات الصليبية تأتي على ظهور خيل عنيفة قاسية تقطع كـل أمل ورجاء في الغوث والنجدة .

وبذلك كله يتضح أن الشعراء قد واكبوا في شعرهم الحروب، واصفين وسـائلها ومن أهمها الخيل، ذاكرين دورها في المعركة وقيمتها في ساحة الحرب، ودورهـا في إخافة الأعداء، والإغارة عليهم، وإحرازها النصر، واختيالها بذلك، فهي تشارك فرسانها مشاركة فعلية في الحرب، فتكرّ على الأعداء وتطحنهم طحناً، وهي التـي تصبر في الشدائد والسيوف تلمع حولها والسهام تصب عليها وتتكسر في صدورها، وتشق الغبار ولا تفرّ من المعركة مهما نالها من ضرب وطعن .

3.1 الخيـل فـي السفـر والتنقـل والركـوب :

كانت الخيل عند الاندلسيين وسيلة السفر والتنقل الأولى، يركبونها في أسـفارهم ورحلاتهم، " لذلك نالت اهتمام الشعراء وكثر ذكرها والحديث عنها كونها أداة تنقـل وحركة " [3] ،وكما ذكر الشعراء الخيل ووصفوها في ساحات الوغى وميادين القتال ووضحوا دورها في المعارك فإنهم وصفوها بعيداً عن ذلك في أسفارهم ورحلاتهم .

فهذا ابن الزقاق يصف لنا سراه في الليالي وركوبه الصعاب ومسيره في الظلام،

---

[1] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص90 .

[2] الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيـروت، دار الفكـر، دمشـق، 2000م، ص162 .

[3] السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص145 .

ومواجهته الأهوال على ظهر حصان قوي، ويصف صوت هذا الحصـــان وتلـــك الجياد وآلام الفراق والدعوة لهم بالسقيا [1] ، يقول : [2] (الكامل)

ذَرْني ونَجْـدًا لا حملـتُ نِجادي إن لم أَخُطَّ صَعيدَها بصعَادي
وأُخَضْخِضَنَّ حشا الظلامِ إلى الدُّمى وأُصافحنَّ سوالـفَ الأجيـادِ
ولقد مررتُ على الكثيـبِ فأرْزَمَتْ إبلي ورجَّعتِ الصهيلَ جِيادي
وردوا ومن بيضِ المناهلِ أدمُعـي ونأوا وبعضُ الظاعنين فؤادي
فسقَتْهُمُ حيـثُ التـقتْ بِرحالِهـم هُوجُ الركابِ روائحٌ وغَـوادي

ولقد أكثر شعراء عصري الطوائف والمرابطين مـن وصـف رحلاتهـم إلـى ممدوحيهم على صهوات خيلهم، وتحدثوا عن التعب الذي يسببه السفر لهذه الخيـل، مما يؤدي إلى هزالها وضمورها، لذلك فإنه يجب عليها أن ترتاح من هـذا التعـب الذي سببه لها كثرة المسير وقت السرى، يقول أبو بكر محمد بـن أحمـد مخاطبـاً الأمير أبا الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين : [3] (الطويل)

أرِحْ صَهَواتِ الخيلِ من نَصَبِ السُّرى وَجُدْ عَفْوَها إن المشقَّةَ في الجُهدِ

وهذه الخيل على الرغم من تعبها فإنها قوية تحمل الرجال الأقوياء الذيـــن يبدون كأنهم هضاب لقوتهم وضخامتهم، يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني واصفاً قوة خيل المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفطـس صـاحب بطليـوس :[4] (الطويل)

وركبٍ كأنّ البيضَ أمستْ ضَرَائباً لهم ، وهم أمسوْا لهنّ ضَرَائبا
طِوالٌ ، طِوالُ البَاعِ ، والخيلِ والقنا تخالُهمُ فوقَ الجيادِ أهاضِبـا

والخيل عند عبد المجيد بن عبدون اليابري تسافر في الليل ولا تهاب الظلام فهي سريعة قوية كأنها تسبح في الماء، ومن شدة سرعتها فإنها لا يمكن أن ترى فكأنها

---

[1] بهنام، هدى شوكت، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسـي، ط1، وزارة الثقافـة والإعـلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000م، ص54 .

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص144 _ 145 .

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص 357.

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص799 .

وهم وهي تسير في الليل وفي الصباح تعجب الناظرين : [1] (الكامل)

خبطتْ بنا وَرَقَ الظّلامِ سوابحٌ ملءُ النواظرِ سيرهـنَّ توهّـمُ

فإذا سَرَتْ فالليلُ منها أبيـضٌ وإذا غَدَتْ فالصبحُ منها أدهـمُ

ويسافر الشاعر الرمادي على حصان في الصباح الباكر، ويصف هذا الحصـان بأنه ضامر البطن دقيق الخصر : [2] (الكامل)

فقد اغتدى والصُّبْحُ في تَوْرِيسِهِ تَقْضي العيونُ له بوجهِ عليلِ

بأقبَّ لون الآبنـوسِ مُفضّض في غُرّةٍ منه وفـي تحجيـلِ

وكانوا يتخيرون خيل السفر أصيلة سليمة من الهجنة ومن كل عيب يصيبها، يقول ابن اللبانة الداني : [3] (الطويل)

وفودٌ يقودون العِرابَ وتحتهـم كرائمُ من رهطي جديلٍ وشدقمِ

وكانوا يحلونها بالزينة والسروج، فها هو ابن عمار يتحدث عنها واصفاً تصاعد نفسها وسرعة جريها وتحليتها بالسروج : [4] (الكامل)

عطّلْتُ من حَلْي السروجِ جيادي وسلبْتُ أعناقَ الرجالِ صعادي

وثنيتُ عَزْمِي عن مسيرٍ هزّني سعَـدي إليـه وحثّني إسعادي

وإن خرجت هذه الخيل للسير فلا بدَّ من أن تزين باللجام والسروج، يقـول ابـن شهيد : " ... وحملت على فرس بسرجه ولجامه، ينهل من أعطافه مـاء جمامـه ..." [5] .

وتصبح هذه الخيل القوية السريعة المزينة وسيلة للجميلات؛ لكي ترحل وتسـافر على متنها، فها هو المعتمد بن عباد يودع محبوبته في وقت الغدوة، وقد قربت لهـا

---

[1] عبدالمجيد بن عبدون، عبد المجيد بن عبدون اليابري الفهري (ت529هـ/ 1134م)، الـديوان، الشـعر والنثر مع دراسة لأدبه، إعداد وتحقيق وتأليف سليم التنير، ط1، دار الكتـاب العربـي، دمشـق، 1988م، ص179 .

[2] ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص313 .

[3] ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة الداني، ص95 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص777 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص195 .

الخيل ذات الشعر القصير، وهي خيل كريمة جميلة قربت لها لكي ترحل عليهـا: [1] (الطويل)

ولمّـا التقيـنا للـوداعِ غُدَيَّـةً وقد خَفَقَتْ في ساحةِ القصرِ راياتُ
وقُرِّبتِ الجُردُ العتاقُ ، وصُفِّفَت طُبولٌ ، ولاحتْ للفُراقِ علامـاتُ

إن الأندلسيين عندما يختارون خيلهم من أجل سفرهم وتنقلهم، فإنهم ينتقونها مـن الخيل الكريمة الأصيلة الصابرة، " فهي كثيراً ما تصبر عليهم وتحملهم " [2] ؛ لـذلك فإنهم يؤثرونها ويحبونها فهي التي تساعدهم على رحلتهم وتحمل مواد تلك الرحلـة ومتاعها، يقول ابن دراج القسطلي : [3] (الطويل)

أرحليَ محمُولٌ على العُتُـقِ النُّجبِ يَؤُمُّكُ ، أمْ سارٍ على القُتُمِ النُّكْبِ ؟
طوتْ فلواتِ الأرضِ نحوكَ وانطوتْ كبدرٍ إلى مَحقٍ بشهرٍ إلى عقـبِ

فخيل ابن دراج خيل كريمة نجيبة تحمل رحله، وتقطع الفلـوات دون أن تتعـب، وها هو ابن خفاجة يختار لسفره ورحلته إلى بلاده جواداً أصيلاً كريماً، "ويشير ابن خفاجة إلى حسن اختياره لهذا الجواد الذي يتصف بالسرعة ولا يحتاج إلـى سـوط يحثه على السير، يسري هذا الجواد في الليل منطلقاً يدفعه الحنيـن إلى الـوطن والأهل في جزيرة (شقر)، وهو جواد قوي لا يعيقه واد ولا تل، ما دام يطلـب الكرام في الأرض العزيزة الكريمة ذات الماء العذب الرقراق، والنسيم العليـل " [4]، يقول : [5] (الطويل)

تَخَيَّرتُهُ من رَهطِ أعـوَجَ سَابحاً أَغَرَّ كَريمَ الوالدينِ نجيـبَا
خفيفاً ولم يَحْلُـمْ بسـوطٍ كأنمـا يَفُـوتُ عَدُوًّا أو يَؤُمُّ حَبيبَا
سَرَى وانْتَحى بَرْقٌ بذِي الأثْلِ لَيْلَةً فباتَ بهـا هـذا لِذَاكَ نَسِيبَـا

---

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص4 .
[2] المقري، نفح الطيب، م1، ص202 .
[3] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص181 .
[4] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص55 _ 56 .
[5] ابن خفاجة، الديوان، ص112 .

وحَنَّ إلى شُقْرٍ فخَفَّ على السُّرَى يَخُوضُ خَلِيجاً أو يَجُوبَ كَثِيبَا
يـؤُمُّ بهـا أرْضـاً عَلَيَّ كَرِيمةً ومُرْتَبَعاً فيهـا إلَـيَّ حَبِيبَـا

ويركب ابن الزقاق جواداً سريعاً، فيصف سرعته وقوته حتى إن راكبه لـو طلـب المستحيل لاستطاع أن يحصل عليه؛ لأنه حصان سريع جداً يسبق الـريح والبـرق، حتى إن البرق يندهش من سرعته : [1] (السريع)

لو طلبَ العنقا علـى متنـهِ راكبُـهُ مـا فاتَـهَ مَطلـبُ
الريحُ تكبو خلفَهُ مـن ونـيٍّ والبـرقُ من سرعتِهِ يعجبِ

وخيل الركوب عند أبي إسحاق الإلبيري خيل مسومة ومعلمة : [2] (الوافر)

وإن ركبَ الجيادَ مُسَوَّمـاتٍ لأنتَ مناهِجَ التّقوىَ ركبتـا

وجواد ابن حمديس الذي يركبه جواد يشبه اليعسوب، وهو جواد قـوي حتـى إن ركوب البحر أهون من ركوب هذا الجواد، ويتحدث عن لونه الأسود الذي يشبه لون الغراب، وهو سريع لدرجة كبيرة جداً فسرعته كسرعة الماء المتدفق من الأنبـوب الذي فضّ ختمه : [3] (الكامل)

وأقبَّ كاليعسوبِ تركبُ متنَـهُ فركوبَ مَتْنِ البحرِ دونَ ركوبهِ
مُتقمصٌ لونـاً كـأن سَـوَادَهُ غُمِسَ الغرابُ الجَون في غِربيبه
يرميكَ أوّلَ وَهلـةٍ بنشاطِـهِ كالماءِ فُضَّ الخَتْمُ عن أنبوبـهِ

وهذه الخيل تقطع المسافات الشاسعة وتسير مسرعة إلى ديار الأحبة كأنها بـراق فهي تمشي من مصر إلى العراق فيصيبها التعب فتصبح ضامرة، ولكنها على الرغم من ضمورها فإنها سابقة وكريمة، يقول عبد الوهاب بن نصر المالكي: [4] (الوافر)

قطعتُ الأرضَ في شَهْرَي ربيـعٍ إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ
فقـالَ لـيَ الحبيـبُ وقد رآنـي سبوقاً للمُضمّـرةِ العتـاقِ
ركبـتَ علـى البـراقِ فقال كـلا ولكنّي ركبتُ على اشتياقـي

---

[1] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص84 .
[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص28 .
[3] ابن حمديس، الديوان، ص11 .
[4] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م2، ص528 _ 529 .

وهي تقطع الصحراء دون أن تتعب؛ لذلك فإن راكبها يفخر بها ويباهي بها جميع الأعراب، يقول أبو الحسن علي بن حصن الإشبيلي : [1] (الطويل)

أجالَ على الصحراءِ أجردَ سابحاً فباهى به أعرابَها وعِرابَها

وكانت الخيل تستخدم وسيلة للأمراء والملوك في مواكبهم، فهم عندما يخرجون ويسافرون ويتنقلون بين الناس يخرجون في مواكب وتحملهم خيل جرد جميلة ومزينة، يقول أبو عبيد البكري في وصف موكب المعتمد بن عباد : [2]

(الطويل)

يهونُ علينا مَرْكَبُ المُلكِ أنْ نرى مُحَيَّا العُلَى لمّا نبا مَرْكَبُ الجُرْدِ

وبذلك فإن الخيل مهمة جداً بالنسبة للأندلسيين في مجال السفر والتنقل والركوب، " فهي وسيلتهم للوصول إلى الملوك والأمراء ووسيلتهم لقطع الفيافي والفلوات وما يرافق ذلك من تعب ومشقة ومكابدة ومعاناة " [3] ، كما أنها وسيلة للعاشقين لكي يصلوا بها إلى من يعشقون وهي وسيلة للملوك وللأمراء لكي يخرجوا بها في مواكبهم الزاهية لذلك فإنهم يتخيرونها وينتقونها من بين أصائل الخيل وعرابها.

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص174 .

[2] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص619 .

[3] بهجت، منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، (92 ــ 897 هـ)، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، 1988م، ص149 .

الفصل الثاني

الخيـــل فـــي الشعـــر الأندلســـي في عصري الطوائف والمرابطين

كثر الشعر في الأندلس وتعددت أغراضه ومضامينه وازدهر ازدهـــاراً عظيمـــاً، فأصبح يضاهي الشعر المشرقي وربما يفوقه . وفي عصري الطوائف والمـــرابطين كان انتشار الشعر وازدهاره وتجويده كبيراً جداً لم نشهد له نظيراً في العصور التي سبقته وربما في العصور التي تلته؛ " وذلك لأن عصر المرابطين كان يمثل نضـــج الثقافة وينع ثمرتها التي تعهدتها الرعاية والعناية مدة ثلاثة قرون " [1]، وبعـــد هـــذا التطور والنضج فإنه لا بدَّ أن يواكب الشعر كل ما يجري في الأندلس، وأن يصـــف كل تلك المظاهر في تلك الجزيرة الخضراء الجميلة .

ومن بين تلك المظاهر التي حرص الشعراء على وصفها وذكرها فـــي شـــعرهم الطبيعة الحية وعلى رأسها الخيل، حيث تفنن الشعراء في وصف هذا الكائن القـــوي ورسموا له صوراً فائقة في الجمال، فنجد الشعراء والفرسان يصفون الخيل في حلهم وترحالهم وفي حربهم وسلمهم وفي مرحهم ولهوهم وصيدهم، وبرعـــوا فـــي بيـــان أصلها وفضائلها ومعرفة الأصيل من الهجين منها.

وظل الحصان يحتل مكانة مرموقة في الشعر الأندلسي، فما من شاعر أندلسي إلا ووصف الخيل في كثير أو قليل في شعره، وذلك لأنها وســـيلة مهمـــة يســـتطيع الأندلسي بواسطتها أن يجعل النصر حليفه، وأن يقلب مـــوازين القـــوى المتحاربـــة ويحقق النصر والمجد لصاحبه .

وهي إلى جانب ذلك كله خيل جميلة نجيبة وكريمة، فالأندلسي يفخر بتلك الخيـــل المطهمة المسومة التي يمتطيها لأنها كنز ثمين لا يعدله شيء : [2] (الرجز)

قلائـــدٌ نحن افتدينـــاهنَّ نعـــم الحصونُ والعداد هنَّ

وهذه القلائد أي الخيل لا يمكن أن تترك سدىً دون إشهارها وبيان أهميتها؛ لـــذا فقد نظم فيها العديد من القصائد الرائعة، ودخلت في مختلف الأغراض الأدبية : في المدح والرثاء والغزل والتشبيه وشعر الحماسة وغير ذلك .

---

[1] بهجت، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص17 .

[2] الجزائري، نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ص18 .

ومن خلال التأمل في النصوص الشعرية فإننا ندرك أن الشاعر الأندلسي كان يصف الخيل تارة بشكل مستقل وتارة أخرى يسلك وصفه في غرض آخر، يكون هذا الغرض مدخلاً لوصف الخيل أو وسيلة لتحقيقه وإظهاره [1] .

1.2 الخيل في قصائد مستقلة :

ويقصد بها أن يفرد الشاعر قصيدة مستقلة في وصف الخيل أو الجواد أو الفرس، وقد تكثر أبيات هذه القصيدة أو تقل بحسب المعاني التي يود الشاعر عرضها [2] ، وإفراد قصيدة خاصة في وصف الخيل يدل على الأهمية القصوى لهذا الحيوان، تلك الأهمية التي تجعل الشعراء ينشغلون به ويفردون له قصائد مستقلة يوضحون فيها دوره وصفاته .

ويقدم ابن خفاجة قدراً وافراً من النصوص الشعرية في وصف الخيل والفرس والجواد في عشرات من القصائد الشعرية، التي يتراوح عدد أبياتها ما بين أربعة وثلاثة وعشرين بيتاً، ثم يأتي من بعده من حيث العناية بوصف هذا الحيوان، الشاعر ابن حمديس الصقلي المعروف الذي عرض صوراً في هذا الوصف كانت وما تزال من أسباب شهرته وسمات تفوقه على أقرانه من الأدباء والشعراء المعاصرين له، فنجده يصف الخيل في مجموعات ذات أبيات قليلة لا تكاد الواحدة منها تتجاوز أربعة أبيات أو خمسة [3] .

هذا، ولم يبقَ شاعر أندلسي في عصري الطوائف والمرابطين إلا وأفرد قصائد مستقلة لوصف الخيل، ومن أشهرهم أمية بن أبي الصلت وابن الزقاق وغيرهما الكثير، وكانت أبيات تلك القصائد متفاوتة في العدد؛ مما يوحي بدلالة معينة، فالقصائد ذات الأبيات الكثيرة يفصّل الشاعر في المعاني التي يسبغها على الفرس، فيأتي وصفه مستوعباً لكل صفات هذا الكائن سواء أكانت الحسية أم المعنوية، حيث يمزج بين هذه الصفات بأسلوب جميل وتصوير واضح ودقيق .

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص197 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص197 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص20، ص198 .

ومن هذا قول ابن خفاجة في أبيات وضعت تحت عنوان " وقال أيضاً في صفة فرس ": [1] (الخفيف)

وَحُسَامٍ بكَفٍّ أشْوَسَ أجْرَى ... في الطُّلَى مَاءَهُ وَأَضْرَمَ نَارَهْ
عَطَفَ الضَّرْبُ منهُ عَارِضَ شَيْبٍ ... فانْحَنَى يَخْضِبُ النَّجِيعُ عِذَارَهْ
فَوْقَ وَرْدٍ مُحَجَّلٍ مَزَجَ الحُسْنُ ... بِمَرْآهُ مَاءَهُ وَعُقَارَهْ
خَلَّصَتْهُ نَارُ الطَّبِيعَةِ سَبْكاً ... وَأَسَالَتْ لُجَيْنَهُ وَنُضَارَهْ
قَدَحَ الرَّكْضُ زَنْدَهُ فَاسْتَطَارَتْ ... في دُخَانِ العَجَاجِ منه شَرَارَهْ
يَضْحَكُ الحَلْيُ فَوْقَهُ عن أَقَاحٍ ... نَثَرَتْهَا الصَّبَا على جُلَّنَارَهْ

فالشاعر في هذه المجموعة يفصّل في صفات هذا الحيوان الحسية والمعنوية، وهي صفات حسنة إيجابية يدور معظمها حول جمال مظهر الحيوان وقوة جسمه وسرعة حركته وكرم أصله، حتى غدا كأنه فريد في الخيل لا نظير له [2] .

ويسعى الشعراء إلى رسم صورة متكاملة للجواد لذلك يسبغون عليه كل صفات الجمال والقوة والرشاقة وكرم الأصل، فها هو ابن خفاجة يقدم قطعة شعرية فريدة من نوعها لجواد اكتملت فيه كل السمات المميزة له عن غيره .

وهذه القطعة مكونة من مجموعة صور ولوحات فنية لتخرج صورة رائعة لجواد سريع قوي يمزق حجب الغبار الكثيف، وينقضّ كأنه الشهاب الثاقب والبرق الخاطف من غير تجهم أو حزن أو تردد، بالإضافة إلى زينته وبهائه[3]، وبذلك فإن الشاعر قدّم صورة متآلفة الأجزاء تشي بقدرة الشاعر على التصوير، فهي دليل من أدلة " البراعة والجدة في التصوير " [4]، على حدّ قول بعض الباحثين، يقول ابن خفاجة : [5] (الكامل)

وَمُطَهَّمٍ شَرِقِ الأَدِيمِ كَأَنَّمَا ... أَلِفَتْ مَعَاطِفُهُ النَّجِيعَ خِضَابَا

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص211 – 212 .
[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص198 .
[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص32 .
[4] الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، ط2، دار المعارف، مصر، 1966م، ص111 .
[5] ابن خفاجه، الديوان، ص211 .

طَرِبٍ إذا غَنَّى الحُسَامُ مُمَــزِّقٍ ثَوْبَ العَجَاجَةِ جَيْئَةً وَذَهَابَــا
قَدَحَتْ يَــدُ الهَيْجَاءِ منــه بَارِقاً مُتَلَهِّباً يُزْجِــي القَتَامَ سَحَابَــا
وَرَمَى الحِفَاظُ به شَيَاطِينَ العِدَى فَانْقَضَّ في ليلِ الغُبَارِ شِهَابَــا
بَسَّــامُ ثَغْــرِ الحَلْيِ تَحْسَبُ أَنَّــهُ كَأْسٌ أَثَارَ بها المِزَاجُ حَبَابَــا

إن الشاعر خرج من مجموعة صوره الجزئية بصورة كلية جميلة أظهرت الجواد بمظهر لائق، اكتملت فيه كل الصفات التي يحبها العربي فيه .

ولعل من أشهر قصائد ابن خفاجة في وصف الخيل، قصيدته النونية التي يصــف فيها الفرس في عشرة أبيات بأنه دقيق الخصر ضامر البطن يسير بخيلاء واختيــال ونشوة، وهو لهذا السبب ولغيره، يملأ النفوس ثقة وسروراً، كما يملأ الأجفــان فــي جريه وهو يخوض يوم الكريهة، الذي غدرانه من بيض السيوف سبحاً [1]، وهــو حصان يسرُّ النفوس وتستمتع العيون في النظر إليه يقول : [2] (الكامل)

وَأَقَــبَّ وَرْدِيِّ القَمِيــصِ بِمِثْلِــهِ خِيضَ الظَّلامُ وَرِيعَتِ الظُّلْمَانُ
فَبَــدَا وقَــد مَلأَ النُّفُوسَ مَسَرَّةً وَجَرَى بما مُلِئَتْ بــه الأَجْفَــانُ
وَلَــرُبَّ يَــوْمٍ كَرِيهةٍ قد خَاضَهُ سَبْحَا وَبِيضُ سُيُــوفِهِ غُــدْرَانُ

ونجد مقطوعة شعرية أخرى لابن خفاجة يرسم فيها صورة لجواد يتمتع بصــفات عديدة، ويذكر الشاعر اللون ليجعله مقدمة لذكر تلك الصفات ككرم الأصل والقــوة والسرعة وضمور البطن، يقول ابن خفاجة : [3] (الخفيف)

رُبَّ طِرْفٍ كَالطَّــرْفِ سُرْعَــةَ عَدْوٍ لَيسَ يَسْرِي سُرَاهُ طَيْفُ الخيَالِ
إنْ سَرَى في الدُّجَى فَبَعْضُ الدَّرَارِي أَوْ سَعَى في الفَلا فَإِحْدَى السَّعَالِي
أَجَنُوبٌ تُقْتَــادُ لِــي مِــنْ جَــنِيبٍ أَمْ شَمَــالٌ عِنَانُهَــا بِشِمَــالِي
جَالَ فــي أَنْجُــمٍ مِــنَ الحَلْيِ بِيضٍ وَقَمِيــصٍ مِــنَ الصَّبَــاحِ مُذَالِ

ثم يوجز ابن خفاجة في وصف الفرس ويختصر معانيه فتكــون أبياتــه قليلــة لا تتجاوز الثلاثة؛ فيتحدث عن فرس أشقر جميل ويركز على صفات هــذا الفــرس

---

[1] بهجت، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، ص317 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص344 .

[3] ابن خفاجة، الديوان ، ص360 .

الحسية الخارجية خاصة لون الجسم وغرة الفرس فلونه ناضر وغرته جميلة، يقول : [1] (السريع)

وَأَشْقَرٍ تُضْرَمُ منه الوغَى ... بِشُعْلَةٍ مِنْ شُعَلِ البَاسِ
مِنْ جُلَّنَارٍ نَاضِرٍ لَوْنُهُ ... وَأُذْنُهُ من وَرَقِ الآسِ
يُطْلِعُ للغُرَّةِ في شُقْرَةٍ ... حَبَابَةً تَضْحَكُ في كَاسِ

ويمضي ابن خفاجة على النهج نفسه في تصوير الخيل فتارة يطيل وتارة يوجز، ولو تتبعنا ديوانه لوجدنا تلك القصائد العديدة التي يتحدث فيها عن الخيل، " فقد أفرد قصائد في صفات الأفراس، ومنها في فرس أشقر كما مرّ وأخرى في فرس أشهب وغير ذلك، وجميع هذه القصائد لا تعدو ما تقدم من أوصاف، فالخيل عنده تغري الجواد بأنه أملس الأديم طويل الشوى مستشرف بعنقه، قد أحرز المدى وأنال فارسه خصال العلا " [2] .

ولم تقتصر ظاهرة إفراد قصائد مستقلة على ابن خفاجة فقط بل نجدها شائعة عند شعراء آخرين وعلى رأسهم ابن حمديس، حيث يطالعنا في ديوانه عدد من القصائد والمقطوعات المستقلة التي يصف فيها هذا الحيوان .

فها هو يرسم صورة لجواد قوي شديد وسريع واسع الخطى سريع الانطلاق إذا ما جرى كأنه السيل الجارف، يسابق الريح فيتركها وراءه وهي تحاول التعلق بأذياله أو أذيال راكبه ولكنها لا تستطيع اللحاق به ويعجزها انطلاقه وسرعته، يقول ابن حمديس : [3] (المتقارب)

وَأَدْهَمَ يَنْهَبُ عُرْضَ المَدَى ... ويجري به كلُّ عِرْقٍ كريم
بعيني عقابٍ وشِدقَيْ غرابٍ ... وَأَرساغ جأبٍ ، وساقَيْ ظليم
كأنَّ البروقَ على جِسْمِهِ ... مَدَاوِسُ تصقُلُ منه أديم
وتحسبُ غُرَّةَ صبحٍ مُنيرٍ ... بَدَتْ منه في وَجْهِ ليلٍ بهيم

جيوب النقع وتشق الهبوة وتذري أدمع العرب. ويتناولها في قصيدة أخرى

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص123 .

[2] بهجت، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، ص317 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص424 .

واصفاً ولابن حمديس صورة أخرى تشابه هذه الصورة السابقة، حيث يصف الجواد بالسرعة والقوة وجمال المظهر، ويضيف صفة أخرى وهي شدة السمع حتى يبدو هذا الجواد كأن في أذنه مقلة يرى فيها الأشياء مستقبلاً ويرنو إليها من بعيد هذا بالإضافة إلى قوة بصره وحدته[1]، يقول في هذه الصورة: [2] (الطويل)

ومنقطعٍ بالسَّبْقِ من كلِّ حلبة ... فتحسبُهُ يجري إلى الرهنِ مُفْرَدَا
كَـأنَّ له فـي أُذْنِهِ مُقلةً يَـرى ... بها اليومَ أَشْخَاصاً تمرُّ به غـدا
تقيّـد بالسّبـقِ الأوابـدِ فوقـه ... ولو مرَّ فـي أثارهنّ مُقيـدا

ولعل ابن حمديس أضاف معنىً جديداً حيث جعل قوة السمع وشدته كالإبصار بالإضافة إلى البصر الحقيقي، ونلاحظ أن الشاعر قد أقام معناه على فكرة المزج بين وظائف الأعضاء والحواس منها بصورة خاصة [3]، فقدم صورة جديدة مبتكرة لجواد يتسم بسمات قلما يتسم بها غيره .

ويرسم ابن حمديس صورة متميزة أخرى لجواد سريع لا يخاف، من خلال مقطوعة شعرية صغيرة عنونها محقق الديوان بـ (وقال يصف فرساً) [4] : [5] (الخفيف)

ومديـدِ الخُطى كأنَّـكَ منـه ... تضعُ اللّبْدَ فوقَ تيّارِ سَيْـلِ
قيـدُ وحشٍ ، مَلاذُ خائرِ وهنٍ ... وقرى معقلٍ ، وحارسُ ليـل
أسْبِـقُ الرّيحَ فوقه فـإذا مـا ... فتّها أمسكتُ بفضلةِ ذيلـي

انظر الى هذا الجواد السريع القوي الذي يبدو كالسيل وهو ملاذ للضعفاء وكريم وحارس ليل يسبق الريح في عدوه وسرعته، ويركز ابن حمديس على سرعة الجواد في أغلب مقطوعاته، فيشبهه بالبرق من شدة السرعة حتى أنه يسبق ظله، يقول : [6] (الكامل)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص33 .
[2] ابن حمديس، الديوان، ص315 .
[3] السعيد، الشعر في ظل بني عباد، ص144 .
[4] ابن حمديس، الديوان، ص401 .
[5] ابن حمديس، الديوان، ص401 .
[6] ابن حمديس، الديوان، ص329 .

وَمُجَرَّرٍ في الأرْضِ ذيلَ عسيبِهِ حَمَلَ الزّبرجَدَ منه جسمُ عقيق
يجري ولمعُ البرقِ فـــي آثارِهِ من كثرةِ الكبواتِ غيرَ مفيق
ويكادُ يخرجُ سرعةً مـــن ظِلّهِ لو كانَ يرْغَبُ في فراقِ رفيق

ويكثر ابن حمديس من وصف الخيل، فنجد في ديوانه ما يزيد على ستة مواضع أفردها للحديث عن الخيل، منها ما يطول ومنها ما لا يتجاوز أربعة أبيات .

على أننا نجد هذه الظاهرة لدى شعراء آخرين، مثل أمية بن عبد العزيز حيث ينظم قصيدة بائية تتجاوز عشرة أبيات يفصّل فيها في أوصاف الخيل التي تعارفت العرب على أنها أوصاف حسنة ذات دلالة أكيدة لا تخفى، مثل كرم الأصل والقوة والسرعة وجمال المظهر وتناسق الأعضاء [1] .

يقول أمية بن عبدالعزيز : [2] (الكامل)

في كـلِّ مُنتصبِ القذالِ تخالُه رشأً بإحدى الجلهتين ربيبا
حكمَ الوجيهُ له وأعـوج أنّـه سيجيءُ فرداً في الجيادِ نجيبا
مـن أدهـمٍ للحلي فوقَ لبانه شهبٌ تضيءُ ظلامَه الغربيبا
مُتألـقٌ إفْرنده فـي حلكـةٍ فكأنّمـا سبـجٌ عليـه أُذيبا
أوْ أشهب صبغَ النَّجيعُ أديمَـه لونـاً أعـادَ لحسنـه تذهيبا
مَا خلْتُ ريحاً قبله امتُطِيَتْ وَلا أبصرتُ برْقاً قبلـه مَرْكُوبَـا
تردي بكلِّ فتىً إذا شهدَ الوغى نثر الرّماح على الدروعِ كعوبا
قد لوحته يدُ الهواجرِ فاغْتَـدَى مثـل القناةِ قصافة وشحوبـا

إن المتأمل في هذه الأبيات يجد أن الشاعر قد جعل اللون مدخلاً لوصفه الخيل، ثم بدأ بوصف كل جواد على حده ذاكراً صفاته التي تميزه عن غيره من لون وسرعة وقوة وغير ذلك .

ويقول ابن الزقاق البلنسي في وصف فرس : [3] (المتقارب)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص200 .

[2] أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز الداني (ت529هـ / 1134م)، تحقيق محمد المرزوقي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م، ص55 _ 56 .

[3] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص175 .

وأدهَمَ لــولا سنــا غُــرَّةٍ لــه لكسا البدرَ منــه سرارا
تلهَّبَتِ الأرضُ مِــنْ عَــدْوِهِ فأورى بزندِ الصّفا الصلدِ نارا
أقَبُّ إذا ما تعاطَــى السّبــاقَ مــع الهُوجِ أوثقهــنَّ إسارا
حَذَوْهُ الحديدَ اهتضاماً وظلمــاً ولــو أنْصَفُــوهُ حَذَوْهُ النُّضارا

ويبالغ ابن الزقاق في رسم صورة هذا الجواد الأسود الضامر، فهو يلهب الأرض من شدة عدوه ويسابق الرياح، لذلك فإنه كما يقول حصان مظلوم لأنه يرتدي حــذوة من حديد على حين أنه يستحق حذوة من ذهب أو فضة .

ويرسم أبو بكر بن بقي صورة لحصان سريع شديد الانطلاق في بيتين شــعريين فقط، يقول :[1] (الطويل)

ومسومَةٍ تحكي سنابكها الصَّفا وتنقضُّ منها بالضراغمِ عِقبانُ
نمتها إلى حرٍّ كريم صفاتهــا فللنبعِ أضــــلاعٌ وللآسِ آذانُ

إن هذه الصورة لا تقف عند معاني السرعة وشدة الانطلاق فقط، بل تتجاوزهمــا إلى الإشارة بكرم الأصل وحسن المظهر وتناسق الأعضاء وجمالهــا، فضلاً عــن هذا فإن الصورة قد تضمنت تشبيهاً دلَّ على معنى مبتكر وفكرة ذكيــة اســتطاعت الربط بين بعض أعضاء الجواد وأجزائه وأمور أخرى ذات دلالات جمالية واضحة [2] . وهذا التشبيه هو تشبيه الآذان بزهر الآس، وقد قال بعض الباحثين : " وينبغــي ألا نمرّ على تشبيه الآذان بالآس دون أن نعيره التفاتة ندرك بها ما صنعه الشــاعر من الربط بين النبع والأضلاع والأذن وزهرة الآس ..." [3] .

ويصــــف الشعراء الخيل وهــي مندفعة بسرعة شديدة، فالجواد عند ابــن عبــد الصمد من شدة سرعته قد استرخى لجامه، فهو يسير مع البرق ويسيل مع السيل من شدة ضخامته وسرعة سيره ويشبه العقاب اللينة الجناح:[4] (الطويل)

---

[1] ابن بسام، ا لذخيرة، ق2، م2، ص636 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص36 .

[3] شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر الطوائف، دار نهضة مصــر، القــاهرة، 1978م، ص150 .

[4] الأصفهاني، خريدة القصر، ق4، ج2، ص62 .

على سابحٍ فردٍ يفوتُ بأربعٍ له أربعاً منها الصَّبـا والشمائـل
من الفتخِ خوار العنانِ كأنّه مع البرقِ سارٍ أو مع السّيل سائل

والجواد من شدة حسنه وجماله يسر الناظرين، فها هو ابـن السـيد البطليوسـي يصف منظر الجواد، فمتنه أسود كأنه الظلام ووجهه اسـتمدّ ضـوءه مـن ضـوء الصباح، وهو سريع حتى أن راكبه يخال أنه يركب ريح الصـبا أو ريـح الشـمال العاصفة، يقول : [1] (الكامل)

قَصُرتْ له تسعٌ وَطَالَتْ أربعٌ وزكتْ ثلاثٌ منها للمُتَأمـلِ
وكأنَمـا سـالَ الظلامُ بمتنِهِ وبَدَا الصّبـاحُ بوجهـهِ المتهللِ
وكأنّ راكبَهُ على ظهرِ الصَّبَا من سرعةٍ أو فوقَ ظهرِ الشّمألِ

بل إن البطليوسي يخصص قصيدة تتجاوز خمسة أبيات لوصف الخيل متحدثاً عن أصلها ونجابتها، ويمزج بين صفاتها المعنوية والحسية، فهي كريمة الأصل سـريعة قوية، ويستعين الشاعر بعناصر الطبيعة لرسم صورة هذا الجواد، فغرتـه كهـلال البدر وسرعته كسرعة العواصـف، يقول : [3]

(الطويل)

كأنّ هِلالَ الفِطْرِ لاحَ بوجهِهِ فأعينُنـا شوقـاً إليـهِ تميـلُ
كأنّ الرّياحَ العاصفاتِ تُقِلّـهُ إذا ابتَلَّ منـهُ مِحْـزَمٌ وَتَليـلُ

وبذلك فإن المعالجة المستقلة لموضوع الخيل ضمن قصائد ومقطوعات شـعرية تعرض لنا صوراً شعرية مختصرة تفصّل في صفات الخيـل وأنواعهـا، ويكـون بعضها تصويراً دقيقاً ورائعاً للجواد وما يتسم به من سمات حسية أو معنوية، ومـا ذلك إلا بدافع الحب الشديد للخيل التي تشاركهم حياتهم وبيئتهم .

2.2 الخيـل ضمـن الأغـراض الشعريـة :

وبعد أن عرضنا كيف كان الشاعر يعالج موضوع الخيل فـي قصـائد مسـتقلة، نصل الآن إلى مجموعة أخرى في وصف الخيل في عهدي الطوائف والمرابطين،

---

[1] المقري، نفح الطيب، م4، ص157 .

[2] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص729 .

وهي التي يورد فيها الشاعر معانيه الوصفية للخيل ضمن الأغـراض الشـعرية مازجاً بين الغرض الرئيس للقصيدة وموضوع الخيل .

وتناول الشعراء لوصف الخيل ضمن موضوعات أخرى لا يقل أهمية عن نظيره في المعالجات المستقلة، سواء أكانت القصائد مطولة أم كانت موجزة ولو تصـفحنا دواوين الشعراء لوجدنا عدداً من الصور الوصفية للخيل قد وردت في موضوعاتهم الشعرية الرئيسية، ومنها المدح والرثاء والغزل والشعر الحماسي وغير ذلك .

1.2.2 المـــــــدح :

ازدهر شعر المدح في عهد ملوك الطوائف والمرابطين ازدهاراً كبيراً لم يسبق له مثيل في أي عصر من العصور، وذلك بسبب " اهتمام الحكام بهذا اللون من الشعر وسعيهم إلى إبراز مكارمهم وذكر مناقبهم الحميدة وبيان مزاياهم الحسنة وخصـالهم الكريمة " [1]، حتى بلغ الأمر بالشقندي أن يقول : " كل منهم قد خلـد فيـه مـن الأمداح ، ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح ..." [2] .

أما فيما يخصّ موضوع الخيل فإن المديح يقف على رأس الأغراض التي عـالج الشعراء مـن خلالهـا وبواسطتها وصـف الخيل، حيث" كـان الجواد والفـرس من أبرز موضوعات الشعراء ضمن المدح " [3]، حتى أن النثر كان يطرق موضوع وصف الخيل في مدحه " ولقد عمد بعض الكتاب إلى اتخاذ وصف الخيل وسيلة إلى المدح والمزج بين وصفها والثناء على الممدوح، فها هو أبو الأصـبغ بـن الأرقـم يربط بين صفات مهر وصفات مقاتل العامري في رسالة كتبهـا، ويجعـل المهـر مستعيرا صفاته من مقاتل " [4]، يقول : " استعيرت سرعته من إسراعك إلى المكارم وأخذ سبقه من سبقك إلى ندى حاتم، وعلم لين قيادك للصاحب واسترقت جحودتـه من سماع جودك على الطالب " [5] .

---

[1] طويل، يوسف، مدخل في الأدب الأندلسي، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1991م، ص16 .

[2] المقري، نفح الطيب، م3، ص190 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي، ص207 .

[4] القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص256 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص364 .

ولقد جاءت قصائد الشعراء المدحية مليئة بكثير من الصور للخيل والجياد بما يتناسب مع معاني المديح ويتآلف معها، ونجد شعراء مشهورين قد وصفوا الخيل ضمن المديح منهم ابن دراج وابن حمديس وابن خفاجة وأمية بن أبي الصلت وغيرهم .

إن المتأمل في النصوص الوصفية للخيل الواردة ضمن المديح يجدها تتجه اتجاهين رئيسيين :

أولهما : يتمثل في الربط بين الصفات المادية للممدوح، وفي مقدمتها وأهمها الكرم وما يتعلق به من أمور أخرى يمكن أن تعد مساعدة وتابعة له، مثل جمال المظهر وتناسق الأعضاء واستقامة الخلق، وصفات الجواد الظاهرية المتمثلة في اللون والشكل والمظهر بوجه عام [1] .

وأما ثانيهما : فيتمثل في الربط بين صفات الجواد وصفات الممدوح، وإعطاء صورة اعتماد الأول منهما على الثاني، واستمداده الشمائل المعنوية منه، ومن أبرز هذه الصفات : الشجاعة والشهامة وسرعة النجدة وكرم الأصل والفضائل العالية السامية [2] .

ويبرز هذان الاتجاهان عند ابن خفاجة هذا الشاعر الذي يأتي في مقدمة شعراء الأندلس من حيث وصفه الخيل مازجاً ذلك بالمدح؛ ذلك لأنه مدح عدداً كبيراً من الأمراء والوزراء والقضاة، وكان من وسائله في مدحهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم وصفه لخيلهم بصفات تتفق مع صفاتهم .

فها هو يهدي مهراً لأحد ممدوحيه، فيصف هذا المهر الأدهم ويحث الممدوح على قبوله مشيراً إلى ما يتمتع به من مناقب فهو كريم كالمطر، في حين أن هذا المهر كالريح، وتتشابك هذه الصفات وتشترك لتعبر عن صفات المهر وصفات الممدوح فتبدو مكملة لبعضها البعض، يقول ابن خفاجة : [3] (المنسرح)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص40 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص41 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص191 _ 192 .

تَقَبَّلِ المُهْرَ مِنْ أَخِـــي ثِقَةٍ أَرْسَلَ رِيحاً به إلى مَطَـــرِ
مُشْتَمِـــلاً بالظَّلامِ من شِيَةٍ لَمْ يَشْتَمِلْ لَيْلُهَا على سَحَـــرِ
مُنْتَسِبـــاً لَوْنُـــهُ وَغُرَّتُهُ إلى سَوَادِ الفُؤَادِ والبَصِـــرِ
تَحْسَبُهُ من عُلاكَ مُسْتَرَقـــاً بَهْجَةَ مَرْأَى وحُسْنَ مُخْتَبَـــرِ
حَنَّ إلى رَاحَةٍ تَفِيضُ نَدىً فَمَالَ ظِلٌّ به على نَهَـــــــرِ

إن هذه الأبيات تتناول صفات الممدوح من خلال صفات جواده، وفيهـــا يحـــاول الشاعر أن يقابل بين هذه الصفات منطلقاً من إعجابه بممدوحة وحرصه على إظهار صفاته وشمائله العالية [1]، على أن الشاعر مع ذلك لم يغفل قيمة الجـــواد وصـــفاته، فإذا مضينا في الأبيـــــات وجدنـــا الشاعـــر يصف المهر بأنـــه إذا انطلـــق كـــان كالضوء الساطع أو الشرر المنبعث يمتع طرف المحب ويسري عنه قلقه ويســـليه، ويحمي ظهر راكبه ويجري به كالشهاب الثاقب والنجـــــم اللامع: [2] (المنسرح)

تَرَى بـــه والنَّشَـــاطُ يُلْهِبُـــهُ ما شِئْتَ من فَحْمَةٍ وَمن شَرَرِ
لوْ حَمَلَ اللَّيلُ حُسْنَ دُهْمَتِـــهِ أَمْتَعَ طَرْفَ المُحِبِّ بالسَّهَـــرِ
أَحْمَى مِنَ النَّجْمِ يومَ مَعْرَكَةٍ ظَهْراً وأَجْرَى به مِنَ القَـــدَرِ

ويستمر الشاعر في حديثه مصوراً العلاقة بين المهر والممدوح، فهو ليل بهـــيم لا يستغني عن غرة القمر وطلعته، ومن هنا فقد كان تقبله وإسداء الشكر على إهدائـــه هذا المهر لا يعني سوى صدق النية وإخلاص الطوية وكرم الخلق، وحسن الذوق إذ إنه قد جمع بين النسيم والزهر[3] ، يقول: [4] (المنسرح)

فَـــازْدَدْ سَنـــاً بَهْجَةٍ بدُهْمَتِهِ فَاللَّيْـــلُ أَذْكَـــى لِغُرَّةِ القَمَـــرِ
وَمِثْـــلُ شُكْـــرِي علـــى تَقَبُّلِهِ يَجْمَعُ بينَ النَّسيمِ والزَّهَـــرِ

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص41 .
[2] ابن خفاجة، الديوان، ص192 .
[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي، ص42 .
[4] ابن خفاجة، الديوان، ص192 .

ويخلط الشاعر في صوره التكافؤ والتوازن بين صورة الممدوح المعنوية وصورة الفرس المعنوية، فنجده يصف الجواد في رحلته إلى الممدوح بأوصاف شبيهة بأوصاف لخصال تكون مصاحبة للممدوح، يقول ابن خفاجة : [1] (الطويل)

وَأَبْلَقَ خَوَّارِ العِنَانِ مُطَهَّمٍ طَوِيلِ الشَّوَى والشَّأْوِ أَقْوَدَ أَتْلَعَا
جَرَى وجَرَى البَرْقُ اليَمَانِي عَشِيَّةً فَأَبْطَأَ عنه البرْقُ عَجْزاً وَأَسْرَعَا
كَأَنَّ سَحَاباً أَسْحَماً تحتَ لِبْدِهِ تَضَاحَكَ عن بَرْقٍ سَرَى فَتَصَدَّعَا
وَحَسْبُ الأعَادِي منه أَنْ يَزْجُرُوا بِهِ مُغِيراً غُرَاباً صَبَّحَ الحَيَّ أَبْقَعَا
كأَنَّ على عِطْفَيْهِ من خِلَعِ السُّرَى قَمِيصَ ظَلامٍ بالصَّباحِ مُرَقَّعَا
رَكَضْتُ به بَحْراً تَدَفَّعَ مَائِجاً وَأَقْبَلْتُ أُمَّ الرَّأْلِ نَكْبَاءَ زَعْزَعَا
يُؤَلِّلُ من أُذْنٍ فَأُذْنٍ تَشَوُّفاً إلى صَرْخَةٍ من هَاتِفٍ وَتَطَلُّعَا
كَأَنَّ لهُ من عَامِلِ الرُّمْحِ هَادِياً مُنِيفاً ومن ذُلْقِ الأسِنَّةِ مِسْمَعَا
فَسَكَّنْتُ منه بالتَّغَنِي على السُّرَى أُمَسِّحُ من أَعْطَافِهِ فَتَسَمَّعَا
ولمّا انْتَحَى ذِكْرُ الأميرِ اسْتَخَفَّهُ فَخَفَّضَ من لَحْنِ الصَّهِيلِ وَرَفَّعَا
حَنِيناً إلى المَلِكِ الأَغَرِّ مُرَدِّداً وَشَجْواً على المسْرَى القَصِيِّ مُرَجَّعَا
فَعَنْ حُبِّ إبْرَاهِيمَ أَعْرَبَ صَاهِلاً وفي نَصْرِ إبراهيمَ كَرَّ تَشَيُّعَا

إن المتأمل في هذه الأبيات يلاحظ حرص الشاعر وبراعته في وصف الجواد المتصل صلة مباشرة بالممدوح من جهة، وذات صلة مباشرة بصفاته هو من جهة أخرى، فالأبلق الجميل المضيء وخوار العنان : سريع العطاء لا يتأخر ولا يعرف التردد، وكذا المطهم الذي تمثل بجميع سجايا الجمال والحسن والثناء والكرم صار مثلاً في هذه الخلال وموطن إعجاب كثيرين من الناس، وموطن فخر وعز للأهل والأصحاب [2] .

والجواد سريع تفوق سرعته سرعة البرق، وهذه صفة تقابل صفة الشجاعة والإقدام عند الممدوح وصفة الكرم، فهو يعطي المال ويبذله بكثرة، فابن خفاجة

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص57 ــ 58 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص46 .

يسعى سعياً مباشراً إلى إظهار الصلة القوية بين الجواد والممدوح هذا الشخص الذي يراه ابن خفاجة مؤهلاً للاحترام والتكريم .

ويمضي ابن خفاجة في قصائده المدحية الأخرى على النهج نفسه إذ يصف الخيل مازجاً صفاتها وشمائلها بصفات الممدوح، مثل قصيدته الرائية في مديح أبي الحسين بن الربيع، وقصيدته في مراجعة الكاتب أبي عبد الله بن عثمان جواباً على شعر كتب به إليه [1] .

ولا يقتصر وصف الخيل ضمن المديح على ابن خفاجة، بل نجده عند شعراء آخرين تغنوا في رسم صورة الجواد أو الفرس من خلال مزجها ضمن موضوع المديح، فها هو ابن دراج القسطلي يجعل شجاعة الممدوح مستمدة من شجاعة جواده، يقول : [2] (الطويل)

شُجَاعٌ ولكنَّ الجيَادَ حُصُونُـه كريـمٌ ولكنَّ المَعَالي كرائِمُه

وهي خيل كريمة تشترك مع صاحبها في صفاته المعنوية، فهذا الممدوح كريم يوزع المال على الرعية ويسعى لراحتهم والخيل تشاركه في ذلك، يقول ابن دراج القسطلي : [3] (البسيط)

وَأتْعَبَ الخيلَ إيثاراً لِراحَتِنا وَفَرَّقَ المالَ إكراماً لِمُثْوَانا

ويضع أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز أمامنا صورة مزج فيها بين صفات الممدوح وجواده حتى لا يكاد القارئ يفرق بينهما أو يستطيع الفصل بين الصفات التابعة لكل منهما، والشاعر خلال هذا كله يعجب ويحمل القارئ أو السامع على الإعجاب بطرف الممدوح، كيف يتمكن من الاحتفاظ بحجاه واتزانه حين ينطلق به جواده سامياً رفيعاً يسابق البرق وينهب الأرض ويطوي المسافات البعيدة، مخلفاً الرياح وراءه تشكو ألم التخلف والعجز عن اللحاق به، فهو السيل العرم والبحر الخضم : الكوكب لجامه والأهلة سرجه، وبهذا التصوير القائم على المبالغة والخيال

---

[1] انظر، ابن خفاجة، الديوان، ص142، ص256 .

[2] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص294 .

[3] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص224 .

الواسع يجعل الشاعر الجو ملائماً لصفات الممدوح، ويمهد للدخول في عرض صور منها [1]، يقول الشاعر في قصيدة جيمية : [2] (الكامل)

عجباً لطِرْفك إذْ سَمَا بكَ متنُه كيفَ استقلَّ بما عليه من الحجى
سبقَ البروقَ وجاءَ يلتهمُ المدى فثنى الرِّياحَ وراءَه يشكو الوجى
وَعَدا فألحقَ بالهجائنِ (لاحقاً) وأراكَ (أعوجَ) في الحقيقةِ أعوجا
كالسّيلِ مجَّتْهُ المذانبُ فانْكفا والبحرُ هزّته الصّبا فتموَّجا
وَمَشَى العَرَضنةَ بالكواكبِ ملجَماً مِمَّا عليه وبالأهلَّةِ مسرجا
مَا دونَ كفك مرتجىً لمؤمّل لم يُلفِ بابك دون سيبك مرتجا
بك يُستجارُ من الزمانِ وريبه وإليك من نوبِ الليالي يُلتجا
فمتى نقس بك ذا ندىً كنت الحَيا صدقَتْ مخيلَتُه وكانَ الزبرجا
وإذا عِداك بَغَوْا وسعْتَهمُ ندىً وتكرُّماً وتعففاً وتحرُّجا

ويمزج ابن زيدون بين صفات الجواد والممدوح مزجاً رائعاً، فيجعل هذا الممدوح يجري كما تجري المذكيات الغلاب أي التي بلغت السنتين من عمرها وقويت، فيسبق هذا الممدوح الناس جميعاً ويغلبهم في كرمه : [3] (الطويل)

رأيتُكَ جاراكَ الورَى ، فغلبتَهُمْ لذلك جَرْيُ المُذْكِياتِ غِلاب

وفي قصيدة طويلة لابن حمديس نقرأ هذه الصورة إلى جانب صور أخرى في وصف الفرس والجواد، وقد نظمها الشاعر في المديح أصلاً، ومطلع القصيدة : [4] (الكامل)

جاءتكِ أولادُ الوجيهِ ولاحقٍ فأرَتْكَ في الخَلقِ ابْتداعَ الخالقِ

ويأتي إلى صورة الجواد التي حاول أن يلون وينوع فيها بين أوصاف الخيل، فيقول : [5] (الكامل)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي، ص48 .
[2] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص71 ــ 72 .
[3] ابن زيدون، الديوان، ص445 .
[4] ابن حمديس، الديوان، ص330 .
[5] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

وَرْدٌ تميّــعَ فيــه عَنْدَمُ حُمْــرَةٍ كالوردِ أُهْدِيَ فـــي الرّبيعِ لناشق
وكأنّــه وكــأنَّ غــرّةَ وجهــهِ شفقٌ تألّــقَ فيــه مطلــعُ شارق
وكأنَّ صبحاً خــصَّ فاه بقبلــةٍ فابيضَّ موضعُها لِعَيْنِ الرامــق

وعلى نهج هذه الصورة يمضي الشاعر في عرض صور أخــرى فــي وصــف الجياد والخيل، وهو في طريق المدح والتغني بصفات الممــدوح وشــمائله، ونقــرأ صورة أخرى لأمية بن عبدالعزيز يوجه فيها خطاباً إلى شخص ينسب إليــه جــواداً متصفاً بصفات عديدة وملامح كثيرة من صفات الجمال والقوة والســرعة وتناســق الأعضاء وحسن المظهر، يقول : [1] (الطويل)

شهدتُ لقدْ فــاتَ الجيــادَ وبَذَّها جوادُك مــن وارد ومــن شُقَّــرِ
جواد تبدتْ بينَ عينيــه غــرّةٌ تريكَ هِلالَ الفطرِ في غرّةِ الشَّهرِ
وما اعتنّ إلا قلت أسألُ صاحبي بعيشكَ من أهدى الهلالَ إلى البدرِ

والجواد وسيلة رئيسية للحرب عند ابن حمديس، فها هــو يمــزج بــين صــفاته وصفات الممدوح، " فهذا الجواد هو الركن المعتمد في تحقيق النصر على الأعــداء، لذلك يؤكد الشاعر على شجاعته وقوته وعلى شجاعة الممدوح وقوته وحسن تصرفه وإدارته المعارك، حتى يتحقق له النصر ويغدو سيداً بارزاً وعلماً واضحاً بين أقرانه وأنداده من الأمراء والفرسان ذوي الشجاعة وقوة البأس وشــدة الــبطش ومضــاء العزيمة "[2]، يقول ابن حمديس في إحدى قصائده التي يصف فيهــا الخيــل ضــمن مديحه لصاحب ميورقة : [3] (الكامل)

وكأنَّما اقتسمتْ عيــونَ أجــادلٍ وشدوقَ غربــان وســوقَ نقانــقِ
قُدْهــا تخــبُّ بكــلِّ ذِمْرٍ أبلــهٍ بخــداعِ أبطــالِ الوقائــعِ حــاذق
وإذا أثــرنَّ بنقعهــنَّ سحائبــاً صبّت على الأعداءِ صوبَ صواعق

---

[1] ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/ 1259م)، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبنــاني، بيــروت، 1989م، ص57 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص49 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص 331.

أصبحتَ في السادات ناصرَ دَوْلَةٍ تصــفُ العُلى ( ) عــدل مناطق
بطلاً يطولُ بذكــرِهِ فــي سلمِــه كصياله بحسامِــهِ فــي المــازق
مترحلاً نحــو المعالــي ساكنــاً بالجيشِ فــي ظلِّ اللواءِ الخافــق

ويستغل ابن السيد البطليوسي وصفه للخيل ليمدح فيها الظافر بن ذي النون الذي علا ظهر جواد عريق النسب من آل الوجيه ولاحق، وشكله الخارجي جميــل فهــو يجمع بين السواد الكاتم المظلم كالليل وبين البياض القليل، فيحاول الشاعر أن يقابــل بين صفات هذا الجواد الأصيلة وبين صفات الممدوح، منطلقــاً لإظهــار صــفات وشمائل الممدوح العالية من خلال فرسه، يقول: [1]

(الطويل)

وأدهمَ من آلِ الوجيــهِ ولاحــقٍ له الليلُ لــونٌ والصباحُ حجولُ
إذا الظافرُ الميمونُ في متنِهِ عَلا بدَا الزَّهوُ في العطفين منه يحولُ

ويمدح الأعمى التطيلي الأمير علي بن يوسف بن تاشفين فيسبغ عليه كثيراً مــن الصفات، فهو كريم معطاء يهب الخيــل المضمــرة التــي تشبه العقبــان[2]، يقول : [3] (البسيط)

الواهبُ الخيلَ عِقْبَاناً مُسَوَّمَــةً لو سُوِّمتْ قبلها في الجوِّ عِقْبــانُ
من كلِّ ساعٍ أمامَ الرِّيحِ يَقْدُمُها منــهُ مهاةٌ إذا شــاءتْ فسِرْحَــانُ

وهذه الخيل مرتبطة بغزوات الممدوح، ففي قصيدة مدحية طويلة يصور الممدوح وهو يقود الجياد الضامرة كالقسي الجارية كالقنا، ويعود ثانية ليشبهها فــي جريهــا بالأفعى والأسد لسرعتها وقوتها، يقول الأعمى التطيلي: [4] (الخفيف)

أنتَ قُدْتَ الجيادَ مثلَ بَنَاتِ العُصْمِ أوْ مثــلَ أُمَّهــاتِ الرِّئــال

---

[1] المقري، أحمد بن محمد التلمساني المغربي (1041هـ/ 1631م)، أزهار الرياض في أخبــار عيــاض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940م، ج3، ص108 .

[2] منصور، الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، ص172 .

[3] الأعمى التطيلي، الديوان، ص219 .

[4] الأعمى التطيلي، الديوان، ص102 .

ضُمَّــراً كالقِســيِّ ، مُطــرَّدَاتٍ كالقَنَــا ، مُستَشِقَّــةً كالنِّبَال
مــن منايــا الأوَابِــدِ المُستَفَــزَّا تِ وأقواتِ الضيِّعِ الأغفال

وابن الحداد في مديحه المعتصم بن صمادح يجعل الخيل ترفس الأعداء وتهــاجم كما يهاجم الممدوح أعداءه، فهذه الخيل تهوي نحو المعترك مندفعة كاندفاع الســيل الجارف، يقول : [1] (البسيط)

والآنَ قد آنَ من شُهْبِ الصِّفاحِ لهمْ دَرْءٌ ومن صافناتِ الخيلِ مُنْدَرَأ

ولو رجعنا مرة أخرى إلى ابن خفاجة لرأيناه يتغنى بشــجاعة ممدوحــه ويفخــر بمآثره وقوته، ويركز على الجواد وأهميته، فهو الذخر والملاذ الــذي يتكــئ عليــه الفارس المحارب، وهو ركن مهم لا يمكن الاستغناء عنه في الحروب بالإضافة إلى السيف والرمح، يقول : [2] (الطويل)

عَشِيَّةَ لا مثــلَ الجوادِ ذخيــرةٌ ولا مثــلَ رَقْرَاقِ الحديدِ عَتَــــادُ
إذا رَابَ خَطْبٌ حَفَّزَتني ثلاثــةٌ سِنَانٌ وعَضْبٌ صَــارِمٌ وجــوَادُ
فَبِــتُّ ولا غيرَ الحُسَامِ مُضَاجِعٌ ولا غيــرَ ظهر الأعْوَجِيِّ مِهَــادُ

ومرة أخرى تلتقي صفة الكرم عند الممدوح بصفات الخيل فمثلمــا يســبق هــذا الممدوح الناس في كرمه، فإن جياده أيضاً سابقة، يقول أبو محمد بن عبد الغفور في مدح الأمير أبي بكر يحيى بن سَيْر ذاكراً جواده السابق : [3]

(مخلع البسيط)

يــا ملكــاً لــمْ يزلْ قديماً بِكُــلِّ عَلْيَــاءَ جِــدَّ وامِــقْ
وسابقاً فــي النَّــدى أتتنــا جِيَــادُهُ فــي المــدَى سَوَابِقْ
لله منهــــا أسيــلُ خَــدٍّ هَرِيتُ شِدْقٍ مثــــل الجَوَالِق
ذو وحشةٍ في الصَّهيلِ حَلَّتْ منــهُ علــى أكرَمِ الخلائِــق
خَبَّ غَــدَاةَ الرِّهــانِ حتــى أجْهَــدَ فــي إثْــرِهِ البوارِق

---

[1] ابن الحداد، الديوان، ص125 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص132 – 133 .

[3] الأصفهاني، خريدة القصر، ق4، ج2، ص424 .

فهذا الحصان أسيل الخد واسع الشدق، قوي الصوت، سريع الجري يتقدم على سواه من الخيل الضامرة .

لقد أبدع الشعراء في عصري الطوائف والمرابطين في وصفهم الخيل وإدخالها في مواضيع المديح، حيث كانت وسيلة مهمة يستعين بها الشاعر لكي يضفي على ممدوحه أجمل الصفات وأحسنها، وقد تفنن الشعراء في وصفهم هذه الخيل فبدت كأنها لوحات فنان أبدع رسمها وأتقنه، فكشفت هذه اللوحات عن صورة الممدوح وقدمت صفاته الحسية والمعنوية .

2.2.2 الرثـــــــاء :

يعدّ الرثاء من أشهر موضوعات الشعر نظماً وأصدق ما يكون الشاعر فيه؛ فقد سُئل البحتري عن سبب تفوق رثائه على مديحه فقال : " من تمام الوفاء أن يعلو على المدح الرثاء "[1]، فالوفاء للمرثي في الشعر سبب في تفوق هذا الشعر، ويعدّ " الرثاء ضرب من المديح إلا أنه يقال في الميت "[2] ، أو هو كما يقول ابن رشيق : " وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يخلط الرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت "[3]، أو هو فن البكاء على الميت وهو شعر غنائي وكثيراً ما يلجأ إليه الشعراء للترويح عن أنفسهم فيعددون محاسن موتاهم ويظهرون الأسى والحزن عليهم .

وكما كانت الخيل مصدر المعاني في المدح فإنها في الرثاء مثار انسياب العواطف والأشجان لدى الشعراء، يبثون أنفسهم ومرثّييهم كوامن الحزن على مناقب الأبطال والأمراء الأموات بعد أن كانوا على صهوات خيلهم يصولون ويجولون، فتشمخ بهم هذه الأخيرة وينتابها من الفراغ والوحشة والانكسار، ما

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ/ 966م)، الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، ج21، ص42 .

(2) الربيعي، أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، 2001م، ص196 .

(3) ابن رشيق القيرواني، الإمام أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت463هـ/ 1070م)ن العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، 1981م، ج2، ص147 .

تتوجع له القوافي وتنكسر الرايات فتخلو الساحات من البطولات والمكرمات والتضحيات الجسام، وما يتعلق بذلك من سكينة واستقرار، كل ذلك ضمن قصائد، ترشح بالصدق والإثارة الوجدانية، تشكل الخيل فيها نسبة كبيرة من الصور والمعاني، فإذا بنا أمام خيل تاهت بفقد فرسانها، عن مرابطها، وفقدت القيادة والحومات الميدانية التي كانت تتخايل فيها منقضة على الأعداء ساحقة في جريها ووثوبها الحصى والحجارة، صاهلة منجردة، مندفعة في طيات الريح كالعقبان والنسور، يقول ابن شرف :[1] (الطويل)

وباتتِ الخيلُ يَقْدَحْنَ الحصَى حَنَقاً حتى تضرَّمَ حبلُ الليلِ والتهبَا

لقد أكثر الشعراء من رثاء بني عباد وزوال دولتهم والتفجع عليهم، فها هو ابن اللبانة الذي أكثر من مدحهم وقت سلطتهم، " نجده يتفجع على مصير آل عباد ورثاء أيامهم ويخصّ المعتمد بذلك "[2]، يقول :[3] (البسيط)

وأنتَ يا فارسَ الخيلِ التي جَعلتْ تختالُ في عُددٍ منهم وأعدادِ

ألقِ السِّلاحَ وخلِّ المشرفيَّ فقدْ أصبحتَ في لهواتِ الضَّيغمِ العادي

وهذان البيتان كناية عن المصير الذي انتهى إليه المعتمد وهو الموت الذي لا مفرّ منه، بعد أن كانت الخيل تختال زهواً بهذا الرجل، فها هي الآن تمشي وتمرح وحدها دون أن يمتطيها أحد، يقول ابن عبدالصمد في رثاء المعتمد:[4]

(الكامل)

والخيلُ تمرحُ والفوارسُ تنحنِي بينَ الصَّوارمِ والقَنَا الميّادِ

لقد أجاد ابن عبد الصمد في شعره هذا في رثائه المعتمد، فقد قال هذه القصيدة على قبر المعتمد، حيث أشار إلى سعة ملكه وأملاكه ومنها الخيل الكثيرة التي تمرح

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص886 .

[2] الداية، في الأدب الأندلسي، ص154.

[3] ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة الداني، ص40 .

[4] لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن الخطيب السلماني (ت776هـ/ 1374م) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، طبعة بيروت، 1956م، ص165 .

دون صاحب، حيث أن صاحبها ترك كل شيء ومضى إلى الموت [1]، فقد كبا بـــه الجواد وأدبرت عنه الدنيا وخرج من إشبيلية للأبد [2]؛ لذلك فإنه ترك الجياد وغادرها لغير رجعة، يقول ابن اللبانة : [3] (البسيط)

راحَ الجَيَا وغَدَا منهُم بِمَنْزلَـــةٍ كانَتْ لَنا بُكَرٌ فيهـــا ورَوْحَاتُ

أرضٌ كأنَّ على أقطارِها سُرُجاً قـــد أوقدتهنَّ بالأذهانِ أنبـــاتُ

فالمعتمد يترك الجياد بعد أن أصبح من خلالها وكرِّها وفرِّها بمنزلـــة رفيعـــة لا تضاهي منزلة لأنها وسيلة للعز والمجد .

والخيل في الأندلس تبكي على صاحبها لأنها لا تستطيع الصبر على فراقه؛ لذلك فإن صهيلها كأنه نياح على صاحبها الذي فقدته، يقول ابن حمديس في رثاء القائـــد أحمد بن إبراهيم بن أبي بريدة : [4] (الخفيف)

كم جوادٍ بكاكَ غيرَ صَبـــــورٍ فنياحٌ عليكَ منـــه الصَّهـــيل

وهذا الجواد الباكي يجعل كل الخيل المحيطة به تبكي، يقول ابن حمديس في رثاء الشريف الفهري علي بن أحمد الصقلي : [5] (الطويل)

وأجرَدُ يُبكي الجردَ يومَ صهيله غدا مُرْجَلاً عنه فلم يَسُدِ الجردا

فهذا الحصان الكريم يصهل باكياً على فارسه الذي رحل عنه فأبكى جميـــع تلـــك الخيل الكريمة النجيبة .

وعندما يرثي ابن الزقاق أرقم بن لبون نجده يتفاخر بقوة هذا الرجل الذي سعى إلى خوض الغارات والحروب على خيل قوية ملأت الفضـــاء صهيـــــلاً وغبـــــــاراً، ولكنها بعد موته بكت عليه، وهي خيل كريمة نابعة من أصل كريـــم مـــن أعـــوج، ويصف الشاعر صوت بكاء هذه الخيل فهي تحمحم في صدرها صوتاً يتردد ويتقطع

---

[1] الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1973م، ص538 .

[2] الدقاق، عمر، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق العربي، بيروت، ص177.

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص105 .

[4] ابن حمديس، ديوان، ص400 .

[5] ابن حمديس، الديوان، ص164 .

حزناً على فارسها الذي فارقها، يقول ابن الزقاق: [1] (الكامل)

وَسَرى إلى الغاراتِ وهي كتيبةٌ مَلءَ الفضاء فوارساً وخيولا

فبكَى الحصانُ الأعوجيُّ تحمحماً والهندوانيُّ الجُرَازُ صليـــلا

والمرثي عند ابن الزقاق فارس مغوار لا يعدله شخص في ذلك؛ لذلك فإنه تـرك الخيل السريعة القوية المعلمة بعلامات الجمال دون صاحب مما دفع ابن الزقاق إلى التساؤل بقوله : [2] (الكامل)

ولمنْ تركتَ الصَّافناتِ كأنَّهـا موسومةٌ باللؤْمِ وهي كرام

والخيل تحمي صاحبها من الموت فهو إن خاض على صهوتها غمـار الحـروب والمكاره فإنها تقيه من القتل والموت، ولكن المنية إذا أتت شخصاً فإنها لا تُردُّ، قال ابن الزقاق يرثي : [3] (الطويل)

فهلاً وقدْ خاضَ المكارةَ لُجَّـةً وقاهُ من الجُردِ العِتاقِ صَفين

وتشترك الخيل في البكاء على فارسها مع السيوف والرماح : [4] (الطويل)

بكتْهُ سيوفُ الهندِ مِلءَ جفونها وَسُمْرُ العوالي والعِتاقُ الشوازب

ويعزّ على الخيل المطهمة فراق صاحبها، فهي لا تجد لها مجالاً للدفاع عنه أمـام المنية، فتخضع للقدر المحتوم ذليلة خاشعة في المرابط، يقول ابن زيدون في إحـدى مراثيه : [5] (الطويل)

يغيظُ العِتاقَ الجُرْدَ ألا ترى لها مجالاً ، فتعنُو في المَرابطِ خُشَّعَا

والمنية قضاء محتوم لا يستطيع أن يردها شخص مهما بلغت قوته؛ لـذلك فـإن المرثي لو ناله غير القضاء المحتوم وهو الموت لثارت الحروب الطاحنة التي تتعثر فيها الخيل والرماح، ولكن المنية هي التي داهمته فلـم تسـتطع الخيـل السـريعة

---

[1] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص243 _ 244 .

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص264 .

[3] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص280 .

[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص106 .

[5] ابن زيدون، الديوان، ص584 .

القوية أن تردها عنه، يقول ابن زيدون :[1] (الطويل)

إذا عثَرَتْ جُرْدُ العَناجيجِ في القَنا بليلِ عجـــاجٍ ليسَ يصدَعُـــهُ فَجْـــر

غُشِيتَ !! فلم تَغْشَ الطِّرادَ سَوابحٌ ولا جُرّدتْ بيضٌ ، ولا أُشْرِعَتْ سُمْر

وها هو ابن الحداد يدعو إلى إيقاف الخيل السريعة عن الســباق؛ وذلــك لأنهــا ستخسر الرهان أمام الموت الذي في جريه لا يعرف الكلال أبداً، فلا مجال للســباق أمام هذا القدر المحتوم، يقول ابن الحداد في رثاء والدة المعتصم بــن صــمادح :[2] (الكامل)

فَعَلامَ تُسْتَاقُ العِتَاقُ وإنْ جَرَى وجَرَيْنَ جَاهِدَةً وَنَيْنَ وما وَنَى ؟

كأن الشاعر يقرر حقيقة دينية أكيدة لا مفرّ منها، وهي أنّ كل شيء سيموت حتى الخيل الكريمة السريعة فإنها تمشي نحو الموت .

ويتمنى ابن خفاجة على الخيل أن تحمل تحياته إلى قبر صاحبه الذي دُفــن فــي حمص ــمن أسماء إشبيلية ــ، ويتطرق في رثائه إلى وصــف الخيــل وتشــبيهها بالريح السريعة، فهي خيل سابحة كأنها تسبح في الهواء من شدة سرعتها وكريمــة في أصلها، وربما كان وصفه هذا من شدة لوعته، فهو يريد من هذه الخيل أن تبــذل أقصى ما بوسعها لكي تصل إلى قبر المرثي وتبلغه التحية :[3] (الطويل)

وَيَرْكَبُ مِنْ ريحِ الصَّبَا مَتْنَ سَابحٍ كَريمٍ ومن لَيْلِ السُّرى ظَهْرَ أَبْلَقِ

فَيُهدِي إلى قَبْرٍ بحمْــصَ تَحِيَّــةً متى تَحْتَمِلها رَاحَةُ الرِّيحِ تَعْبَــقِ

ويؤكد شاعر آخر على أن الخيل تبكي وتنوح على فارسها، فيخاطب هذه الخيــل الكريمة قائلاً لها أن تندب صاحبها الذي فجعت به كما فجعت به الرماح والسيوف، ويقول أن هذه الأصوات وهذا الصهيل الصادر عن هذه الخيل الذي يســمعه جميــع الناس ما هو إلا عويل وبكاء على هذا الفارس الذي اختطفته يد الموت، يقــول أبــو محمد غانم في رثاء بُلقيِّن بن باديس :[4] (الطويل)

---

[1] ابن زيدون الديوان، ص592 .

[2] ابن الحداد، الديوان، ص279 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص225 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص886 .

فَقُلْ لعتاقِ الخيلِ تندُبُ يَومَـــه فقد فُجعتْ فيه القنا والقنابـــلُ

وليسَ صهيلُ الخيلِ ما تسمعونَهُ ولكن عَويلٌ رجَّعتهُ الصَّواهلُ

وها هو أبو عمر بن الباجي يأمر الخيل بأن تبكي على فارسها الذي كان يركبهـــا ويرسلها كالرياح فتثير الغبار الكثيف الذي يلوث مفرق الشمس : [1] (الوافر)

لتبكِ الخيلُ مُرسلَها رياحـــاً تلوثُ بمفرقِ الشّمسِ الغُبَارا

لقد ادخل الشعراء موضوع الخيل في رثائهم لأنها تمثل إحدى الـــدوافع الكبـــرى لتعميق المشاعر، وتأجيج القريحة الشعرية، ومن شدة افتتانهم في هذه الخيل فـــإنهم تجاوزوا رثاء البشر إلى رثائها هي نفسها، إذ نجد عبدالله بن خليفة القرطبي يرثـــي مهراً لإقبال الدولة أُخذ له، وحُكيَ أن الذئب قد أكله، فيذكر الشاعر قصة ذلك المهر الذي يرثيه ويذكر صفاته التي تميز بها، يقول : [2] (البسيط)

يا ويحَ قلبي من دهـــرٍ تعمَّدنـــي بالنائباتِ فلاذتْ بي يدُ النّوب

حتى بمُهرٍ هضيم الكشحِ ذي هيفٍ كأنَّ أجزاءَهُ جأبٌ على نَسَبِ

حلوُ الصَّهيلِ لهُ في صوتِهِ فِتَـــنٌ كأنَّه حين يشدو بالثَّقيلِ ربـــي

إن الشاعر يصف هذا المهر الذي فقده وأصابته المصيبة لفقده، فيقول إنـــه مهـــر جميل متناسب الأعضاء والأجزاء هضيم الكشح ويتطرق إلى صـــوته، فهـــو حلـــو الصهيل حتى أنه إذا صهل فتن من يسمعه لأنه يشدو بألحان جميلة .

وبذلك خلط الشعراء الدمع بالحزن وبالمهابة والتعظـــيم المتـــزامن بـــين الخيـــل والفرسان، ومزجوا رثاءهم للأبطال بوصفهم لخيلهم التي تبكيهم كما يبكيهم البشـــر، وهذا أمر بدهيٌ لأن البطولة والفروسية العربية موزعة بين الفارس الصنديد والجواد الأصيل .

3.2.2 الغـــــزل :

وهو غرض شعري ينحو فيه الشاعر إلى نوع من الشعر الرقيق الـــذي يخـــتلط

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص200 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص352 .

بمشاعر الحب والعشق، تلك المشاعر التي يسعى من خلالها إلى توطيد علاقته بمن يحب .

وفي الأندلس كان كل شيء في تلك البيئة الجميلة يغري بالحب ويدعو إلى الغزل، ومن ثم لم يكن أمام القلوب الشاعرة إلا أن تنقاد لعواطفها، فأحبت وتغزلت، ثم خلفت وراءها فيضاً من شعر الغزل الرائع الجميل[1]، الذي كان يأتي في بعض الأحيان ممتزجاً بصور مأخوذة من الطبيعة كصور الحيوان ومنها الخيل، على أن الخيل لم تكن شائعة بكثرة في الغزل كما شاعت في المدح والرثاء .

وعندما يفتتح الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية كان ربما يمزجها بوصف الخيل، فهذا ابن زيدون يفتتح إحدى قصائده قائلا : [2] (الطويل)

أجلْ إنَّ ليَلى حيثُ أحياؤها الأَسْدُ مهاةٌ حَمَتْها في مراتِعِها أُسْدُ

إذا نحنُ زرنَاهَا تمرَّد ماردٌ وعزَّ فلم نظفرْ به ــ الأبلقُ الفردُ

تحولُ رماحُ الخَطِّ دونَ اعتيادِها وخيلٌ تمطَّى نحو غايتها جُرْدُ

لقد مزج الشاعر في مقدمته هذه بين صفات الجواد وصفات محبوبته، " ففي البيت الثاني حاول الشاعر أن يؤكد منعة حمى هذه الحبيبة، وصعوبة اقتحام هذا الحمى، ولكنه استعان بصفة الجواد الأبلق المتفرد ليدل على الحبيبة التي جمع بينها وبين الجواد جمال المظهر وبهاء اللون وتناسق الأعضاء والسرعة " [3] .

ثم نجد الشاعر في البيت الأخير يستعين بالجواد وصفاته، وهو جواد أجرد مطهم يساهم في حماية هذه المحبوبة؛ لذلك فإنه إحدى العقبات التي تحول دون الوصول إليها بالإضافة إلى الرماح الخطية .

وها هو ابن خفاجة يقتحم الليل والظلام الدامس على ظهر حصان أدهم سريع يطير به كالعقاب، قوي كاسر يتلوى كالأفعى ويعرج به نحو ديار حبيبته لكي ينزل ويراها، يقول : [4] (الكامل)

---

[1] عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص169.

[2] ابن زيدون، الديوان، ص426 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص251 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص282 .

طَافَ الظَّلامُ به فأسْرَجَ أدْهَماً وَسَمَا السِّمَاكُ له فأشرعَ لَهْذَمَا
وَسَرَى تطيرُ به عُقَابٌ كَاسِرٌ باتَتْ تُلاعِبُ مِنْ عِنَانٍ أرْقَمَا
فَلَوَيْتُ أعْنَاقَ المَطِيِّ مُعَرِّجاً وَنَزَلْتُ أعْتَنِقُ الأرَاكَ مُسَلِّمَا

يجعل ابن خفاجة في غزله الخيل المندفعة كأنها قُبلٌ على خد المحبوبة، بل هي ليست قبلاً وإنما هي لثم، وقد توحي هذه الصورة إلى الشراهة الجنسية عند الشاعر ورغبته العارمة في هذا الفعل اللثم والتقبيل، يقول: [1] (الطويل)

إلى حيثُ ألْقَى الرُّمحَ نَهْداً مُثَقَّفاً فَأُطْرُدُ خيلَ اللَّثْمِ في مَلْعَبِ الخدِّ

ويذهب ابن الحداد إلى ديار محبوبته على متن خيل جميلة تختال وتتكبر؛ وذلك لأنها ذاهبة إلى تلك المحبوبة، يقول ابن الحداد : [2] (الطويل)

مَرَادُ هَوىً حَفَّتْ به مُرْدُ العِدَى ودُونَ جِنَانِ الخُلدِ تُلْقَى المَكَارِهُ
وما خُيَلاءُ الخيلِ فيها سَجِيَّةً ولكنَّها لمَّا امتَطَوهَا تَوَائِهُ

إن هذا الخيل تختال وتتباهى وهذا من طبائعها؛ لأنها خيل سابقة وسريعة وذاهبة إلى ديار الحبيبة التي جعلها كجنان الخلد، ولكن هذه الخيل خانت فارسها وضلت طريقها المرسوم ولم تصل إلى ديار تلك الحبيبة .

ولكنّ ابن الحداد حتى ولو وصل إلى ديار حبيبته فإنه لن يستطيع مقابلتها؛ وذلك بسبب صعوبة رؤيتها لأنها محفوفة بفرسان وخيل سريعة الحركة مستعدة لخوض المعارك دفاعاً عن تلك المرأة وحمايتها، ويصف الشاعر تلك الخيل بأنها من أصل ونسل كريم، وهي خيل صفون أي سريعة كأنها تمشي على ثلاث ولا تلامس الرابعة الأرض، وهذه الخيل لا تستقر ولا تثبت فتثير الغبار الذي يبدو كأنه غيوم غطت الأرض : [3] (الكامل)

حيثُ القِبابُ الحُمْرُ سَامِيةُ الذُّرَى والأعْوَجِيَّاتُ الجِيَادُ صُفُونُ
أُفُقٌ إذا ما رُمْتَ لَحْظَ شَمُوسِهِ صَدَّتْكَ للنَّقْعِ المُثَارِ دُجُونُ

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص348 .

[2] ابن الحداد، الديوان، ص304 .

[3] ابن الحداد، الديوان، ص267 .

ويمضي ابن الزقاق إلى محبوبته التي تقطن بذات الأثل ويسير إليها ممتطياً خيل عتاق شوازب؛ أي أصيلة ونجيبة ضامرة دلالة عل أصلها وكرمها : [1]

(الطويل)

وما بيَ إلا عارضٌ سلبَ الكرَى ... بخفةِ برقٍ آخرَ الليلِ واصـــب

أضاءَ بذاتِ الأثْلِ والأثلُ دونه ... وجيفُ المطَايَا والعِتاق الشوازب

ويقتحم الشاعر ظلمات الليل ليصل إلى محبوبتـــه دون أي دليـــل، إلا أن شـــوقه الكبير دليل له، فيطرق تلك الديار بعد تعب طويل وسير كثير قطعه على ظهر فرس تصهل بصوت عالٍ، أيقظ تلك المحبوبة التي خافت منه ومـــن انكشـــاف أمرهمـــا، فأخفضت صوتها في الكلام خوفاً من الوشاة ومن النساء المحيطـــات ببيتهـــا ومـــن جماعة الفرسان والخيل التي تحيط بها، يقول ابن الزقاق : [2] (الوافر)

إذا جارَتْ بي الظَّلمـــاءُ فيـــه ... فمن شوقِي المبرِّحِ لي دليـــل

طرقتُ به الأوانسَ بعدَ وَهْـــنٍ ... وفي كفـــي سُرَيْجيٌّ صقيـــل

فروَّعَهُنَّ من سيفـــي وميـــضٌ ... وأيقظهنَّ من طرقي صهيل

يقلنَ على انخفاضِ الصوتِ أنّى ... سريتَ وبيننا واشٍ يحـــول

ودونَ قِبابِ ربربنـــا رعيـــلٌ ... منَ الفرسانِ يتبعُهُ رعيـــــل

وربما كان ابن الزقاق من أكثر الشعراء ربطاً بين الخيل والغزل، فها هو يقدم لنا لوحة غزلية جميلة مازجاً فيها بين الغزل بالمحبوبة والذهاب إليهـــا، وصورة الخيل والجياد، يقول : [3] (الكامل)

ولقدْ طرقتُ الحيَّ في غَبَشِ الدُّجَى ... والليلُ فـــي زِيِّ الجوادِ الأدهـــمِ

يا هلْ تبلِّغنـــي الجيـــادُ منـــازلاً ... ممطورةً بدمـــوعِ كـــلِّ متيَّـــمِ

مـــن كـــلِّ أشقـــرَ للبوارقِ يعتزي ... أو كـــلَّ أشهبَ للكواكبِ ينتمـــي

ترعَى الكواكبُ منه كوكبَ غُـــرَّةٍ ... ينشقُّ عنـــه دُجَى الغبـــارِ الأقتمِ

---

[1] ابن الزقاق البلنسي ، الديوان ، ص73 .

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص230 _ 231 .

[3] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص249 _ 251 .

ويُجِـنُّ منـه الليـلُ ليـلاً مثلـه مهما جَرَى جنح الظَّـلام الأسحمِ
ينسابُ بي بيـن الصَّـوارمِ مثلمـا أبصرت في الماءِ انسيابَ الأرقمِ

إن المتأمل لهذه الأبيات يرى أن الشاعر قد ذهب إلى ديار محبوبته وسافر إليهـا في الليل، حيث الظلام القاتم الذي يشبه الجواد الأسـود خالص السـواد، ويتمنـى الشاعر على تلك الجياد التي تقله أن توصله إلى ديار طالما ظـرف دموعاً بسبب شوقه إليها، ثم يبدأ الشاعر بوصف هذه الجياد ذاكراً ألوانها فمنها مـا هـو أشـقر سريع يسبق البوارق أو أشهب أخذ لونه من لون الكواكب، حتى أنه يضيء ويلمـع في وسط الغبار المثار وينساب مسرعاً متحدياً الصعاب كما تنساب الأفعى في الماء.

ولم يتوقف الشعراء عند مزج الغزل بالنساء مع الخيـل بـل نجـدهم يتغزلـون بالغلمان مازجين هذا الغزل أيضاً بصور الخيل، فابن خفاجة يتغـزل بغـلام ملـثم واصفاً ذؤابته وخضاب كفه جاعلاً الخيل وسيلة يلعب عليها هذا الغلام الجميل، مما زاده روعة وجمالاً، وهذه الخيل تحبه فتطير به مسرعة، فتمتزج مشاعر هذه الخيل بمشاعر الشاعر فكلاهما يحب هذا الفتى ويعشقه : [1] (المتقارب)

وَأَقبَـلَ بالحُسْـنِ إدبَـارُهُ يُلاعِـبُ خُوطَتَـهُ حِقْفُـهُ
وَخَفَّتْ بـه الخيلُ حُبّاً لـه فطَـارَ بـه سُرْعَـةً طِرْفُـهُ
وَهَـشَّ إلـى رَكْضِهِ ظَهْرُهُ وَحَـنَّ إلـى كفِّـهِ عُرْفُـهُ

ويهيم الشاعر بساقي الخمر فينظر إليه بشوق جاعلاً تلك النظرات خيلاً جامحـة في حلبة حسن وجه الساقي، حتى أن الناظر لا يستطيع أن يسيطر عليهـا، كمـا أن الصبـر على بعد هذا الساقي يغدو فرساً حروناً لا يطيـع فارسه، يقـول ابـن خفاجة : [2] (الطويل)

وَسَاقٍ لخيلِ اللَّحظِ في شَأْوِ حُسْنِهِ جِمَاحٌ وبالصَّبْرِ الجميلِ حِرَانُ

ويزهى الجواد بغلام افتتن به ابن أبي الصلت ، فهذا الغلام يركب ظهر جواد قد

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص100 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص235 .

أحبه كأن هذا الجواد من شدة افتتانه براكبه أصبح نشواناً قد رنحتــه مدامــه : [1] (الكامل)

يُزْهَى الجوادُ بهِ فتحسبُ أنَّهُ ذو نشوةٍ قدْ رَنَّحته مُدامــه

لقد عبّر الشعراء عن رهافة مشاعرهم ورقة عواطفهم من خلال وصــفهم لخيــل تساعدهم في الوصول إلى من يحبون وتشاركهم الشعور بالعشق والهوى، وتلهمهــم القدرة على صياغة كلامهم لكي يعبروا عن مدى هيامهم وشوقهم لمن يحبون .

4.2.2 الشعــر الحماســي (شعــر الحــرب) :

لقد ساءت الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الطوائــف وبــدأت المــدن والدويلات تتساقط بأيدي النصارى، وسادت الفرقة بين الدويلات وأصبحت الأندلس في حالة لا تحسد عليها من الضعف والهوان، ولم يعد هنالك وسيلة للتخلص من هذا الوضع سوى الحرب والجهاد؛ لذلك فقد آمن الشعراء بأن الجهاد هو الوحيد القــادر على ردّ هذه البلاد قوية عزيزة، إسلامية طاهرة من دنس الكفر .

لذلك فقد بدأ الشعراء ينظمون القصائد لاستنفار السلاطين والشعوب واســتنهاض هممهم من أجل الجهاد والقتال، فــازدهر الشــعر الحماســي أو الحربــي "ودارت موضوعات هذا الشعر حول تحريض الولاة على غزو الشرك في عقر دارهم وصدّ هجماتهم واسترجاع ما سلب من الوطن الجريح " [2]، ولقد جعل الشعراء من خــيلهم مثار استفزاز ومقايضة بين جوانب الخير وجوانب الشر، فهم يطرحون خيلهم كمــا لو كانت غرض الحياة الأكبر وغاية ما يسعون إليه، فهم يؤمنون أن هذه الخيل هي أداة الجهاد الأولى التي تمثل القوة القادرة على تجاوز الأخطاء، وهي أيضاً قــادرة على ردّ هذه البلاد الإسلامية، فها هو ابن حمديس يخاطب أهل صــقلية محرضــاً إياهم على الجهاد واستعادة جزيرتهم التي سقطت بيد النصارى، فيقول: [3] (الطويل)

---

[1] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص138 .

[2] طويل، مدخل الى الأدب الأندلسي، ص29 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص416 .

بني الثَّغْرِ، لستم في الوَغَى من بني أُمِّي
إذا لم أَصُلْ بالعُرْبِ منكم على العُجْمِ
فَرُدُّوا وجوهَ الخيلِ نحوَ كريهةٍ
مُصَرِّحةٍ في الرُّومِ بالثُّكْلِ واليُتْمِ

فالشاعر يلحّ في الطلب على قومه بأن يتوجهوا بخيلهم نحو معركة شديدة تلحق بالروم أشد الخسائر وتقتلهم وتيتم أطفالهم وترمل نساءهم، ويطلب من قومه أن يتركوا النوم والقعود عن الجهاد لأنه خائف عليهم من مصائب ستلحق بهم وخيل ستدوسهم، وهم في أمانيهم وأحلامهم خيل قوية سريعة تثير غباراً يغطي عين الشمس كما يغطي الظلام النجوم اللامعة : [1] (الطويل)

دَعوا النَّومَ إنِّي خائفٌ أنْ تدوسَكمْ دواهٍ ، وأنتمْ في الأماني مع الحُلْمِ
تُهيلُ من النَّقْعِ المُحَلِّقِ بالضُّحَى على الشَّمسِ ما هالتْهُ ليلاً على النَّجمِ

وكأن الشاعر يتخذ من الخيل وسيلة يهدد بها القوم لكي يستفزهم ويحرضهم على القتال، " كما أنه يذكر قومه كيف كانوا في سابق عهدهم، وقد اشتدت منهم العزائم وسارت في ركابهم الأمجاد وركبوا خيلهم التي يطيل صهيلها ومشوا إلى أرض أعدائهم وقهروهم " [2] ؛ممّا أدى إلى قتلهم وإثارة الندب والنواح عليهم، كأن الشاعر عندما يذكر قومه بذلك يهيب بالمتقاعسين لكي يذودوا عن حماهم، لعله كان يجد في الوقت نفسه من خلال حديثه عن تلك الأيام السالفة عزاء لنفسه، فهو يلتفت إلى الوراء متخيلاً قومه وقد لمّوا الشمل وحققوا النصر، يقول : [3] (الطويل)

إذا ضَارَبوا في مَأْزِقِ الضَّربِ جَرَّدوا صواعقَ من أيديهم في سحائب
تَخِبُّ بهم خيلٌ يطيلُ صهيلُها بأرضِ أعاديهم نياحُ النَّوَادب
يموتون موتَ العزِّ في حَوْمَةِ الوَغَى إذا ماتَ أهلُ الجُبنِ بينَ الكَوَاعِب

ويذكّر ابن دراج بمفاخر العرب، وقيمهم وشجاعتهم وكرمهم وأحداثهم التاريخية الكبرى من خلال مفاخره الحربية وأشعاره التي تتخللها قيم الحرب ساعياً إلى

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص417 .
[2] الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص213 .
[3] ابن حمديس، الديوان، ص32 .

استثارة همم المسلمين في الأندلس، فهو يذكرهم بمعارك أولئك العرب التي خاضوها على ظهور خيل أصيلة مضمرة، تلك الخيل التي كانت تدافع عن حماهم فيصبح ممنوعاً على أي أحد، يقول ابن دراج القسطلي: [1] (الكامل)

وَالحارثَ الجَفْنِيَّ ممنوعَ الحِمَى بالخيلِ والآسادِ مَبذولَ القِرى
ولقيتُ زيدَ الخيلِ تحتَ عَجَاجَةٍ يكسُو غلائلُها الجيادُ الضُّمَّرَا

ويبين الرمادي بأسلوب حزين ونغمة شجية الفجيعة التي حلت ببلاد المسلمين والرزايا التي هجمت عليها من قبل الأعداء مستعملاً في ذلك الحضّ والتهويل، فهو يخاطب جماعة كبيرة ويحثها على الجهاد، وتحقيق النصر الذي لا يتمّ إلا من خلال خيل ضامرة وقوية فهذا النصر يبدو من خلال تلك الخيل : [2] (الكامل)

نَادَى الجهادُ بكم لنصرٍ مَضْمَر يبدو لكم بينَ العِتَاقِ الضُّمر

وهذه الخيل القوية هي القادرة على حمل المجاهدين والمضي بهم متحدية الصعاب وحامية لحمى الإسلام، يقول ابن خفاجة : [3] (الطويل)

سَأَرْكَبُ منه ظَهْرَ أَدْهَمَ رَيِّضٍ مَرُوعٍ بسَوْطِ الرِّيحِ يجرِي فَيُزْبِدُ

وإذا داهمت خيل الأعداء بلاد المسلمين وأرادت انتهاك حرماتها فإنه لا مجال لهؤلاء المسلمين سوى أن يركبوا خيل وجياد قوية وكريمة فيسعون لتحقيق النصر والفوز بالمنزلة العالية، يقول ابن دراج القسطلي : [4] (الطويل)

وَمَنْ طَرَقَتْ خَيْلُ الخطوبِ حَرِيمَهُ فأَوَّلُ دعواهُ إليهِ انتصارُه
فتىً جَعَلَ الجُرْدَ الجيادَ قِداحَهُ ففَازَ بأقمارِ المعالِي قِمارُه

ولا وسيلة للنصر وبلوغ ذروة المجد إلا بواسطة خيل سريعة تكرّ في ساحات الوغى ويمتطيها شباب أقوياء، يقول الأعمى التطيلي : [5] (الطويل)

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص218 .
[2] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص167 .
[3] ابن خفاجة، الديوان، ص195 .
[4] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص656 .
[5] الأعمى التطيلي، الديوان، ص61 .

أحَلَّتْكَ أعْلَى ذَرْوَةِ المجدِ همَّةٌ لها البأسُ رِدْءٌ والسَّماحُ سَمير
وَجُرْدٌ عناجيجٌ ذكورٌ يَكُرُّهَا على الموتِ مُرْدٌ مُعْلَمُون ذكور

لقد دارت موضوعات شعر الحماسة حول إظهار شجاعة المقاتل الأندلسي والافتخار بقتل أعداد هائلة من العدو، ووصف الجيش الأندلسي وأسلحته والخيل على رأسها، حيث كانوا يصفون قوتها وكرّها وفرّها في ساحات المعارك، وهي خيل تتسم بالشجاعة كما يتسم راكبوها بذلك، وتقدم هذه الخيل في الحروب وتشجع عند اشتداد المعركة، فهي جريئة مقدمة، يقول الأعمى التطيلي :[1] (البسيط)

تحمي الشكائمُ في أشْداقِها حَنَقاً كأنَّما هي منه في التنانيرِ
تَعْصي القَنَا وهي أدناها إلى كَرَمٍ أثْنَاءَ مُنْتَصبٍ منها ومجرورِ

وهي خيل سريعة العدو قد أضحى لركضها أثر كبير يبعث على الفزع في قلوب المعاندين والمنافقين،خيل تستحق أن تكرم عند من يعرف قيمتها ويتصرف بها، ويستخدمها كما يكون الاستخدام الصحيح، حيث الحرب والقتال؛ فهي الخيل التي تصلح لك ولجندك، لأنها في أرض المعركة الصواعق شدة وبأساً وقوة، لا يمكن أن يستغل كل هذه الميزات في هذه الخيل إلا الجنود الأشداء الحاذقون لفنون الحرب والقتال، يقول ابن حمديس:[2] (الكامل)

خيلٌ كأنَّ الرَّكضَ من خيلائِها في قلبِ كلِّ مُعَانِدٍ ومُنَافِقِ
قُدْهَا تخبُّ بكلِّ ذِمْرٍ أبلهٍ بخداعِ أبطالِ الوقائعِ حَاذقِ
وإذا أثَرْنَ بنقعهنَّ سحائباً صبَّتْ على الأعداءِ صَوْبَ صواعقِ

وها هي الخيل عند ابن بقي القرطبي تخوض الوغى دون خوف أو رهبة، وهي خيل ضامرة البطون قوية تخيف الأعداء حتى تبدو عيونهم كأنها حمراء من شدة الخوف :[3] (البسيط)

من لي به والوَغَى شهباءُ من أسلٍ في صهوةٍ من أقبِّ البطنِ مُنْجَرِدِ
يُرْدِي ويصرعُ أقْرَاناً عيونُهمْ حمرٌ من الرَّوعِ لا حمرٌ من الرَّمدِ

---

[1] الأعمى التطيلي، الديوان، ص 57 _ 58 .
[2] ابن حمديس، الديوان، ص331 .
[3] السعيد، شعر ابن بقي القرطبي، ص125 .

ويصف أبو بكر بن الملح الجياد في الحرب، وقد تركت آثارها فتمـددت الأرض تحت وقع سنابكها، وقد تلبدت السماء بالنقع المثار سحائباً وقد أريقت الدماء فخاض فيها الجيش، يقول :[1] (الطويل)

وبالأرضِ من وَقْعِ الجِيادِ تمدُّدٌ ولكنَّـــهُ فيمـا تَـرومُ تقبـضُ
وبالأفقِ للنَّقعِ المُثَـارِ سحائبٌ مَوَاخِض ولكن بالصَّواعقِ تمخضُ
فلستَ تَرَى إلا دمـاءً مُرَاقـةً تخاضُ إلى أكبادِ قومٍ تخضخضُ

وهي تجلب النصر بمجرد أن تخوض المعركة لأن النصر يجول حيث تجول هذه الخيل، يقول ابن دراج القسطلي :[2] (الطويل)

سيوفٌ تنيرُ الحقَ أَنَّى انْتَضَيْتَهَا وخيلٌ يجولُ النصرُ حيثُ تَجولُ

ويتحقق النصر للمسلمين بواسطة هذه الخيل، وتنهزم خيـل الأعـداء وتتراجـع وتحصد رؤوسهم فكأنهم زرع ورؤوسهم سنابله وقد حصدت، يقول ابـن عمار :[3] (الكامل)

والخيلُ قَدْ نكصتْ على أعقابِها والرُّومُ زرعٌ والرُّؤوسُ حصيدُ

وهي خيل تشبه الصخر الأملس عند مصادمتها للأعداء، لكنها في الوقـت نفسـه طيعة لصاحبها تتثنى كالخيزران في حركة الكرّ والفرّ، يقول الأعمى التطيلـي :[4] (المتقارب)

يجرُّ العِنانَ إلى كلِّ حَـرْبٍ مَرَتْهُ فدونـكَ منْـهُ عِنَانَـا
هي الضَّمَّرُ الغُلْبُ فاصْدِمْ بها صفاً واثْنِ أعطافَها خَيْزُرَانَـا

وتعوم في أرض المعركة حيث الرماح التي تسيطر على الجـو ولا تسـتطيع أن ترى إلا أولئك الذين يتعثرون بدمائهم، بينما الخيل وراكبيها يصـبرون لأن الفـرج سيأتي بعد هذا الصبر، يقول الأعمى التطيلي :[5] (الطويل)

---

[1] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص702 .
[2] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص76.
[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص255 .
[4] الأعمى التطيلي، الديوان، ص194 .
[5] الأعمى التطيلي، الديوان، ص177 .

وأصْبِرُ فـي ظلماءِ كـلِّ كريهـةٍ بحيثُ يكونُ الصَّبـرُ أفـرجَ للغـمِّ
إذا الخيلُ عامَتْ في النَّجيعِ وأُلْجِمَتْ بسُمْرِ العوالِي وهي تَطْغَى على اللجمِ
فلـم تـرَ إلا عاثـراً بدمائِـهِ يحاذرُ كلمـاً أو يُدَافِـعُ عـن كلـمِ

وتدور رحى المعارك وتشتد ويستبسل فيها المقاتلون، وهم "يمتطون خيلاً مدربة تسابق الريح سرعة، يصولون ويجولون في بسالة كأسود الشرى، وهذه الخيل التي يركبونها، منها ما هو أشهب ناصع، ومنها ما هو أشقر قان، ومنها ما هو أخضر كالجلباب " [1]، وبواسطة هذه الخيل استطاع راكبوها أن يرغموا الأعداء على إنهاء المعركة لأنهم أيقنوا أنهم هالكون لا محالة إن ظلوا في أماكنهم، يقول ابن خفاجة : [2] (البسيط)

مَا بينَ ريحِ طرادٍ سُمِّيتْ فرساً جَوْراً وَلَيْثِ شَرىً يَدْعُونَهُ بَطَلا
من أدهمٍ أخضرِ الجلبابِ تحسبُهُ قد استعارَ رِدَاءَ اللَّيلِ فاشْتَمَلا
وأشْقَرٍ قانِيءِ السِّربالِ مُلْتَهِبٍ قد جَالَ يُوقِدُ نَارَ الحربِ فاشْتَعَلا
وأشهبٍ نَاصِعِ القِرطاسِ مُؤْتَلِقٍ كأنَّما خَاضَ مَاءَ الصُّبحِ فاغْتَسَلا
تَرَى به مَاءَ نَصْلِ السَّيْفِ مُنْسَكِباً يجرِي وَجَاحِمَ نارِ البأسِ مُشْتَعِلا

لقد ازدهر شعر الحرب والحماسة في الأندلس؛ لأن المسلمين خاضوا صراعاً مريراً مع الروم والنصارى، واتخذ هذا الصراع بعداً عميقاً انعكس أثره على الشعر والأدب بشكل عام، لذلك فإنه كان منتوجاً للحروب الداخلية والخارجية شأنه شأن الشعر الحربي في شتى العصور، يقول أحد الباحثين :

" إن الشعر الحماسي نشأ عند جميع الشعوب نشأة واحدة لأنه رافق المعارك التي خاضتها هذه الشعوب، فكان عظم الحرب وهولها وعظم فرسانها وخيلها مدعاة للفخر، والحرب تستدعي المصاعب، فعلى الفرسان ركوبها مهما صعبت وتعاظمت " [3] .

---

[1] سلامة، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس، تطوره، موضوعاته، وأشهر أعلامه، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1989م، ص156 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص208 .

[3] القيسي، نوري، الفروسية في الشعر الجاهلي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1964م، ص238 .

وقد مزج الشعراء في شعر الحرب والحماسة بين موضوعات متعددة كان من أبرزها موضوع الخيل، ذلك لأنها أداة مهمة في الحروب وإثارة الهمم، وهو شعر يستنهض الهمم ويستثير عزائم المسلمين للذود عن حرماتهم لذلك فهو غني بالحماسة، " ويتناول شعر الحماسة والحرب موضوعات كان فيها غنى للحماسة العربية كلها .... " [1].

وبذلك كان شعر الحرب والحماسة في الأندلس قد واكب الحروب واستثار همم المسلمين مستخدماً الخيل وسيلة لذلك، وإذا ما خاضت هذه الخيل المعارك فإن الشعر يصفها ويصف قوتها ومساهمتها في تحقيق النصر وإذلال العدو .

5.2.2 شعر الطبيعة :

أكثر الأندلسي من حديث الطبيعة، وأسرف في تصوير فتنتة بها وعشقه لها، وأبرز مظاهرها المختلفة في صور بديعة ومزج حديثه عنها بمشاعره وانفعالاته، ونظر إليها من خلال ذاته وأحاسيسه، فكان لها في هذا وذاك قدر عظيم من أدب الطبيعة، فعدّ هذا الفن من أبرز الفنون الأندلسية، " فقد برع شعراء الأندلس بهذا الفن واغرموا به وكان ولعهم به عظيماً " [2] .

ويعدّ هذا النوع من الشعر جديداً ومبتكراً لم يسبق إليه الشعراء، " وهو عند الدكتور بدير متولي حميد لون من ألوان ثلاثة تفوق فيها الأندلسيون هي شعر الطبيعة وشعر الحب والشعر الحزين " [3]، وقد تفنن الأندلسيون بوصف الطبيعة وإنشاء منظومات أخذت منها تتراءى في البراعة والجمال [4] . وربما كان ذلك وسيلة للشعراء لكي يهربوا من مواجعهم وآلامهم لذلك فإنهم يذكرون الطبيعة بما حوت من جمال وإشراق .[5]

---

[1] المحاسني، زكي، شعر الحرب في أدب العرب، ط2، دار المعارف، مصر ، مكتبة الدراسات الأدبية، ص23 .

[2] بالنثيا، آنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1955م، ص44 .

[3] حميد، قضايا أندلسية، ص131 .

[4] حاوي، إيليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط2، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م، ص225 .

[5] الشكعة، الأدب الأندلسي، ص353 .

ولعل بلداً عربياً لم يكثر شعراؤه من تشخيص عناصر الطبيعة على نحو ما أكثر شعراء الأندلس [1]، وفي عصر الطوائف والمرابطين ازدهر الموضوع ازدهار موضوعات الشعر الأخرى، " وقد تناول هذا الشعر الطبيعة الحية والخيل جزء منها " [2]، وكثيراً ما كان يمتزج شعر الطبيعة بوصف الخيل، فنجد الشاعر في أثناء حديثه عن الطبيعة يتطرق إلى الخيل ويهيم بها ويصف منظرها راسماً ذلك في صور بديعة تنمّ عن قدرة أولئك الشعراء وبراعتهم .

فها هو ابن خفاجة يستهل لامية له بالدعوة إلى مجلس أُنس قد حوى أهم عناصر اللهو والأنس، فكان _ كما يرى الشاعر _ مدعاة للإسراع بالحضور وتشويقاً للمشاركة فيه، فراح يحثّ غيره على الحضور واصفاً له ما يحويه المجلس من عناصر التشويق إلى اللهو والمتعة، وكان من ملامح هذا الوصف: النور المتفتح تترقرق فيه قطرات الندى والماء يبتسم بلمعان وتألق وأغصان الشجر تتهادى بالأصيل العليل، والحمامة تثير بهديلها المؤثر لواعج الأشواق [3]، يقول: [4] (الكامل)

حُثَّ المُدَامَةَ فالنَّسيمُ عَليلُ ... والظِّلُّ خفَّاقُ الرُّواقِ ظَليلُ

والنَّوْرُ طَرْفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعٌ ... والمَاءُ مُبْتَسِمٌ يَرُوقُ صَقِيلُ

وَقَدْ انْتَشَى عِطْفُ الأَرَاكَةِ فَانْثَنَى ... سُكْراً وَرَجَّعَ في العُصُورِ هَدِيلُ

ثم يربط الشاعر هذه المعاني جميعاً بخطاب شخص يدعوه إلى المجلس، ولعله ممدوح أراد أن يتقرب إليه ويتغنى بمآثره وكرمه بين يديه، حتى جعل راحته ندية مبلولة دائماً، وختم الشاعر قوله ببيتين تضمنا وصف الخيل في معاني واضحة صريحة لا تخفى دلالتها، فهي ممزوجة بمعاني المجون واللهو لتكون أقرب إلى القبول والتشويق [5] ، يقول : [6] (الكامل)

---

[1] ضيف، شوقي، فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر، 1971م، ص158 .

[2] الركابي، جودت، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ط2، مكتبة أطلس، دمشق، مطبعة الترقي، 1970م، ص12 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص53 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص254 .

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص53 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص255 .

والنَّقْعُ أدْهَمُ للرِّمَاحِ بوَجْهِـهِ غُرَرٌ تَلُوحُ وللسُّيُوفِ حُجُولُ
والخيلُ سَطْرٌ بالأسِنَّةِ مُعْجَمٌ وَبِحُمْرِ أَلْسِنَةِ الظُّبَى مَشْكُولُ

ويلاحظ هنا أن الشاعر قد ركّز في وصفه على عنصر المزج بين صفات الرماح والسيوف ووصف الخيل، وذلك بأن جعل صفات الخيل في البيت الأول مثلاً لصفات الرماح، ثم غيّر نسق الصورة في البيت التالي حين جعل صفات الرماح والسيوف مثلاً لصفات الخيل [1]، ويمزج الشاعر بين صفات الجواد وصفات الخمر في صورة موجزة مختصرة بعد أن وصف الطبيعة الصامتة المتمثلة بالليل والثلج والغصون، يقول ابن خفاجة : [2] (المتقارب)

فَمَهْمَا تَيَمَّمْتُ خَمَّارَةً رَكِبْتُ إلى أَشْقَرٍ أَشْهَبَا
وَحَيَّيْتُ حَانَتَهَا طَارِقاً فَقَالَت تُجِيبُ أَلا مَرْحَبَا

ويذكر ابن خفاجة الطبيعة المتمثلة بجمال النهر العذب الذي يشبه ثغر الفتاة الحسناء، وذلك الوادي الذي سيقطعه في وسط نسيم عليل معطر ورقيق لا يسمع له صوت؛ فيمزج بين ذلك كله وبين جواده الكريم المنسوب إلى الخيل العتاق السريعة النفيسة في نوعها التي تسبق وتغلب في عدوها وتقطع الخلجان والهضاب، يقول : [3] (الطويل)

تَخَيَّرْتُهُ منْ رَهْطِ أَعْوَجَ سَابحاً أَغَرَّ كَرِيمَ الوالدينِ نجيبَا
خَفِيفاً ولمْ يَحْلُمْ بِسَوْطٍ كأَنَّما يَفُوتُ عَدُوّاً أو يَؤُمُّ حَبِيبَا
وَحَنَّ إلى شُقْرٍ فخَفَّ على السُّرَى يَخُوضُ خَلِيجاً أو يَجُوبُ كَثِيبَا
وَنَهْراً كَمَا ابْيَضَّ المُقَبَّلُ سَلْسَلاً وَجِزْعاً كما اخْضَرَّ العِذَارُ خَضِيبَا
وَرُبَّ نسيمٍ مَرَّ يَخْطِرُ عَاطِراً رَقِيقِ الحَوَاشِي لا يُحَسُّ دَبِيبَا
وَجَدْتُ بِهِ مِنْ ذَلكَ المَاءِ بَلَّةً وَمِنْ نَوْرِ هَاتِيكَ الأَبَاطِحِ طِيبَا

ولا يتوقف ابن خفاجة عند هذا الحدّ بل نجده يمزج بين الطبيعة والخيل حتى في

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص53 .

[2] ابن خفاجة، لديوان، ص262 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص112.

أجواء المعارك، فالجواد الأشهب يصبح شهاباً والسيوف كذلك غـدران جاريـة يقطعها الجواد سابحاً، يقولُ : [1] (الكامل)

وَلَرُبَّ يومٍ كَرِيهةٍ قدْ خَاضَـهُ سَبْحاً وَبِيضُ سُيُوفِهِ غُـدْرَانُ
وَالشُّهْبُ شُهْبٌ وَالعَجَاجَةُ سُدْفَةٌ وَالشُّقْرُ جَمْرٌ وَالقَتَامُ دُخَـانُ

ويمزج ابن حمديس بين الطبيعة والخيل فيستعير من صفات هذه الطبيعة الجميلة ويسبغها على الخيل، ومن هذه الصفات ما جاء بقدرة من الله عزّ وجلّ وإبداعه جلّ شأنه، يقول الشاعر : [2] (الكامل)

جاءتكَ أولادُ الوَجيهِ وَلاحِـقٍ فأَرَتْكَ في الخَلقِ ابْتِدَاعَ الخَالِـقِ
نينانُ ، أمواهٍ وفُتْخٌ سباسـبٍ وظباءُ آجامٍ وعُصْـمٌ شواهِـقِ
بمؤلَّـلاتٍ تستديـرُ كأنَّهَـا أقْلامُ مُبتَـدعِ الكتابـةِ مَاشِـقِ
قد وَقَّعتْ لك بالسُّعودِ وما جَرَتْ بسوادِ نِقْسٍ فـي بياضِ مَهارِقِ
غُـرٌّ مُحجَّلَـةٌ تَكامَـلَ خلقُهـا بمجانسٍ من حسنِها ومطابِـقِ

وبهذا يبدو لنا الشاعر قد جمع بين صفات الطبيعة وصفات الخيل التي منها السرعة والجمال والقوة، فهي تحفة في حسن خلقها دالة على قدرة الله تعالى وإبداعه في خلقه، ومن صفاتها أنها في سرعتها تشبه الوعول السريعة القوية، وكذلك تشبه الظباء الجميلة في آجامها .

وفي البيت الثالث يأتي الشاعر بصورة تعتمد جمال اللون بصفائه ونقائه، حيـث جمعت الخيل بكثرتها مؤللات بين جمال اللون واعتدال القوام ورشاقته ورقته، ثـم إنها قد جرّت الخير والفضل للمهداة إليه وسجلت له السعود والمجد دون تدوين عبر وصائف، إنما كان ذلك كله بما امتازت به في مظهرها وجمالها وصفائها [3].

وفي البيت الأخير من المقطوعة تكتمل صورة الجمال والبهاء، فهذه الخيل غـرّ محجلة قد جمعت من صفات الحسن أكثرها وأهمها وتطابقت الصفات مع ما يناسبها من سمات الطبيعة التي تحيط بها .

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص344.

[2] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص260 .

ونجد أبا بكر بن الملح يمزج بين الطبيعة والخيل فيجعل مدار وصفه هو الجـواد الأدهم، ويؤكد بصورة خاصة على صفة سرعته فيجعله سفينة للبر تجوب مسـرعة ظلمات الغبار، يقول :[1] (الطويل)

بلبَّتِه خَيْطُ المجـرَّةِ فصّلـتْ لـه موهـناً أوساطه بدراري
سفينةُ برٍّ سُخِّرتْ غـيرَ أنَّهـا تجـوبُ مـن الألهابِ لُجَّ غبار
تُطَأطأُ من عونِ الطِّباعِ بحاذفٍ وتُهْنأُ مـن لَونِ الأديـمِ بقّـار
له خُلُـقٌ لولا تـواردُ غيـره على عِتْقِـهِ لم ينحـرفْ لنفـار

ويجعل ابن حمديس لون جواده مستمداً من ألوان الطبيعة :[2] (الكامل)

ومُزعفرٍ لونَ القميصِ بِشُقْرَةٍ كالرِّيحِ تقصفُ في التهابِ البَارقِ

ويربط أمية بن عبد العزيز بين وصفه الفرس الأشهب ومظاهر الطبيعة من الثريا والشهاب والبرق والصبح والهلال، فهذا الحصان أشهب اللون كالصباح، حتـى إن من يراه يحسده لسرعته وجماله [3]، يقول :[4] (مخلع البسيط)

وأشهبَ كالشِّهابِ أضحَـى يجـولُ فـي مَذهـبِ الجَـلالِ
قَـالَ حسـودي وقـدْ رَآهُ يجنُـبُ خلفـي إلـى القتـالِ
مَنْ ألجمَ الصُّبـحَ بالثُّريَّـا وأسـرجَ البـرقَ بـالهـلالِ

ويمزج أبو محمد بن عبد الغفور بين مظاهر الطبيعة الفاتنة والجواد، فيجعل جلد هذا الجواد مصوغاً من الجمر أو من الخمر ويطلّ بعنقه الطويل وينزل في مكان ملـيء بالزرع في وقت الربيع، وهو جواد سريع خفيف السير لا يترك أثراً على التـراب لخفة وقعه ولا يشعر به القطا النائم؛ لذلك فإنه كالخيال ولشدة جماله وحسـنه فـإن الثريا في السماء تودّ أن تكون طعاماً له، يقول ابن عبدالغفور :[5] (الطويل)

بأشقـرَ وَقّـادِ الإهـابِ كأنَّمـا تجسَّمَ من جَمْرٍ صَرَيحٍ ومِنْ خَمْرِ

---

[1] ابن بسام، الذخيرة ، ق2، م1، ص464 .
[2] ابن حمديس، الديوان، ص331 .
[3] منصور، الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، ص163 .
[4] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص133 .
[5] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص471 .

أطَلَّ بهَاديــهِ علــى كُــلِّ رَبْعَــةٍ كمــا نَبَّهَتْ نــارُ المعالِمِ للسَّفْــرِ
خفِيُّ السُّرَى كالطَّيفِ لم يسئمِ الثَّرَى بوقْــعٍ ولم يشعُرْ به نُوَّمُ الكُــذْرِ
تــودُّ الثُّرَيَّــا أنْ تكــــونَ عليقهُ ثنَا عليه بالسِّماكينِ والنّســــــرِ

وجواد ابن الزقاق البلنسي استمدَّ صفاته من الطبيعة، فهو ضامر وسريع يطيــر كما يطير (التدرج) وهو نوع من الطيور، وهو جواد ذو نسب كريم وأصيل ينتمي إلى أعوج ويشبه في سرعته البرق، لذلك فقد انتمى إليــــــــه أيضاً : [1]

(الكامل)

بأقبَّ مَا طَــارتْ قوائمُــهُ بــهِ إلا اشْتَهَــى طَيَــرَانهــنَّ النُّدْرجُ
مــنْ آلِ أعــوجَ مَــا عَهِدْنَا قَبْلَهُ وقــد انْتَمَــى ، بَرْقاً نماهُ أعوجُ

إذن أدخل الشعراء موضوع الخيل ضمن شعر الطبيعة، ومزجوا بــين صــفات الطبيعة وصفات الخيل، حيث كانت الخيل تستمدُّ صفاتها من الطبيعة، وتعدُّ الطبيعة بشكل عام والبيئة الأندلسية بشكل خاص مصدراً مهماً ونبعاً صــافياً اســتمدَّ منــه الشعراء صورهم للخيل، وسنتطرق لذلك في الصفحات القادمة .

---

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص117 .

الفصل الثالث

صـــورة الخيـــل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

لقد كان من أثر عناية الأندلسي الشديدة بالخيل، أن أكثر مـــن وصـــفها وذكرها، فأصبح خبيراً بها عالماً بدقائقها؛ لذلك نجده يصـــف أعضـــاءها ومنظرها الخارجي، ويفصّل في ذلك فيصف ســـرعة الخيـــل وحركاتهـــا وألوانها وتباين مظاهرها، فينشئ للخيل صورة شاملة متكاملة .

ويسعى الشعراء في وصفهم لرسم صورة مثالية لتلك الخيل، فيغدو الجواد كأنـــه تمثال واضح المعالم والقسمات، بل كأنه مثل أعلى للخيل لما يحوي مـــن فضـــائل ومميزات، فالأندلسي يسبغ على جواده أجمل الصفات وأفضلها ويتخير لـــه ســـمات القوة والجمال وتناسق الأعضاء والرشاقة . يتحدث الأصبغ بن أرقم يصـــف مهـــراً فيقول : " وأردت انعاله فإذا الرياح قد أنعلته أجنحة وتفقدت جلاله فإذا الفراهة قـــد ألحفته أوشحة، فلو عزي إلى الأعوج لأنف ... ولو كان من خيل سليمان لما عـــدل بالصافنـــــات العتـــــاق ولا طفق لها مسحاً بالســـوق والأعناق " [1] .

لقد سعى كاتب هذا النص إلى رسم صورة نموذجية للجواد، " فهو يتحـــدث عـــن سرعته ونسبه وصفاته الحميدة، إنه فرس سريع اتخذ من الريح أجنحة لـــه عظـــيم فاره، توشـــــح بالقوة والنشاط والحـــــدة، أصيل يفوق بنسبه الخيـــل الكرام " [2] .

لقد أجاد الشعراء في وصفهم الخيل، وكادوا يجمعون على مثال أو نموذج واحـــد رائع الحسن والجمال سريع النجدة كريم الأصل، وتعرض النماذج الوصفية عامـــة صفات الخيل سواء أكانت الحسية المتمثلة بمظهرها وجمالهـــا

ورشاقتها وأعضائها وتباين مظاهرها، أم المعنوية المتمثلة بقوتها وسرعتها وكـــرم أصلها، وبعد هذه الصفات فإن الجواد يبدو بأبهى حلة وأجمل زينة .

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق3 ، م1، ص365 .

[2] القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص255 .

وقد تعارف الشعراء على هذه الأوصاف، لذلك فإن أوصافهم تبدو متفقة في كثير من الأحيان، مما يؤدي إلى إظهار الخيل بصورة مثيرة للهيبة والإعجاب.

1.3 صفـــات الخيـــل الحسيـــة أو الجسميـــة:

لقد سعى شعراء الأندلس في عهدي الطوائف والمرابطين إلى إبراز صورة الخيل بشكل واضح لما لهذه الخيل من أهمية لديهم؛ لذلك نجدهم يتطرقون إلـــى صـــفاتها الحسية المتمثلة بأعضائها ومنظرها ويمزجونها بصفاتها المعنوية، وقد جاء حـــديثهم عن هذه الصفات على نحوين :

1.1.3 أولا : الوصـــف الجزئـــي لأعضـــاء الخيـــل :

عني الشاعر الأندلسي عناية كبيرة بأعضاء جواده، حتى جعل يتقصـــاها ويـــدقق فيها، فيرسمها ويبين ملامحها ويستعين بمظاهر من الطبيعة والحياة لكـــي يشـــبهها ويصفها، ولعل الشاعر عندما يصف أعضاء الجواد لم يكن يرتبها كما هي فيه بـــل نجده يصفها بشكل عشوائي ومفكك، وسنذكر هنا أبرز الأعضاء التي تطرق إليهـــا الشعراء .

ويعدّ **الرأس** من أهم هذه الأعضاء، وعليه يتوقف حسن الجواد ومعرفـــة طبعـــه وأصله وهمته، ويستحسن أن يكون طويلاً، قال ابن هذيل: " ويستحسن في الـــرأس طول نصله " [1] .

وفي الرأس **الأذن**، " ويستحب في الفرس دقة الأذنين وطولهما وانتصابهما، ودقة أطرافهما، وقرب ما بينهما، وكل ذلك من علامات العتـــق " [2] ، لذلـــك فإن الشعراء كانوا يصفونها بأجمل الصفات لكي تكون مستحبة ومميزة، يقول أبـــو بكر بن بقي في وصفه لجواد : [3] (الطويل)

ومسوّمَة تحكي سنابكُها الصّفَا ... وتنقضُّ منها بالضراغمِ عقبانُ
نمتها إلى حُرٍّ كريمٍ صِفَاتُهَـــا ... فللنَّبْعِ أضـــلاعٌ وللآسِ آذانُ

---

[1] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص93 .

[2] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص95 .

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص636 .

فالشاعر يشبه الآذان بالآس؛ وهو نوع من أنواع الزهور الجميلة ذات الأوراق الرقيقة المنتصبة، وهذا التشبيه يدل على جمال تلك الآذان، وتتكرر الصورة نفسها عند ابن خفاجة حيث يصور آذان فرسه الأشقر كأنها ورق الآس الرقيق المعتدل : [1] (السريع)

مـن جُلنارٍ ناضرٍ لونُـهُ وأذنُـهُ مـن وَرِقِ الآس

وآذان الخيل دقيقة منتصبة تخلو من العيوب، فهي في رقتها تشبه القلم المبري المدبب، يقول ابن حمديس : [2] (الطويل)

يحرّف بالتأليلِ آذاناً كأنما بَرَى قلماً مِنها يخطّ كتابا

وفي الرأس أيضا **الناصية أو الغرة** : وهي ما استرسل من الشعر على جبهة الفرس وعينيه ووجهه [3] ، وهي تقي العينين من أشعة الشمس والغبار والذباب " ، ويستحب في الناصية اعتدال شعرها في الطول بحيث لا تكون خفيفة الشعر ولا مفرطة في كثرته " [4] .

والغرة عند الأندلسيين جميلة رائعة تزيد من جمال الجواد وروعته، فهي تستمد بياضها وجمالها من الهلال؛ مما يزيد من جمالها حتى لتلفت الأنظار إليها، يقول "ابن السيد البطليوسي" [5] : [6] (الطويل)

كأنَّ هِلالَ الفطرِ لاحَ بِوجهه فأعينُنا شوقاً إليه تميلُ

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص123 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص540 .

[3] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص68 .

[4] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، ط1، نسخه عن نسخة دار الكتب المصرية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج2، ص21 .

[5] هو عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، وشلب بيضتُه، وفيها كان استقراره، ونسب إلى بطليوس وهي مدينة تقع على الحدود الشرقية للبرتغال؛ لمولده فيها، كان عالماً باللغات والآداب متبحراً في معرفتها، وله عدة مؤلفات، أشهرها الإقتضاب في شرح أدب الكتّاب، وهو بالأندلس في الأدب كالجاحظ . " المقري، أزهار الرياض،ج3، ص105 ، ابن خاقان ، قلائد العقيان، ص708" .

[6] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص108 .

وغرة الجواد عند ابن حمديس مشرقة تستمدّ إشراقها من الصباح المنير حتى أنها تنير الظلام : [1] (المتقارب)

وتحسبُ غُرّةَ صبحٍ مُنيرٍ بَدَتْ منه في وَجْهِ ليلٍ بهيمِ

وهذه الغرة تشبه الشفق الذي يتكون من لونيين ممزوجين:الأبيض والأحمر :[2] (الكامل)

وكأنَّهُ وكأنَّ غُرَّةَ وجهه شفقٌ تألّقَ فيه مَطلعُ شارقِ

والغرة عند ابن خفاجة طلقة مسدولة على جبهة الجواد حتى أنها تجلب النصر لفارسها، وهي فائقة الجمال يتمثل فيها الحسن والرونق : [3] (الطويل)

لَهُ غُرَّةٌ تَسْتَصْحِبُ النَّصْرَ طَلْقَةٌ كَفَاكَ بِها في سُورَةِ الحُسْنِ مِنْ عَشْرِ

ومن أجمل أوصاف الغرر ما قاله ابن برون الأكشوني الأندلسي في نفح الطيب: [4] (الكامل)

فكأنَّ غُرَّتَهُ وتحجيلاتِهِ خمسٌ من السُّوسانِ وَسْطَ شقائقِ[5]

إن هذه الغرة رائعة الجمال حتى أنها بدت هي والتحجيلات كأنها خمس أزهار من نوع السوسان وسط أزهار الشقائق، وهي واضحة بارزة في الجواد؛ لذلك فإن "ابن عبد الصمد"[6] يصفها في جواده بأنها بلجاء: [7] (الكامل)

سَامِي التّليلِ يَروقُ تحت لجامِه فرعٌ أحمٌّ و غُرّةٌ بلجاءُ [1]

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص424 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص26 .

[4] المقري، نفح الطيب، م3، ص 600 .

[5] التحجيل: شية من الشيات بموجب الاشتقاق، خصّ بهذا الاسم أخذاً من الحَجْل وهو الخلخال وهو مخصوص بالرّجل وهو بياض في الرجل يصل إلى ركبة اليد وعرقوب الرجل . " ابن هذيل، حلية الفرسان، ص117 " .

[6] هو أحمد بن عبدالصمد ابن أبي عبيدة الخزرجي، أبو جعفر، ولد سنة 519هـ ، فقيه أندلسي، من أهل قرطبة. نزل بجاية وسكن غرناطة، وعمي في آخر عمره. توفي بفاس سنة 582هـ . " خير الدين الزركلي، الأعلام، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1961م، ج1، ص150 " .

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 817 .

ومن الأعضاء التي وصفها الشعراء في الرأس أيضاً **الفم**، فابن حمديس يجعل أفواه الخيل محاطة بدائرة بيضاء، وقد استعارت هذا اللون والشكل الجميل من الصبح، الذي تجسد في صورة إنسان يقبلها، ويتجلى هنا فن اللقطة الشعرية عند هذا الشاعر، وهو يصور هذا الجزء الدقيق من وجه هذه الخيل ورأسها، الذي بدا أبيض اللون لمن يراه، يقول : [2]

(الكامل)

وكأنّ صبحاً خصَّ فاه بقبلةٍ فابيضَّ موضعُها لِعَيْنِ الرامقِ

وثغر الجواد عند ابن خفاجة يبتسم فتبدو أسنانه كأنها حلي جميلة، فيصبح الفم كأس خمر انتثرت عليه حبات وقطرات من هذا الخمر : [3]

(الكامل)

بَسَّامُ ثَغْرِ الحَلْيِ تحْسَبُ أنَّهُ كَأْسٌ أَثَارَ بِهَا المِزَاجُ حَبَابَا

أما **العنق**، فله أهمية عظيمة في جسد الجواد، لا تقل عن أهمية الرأس، وعلى طوله وقصره، تتوقف حركة الجواد، ويعرف عتقه أو هجنته وتركيب العنق مهم كثيراً في تطبيع الجواد، فالعنق الزائد الطول يدل على عدم القوة، والقصير يدل على زيادة القوة، وغلظ العنق يعيق الجواد في التطبيع، لا سيما إذا كان الجواد كثير اللحم [4] ، ويفضل العنق الطويل . قال ابن قتيبة: " ويستحب في العنق الطول واللين، ويكره فيها القصر ". [5]

وقد وصف شعراء الأندلس أعناق خيلهم فجعلوها طويلة متسعة، يقول

---

[1] البلوج: الوضوح والإشراق والبروز . غرة بلجاء: غرة بيضاء بارزة واضحة . " اللسان، م2، ص215ـ216، مادة بلج " .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص211 .

[4] خوري، نجيب، الخيل وفرسانها، المطبعة الأنطونية، لبنان، 1962م، ص16 .

[5] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت 395هـ/ 1004م)، ديوان المعاني، عن نسخة الإمامين محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني، مكتبة القدسي، القاهرة، ج2، 1352هـ ، ص110 .

ابن دراج القسطلي : [1] (الكامل)

سامِي التَّلِيلِ كـــأنَّ عَقْدَ عِذارِهِ في رَأسِ غُصْنِ البَانَةِ المَيَّـــادِ [2]

فهو يصف اتساع صفحة عنقه وارتفاعها، وتمايل رأسه أو صفحة وجهه وموضع عذاره، ويشبه هذا التمايل بحركة غصن البان مما يوحي برشاقة الفرس [3] .

وجواد ابن خفاجة أيضاً طويل العنق، فهو ذلول تسهل قيادته أتلع مرتفع العنق : [4] (الطويل)

وَأَبْلَقَ خَوَّارِ العِنَـــانِ مُطَهَّمٍ طَوِيلِ الشَّوَى وَالشَّأْوِ ، أَقْوَدَ أَتْلَعَا

وتتكرر الصورة عند ابن خفاجة فيجعل جواده مشرف الهادي أي عالـــــي العنق: [5] (السريع)

وَمُشْرِفِ الهَادِي طَوِيلِ الشَّوَى ضَافِي سَبِيبِ الذَّيْـلِ وَالعُـرْفِ

ويركب الممدوح عند ابن حمديس ظهر جواد يمشي في الليل وهو متعـــب مـــن المسير ضامر البطن؛ لكنه يتسم أيضاً بارتفاع عنقه فهو سامي التليل : [6] (البسيط)

يا ويحَ طارقِ ليلٍ يستقلّ بـــهِ سامِي التَّلِيلِ براهُ الأيْنُ والضُّمرُ

ويصف الأعمى التطيلي خيل علي بن يوسف بن تاشفين بأنها مشـــرفة الأعنـــاق سامية مرتفعة : [7]

(الوافر)

جلبتَ الخيلَ مُشْرِفَةَ الهوادِي تَعِزُّ على قِيادِكَ أو تهونُ

ومن الصفات المستحبة في عنق الجواد أيضاً سهولة حركته وتثنيه،فالشعـــــراء

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص716 .

[2] التليل: العنق . قال لبيد: تتقيني بتليل ذي خصل، أي بعنق ذي خصل من الشعر، والجمـــع أتلـــة وتُلـــل وتلائل " اللسان، م11، ص79 ، مادة تلل " .

[3] ذعدور، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، ص454 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص 57 .

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص280 .

[6] ابن حمديس، الديوان، ص222 .

[7] الأعمى التطيلي، الديوان، ص200

يشبهونه بالغصن المتمايل، يقول "الوزير ابن الأرقم" [1] : [2] (المتقارب)

تَرَى كلَّ أَجْرَدَ سامِـــي التَّلِيلِ وتحسَبُـــهُ غُصنـــاً مائِـــلاً

فهذا الجواد الأجرد يتسم بطول عنقه المتمايل الذي يشبه الغصن اللين .

وتتكرر الصورة نفسها عند ابن الزقاق، حيث يجعل عنق جواده متثنياً كأنه غصن تلعب به ريح الصبا، يقول : [3]

(السريع)

له تليلٌ مثـــلُ مـــا ينثنـــي غُصْنٌ به ريحُ الصَّبا تلعبُ

ومن الأجزاء المهمة في العنق **العرف أو السبيب**، وهو شعر عنق الجواد ما بين ناصيته أوغرته وحتى صهوته[4]، وقد فضّل الأندلسيون السبيب الطويل ذي الشـــعر الغزير؛ لذلك فإننا نجد الشعراء يصفونه بالطول. يقول ابـــن خفاجة: [5]

(الطويل)

طَوِيلُ سَبِيبِ العُرْفِ والعُنْقِ وَالشَّوَى قَصِيرُ عَسِيبِ الذَّيْلِ وَالأُذْنِ وَالظَّهْرِ

وشعر هذا السبيب غزير طويل حتى أنه يضفي على العنق : [6]

(السريع)

وَمُشْرِفِ الهَادِي طَوِيلِ الشَّوَى ضَافِي سَبِيبِ الذَّيْلِ والعُرْفِ

ولون هذا الشعر مستمد من لون الشفق، فالفرس عند أبي عامر بن عبدوس[7]

---

[1] هو أبو الأصبغ عبدالعزيز بن الأرقم، وزير المعتصم بن صمادح، كان آية في الوفاء . أرسله المعتصـــم إلى المعتمد بن عباد فوقع في قلبه، فأراد افساده على صاحبه، وطلب منه أن يقيم عنده فقال له : ما رأيـــت من صاحبي ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب . " ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص94ـــ95 " .

[2] المقري، نفح الطيب، م3، ص499 .

[3] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص 84 .

[4] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص 68 .

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص 26 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص280 .

[7] هو أبو عامر أحمد بن عبدوس، وأخباره قليلة جداً، وإن كان اشتهر بعد أن خاطبه ابن زيدون على لسان ولادة برسالة خاصة، عرفت بالرسالة الهزلية، نحا فيها نحو الجاحظ في السخرية بمحمد ابن عبدالوهاب أحد معاصريه. وقد قال ابن بسام في إشارة إليه: " كان بقرطبة أحد أعيان المصر، وبعض من هذى باسمها (أي باسم ولادة بنت المستكفي) وتصرف على حكمها " . روى له ابن بسام شيئاً يسيراً من الشعر==

بيضاء يعلوها عرف أحمر : [1]

(المنسرح)

يا حُسْنَ هذا الجوادِ حينَ بَـدا في شيةٍ لم تَكُـنْ لِـذي بَلَـقِ
قامَ عليها النهـارُ مُدَّعِـيـاً فاعترفـتْ عَرْفَهُ يدُ الشَّفَـقِ

أما **الظهر والمتن أو الصهوة**، فله في الجواد شأن عظيم فعليه يجلس الفـارس، وعلى حسن تركيب الظهر تتوقف راحته، وعلى الصهوات تهتز الفرسـان طربـاً، وهي عزّ لفارسها، يقول المثل العربي : " ظهور الخيل عـزّ، وبطونهـا كنـز "[2]، فالصهوة مقعد الفارس ومركز راحته، يقول ابن دراج القسطلي : [3]

(المتقارب)

وفي صهواتِ الخيولِ الرِّجالَ ومن أدواتِ الرِّجالِ السّلاحَا

وتتسم متون الخيل بالضخامة والصلابة والقوة فتبدو كأنها مرابض آجام فوقهـا أسود، يقول ابن دراج القسطلي : [4] (الكامل)

وخَلَتْ متونُ الخيلِ من أبطالِها مرابضُ الآجامِ مـن آسادِها

ومتن الخيل تسمو بصاحبها، فهي مرتفعة تستقل به وتثبت لـذلك فإنهـا مثيـرة للعجب عند الحكيم أبي الصلت أمية بن عبدالعزيز، يقول : [5]

(الكامل)

عجباً لطِرْفك إذْ سَمَا بك متنُهُ كيفَ استقلَّ بما عليه من الحجى

ويعتزّ الفارس عندما يمتطي صهوة جواده ويفاخـر الشباب لأنها صهـوة

== عرضاً ولم يترجم له، ولم يقف عنده وقفة قاصدة . " ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص422، المقري، نفح الطيب، م3، ص368 . ابن سعيد الاندلسي، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/ 1286م)، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الدايه، ط1، دار طلاس للدرا سات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م، ص126 ".

[1] ابن سعيد، رايات المبرزين، ص126 .

[2] خوري، الخيل وفرسانها ، ص 75 .

[3] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص 118 .

[4] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص574 .

[5] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص71 .

مهرة قوية تحمله وتسير به، يقول ابن حمديس : [1] (الطويل)

وأركبُ عزّاً صهوتي وهي مهرةٌ أُساور منهـا بالشبـابِ شبابَا

ويأنف الممدوح عند ابن زيدون من فراشه ولا يطمئن إليه فيعدل عنه إلى امتطاء صهوة جواده السريع : [2] (الطويل)

ويَأنَفُ من لِينِ المِهادِ تَعَوُّضاً بصَهوةِ طيّارٍ ، إلى الرَّوْعِ ، أجْرَدا

وجواد الأعمى التطيلي ضامر مشرف الحارك أي الظهر محبوك كثيف الشعر: [3] (الرجز)

بمُشرِفِ الحارِكِ نَهْدِ الكَفَل

أقبَّ محبوكِ السَّراة هَيْكَـل

أما **القوائم أو الشّوى**، فهي مهمة جداً في الجواد وتأتي أهـم مـن كثيـر مـن الأعضاء الأخرى، ذلك أنها تحمل الجسد، وإذا تعطلت تعطل الجواد، ويستحب في القوائم الطول؛ لذلك فإن الشعراء وصفوا خيلهم بأنها طويلة الشـوى، وإذا مـا اقترن ذلك بطول عنقها فإنها تصبح من أكمل المخلوقات وأبدعها، يقـول ابـن خفاجة : [4] (السريع)

وَأَخْلَقِ الخَلْقِ طَوِيلِ الشَّوَى مُسْتَشْرِفِ الهَادِي عَلَى العَامِلِ

ويقترن طول القوائم مرة أخرى بطول العنق عند ابن خفاجة : [5] (السريع)

وَمُشرِفِ الهَادِي طَوِيلِ الشَّوَى ضَافِي سَبِيبِ الذَّيلِ وَالعُرْفِ

والجواد عند أبي الصلت أمية بن عبدالعزيز جميل حسن ضخم القوائم، وهذه سمة تميزه عن غيره : [6] (الطويل)

إذَا كلفوا بالطَرْفِ أدعجَ ساجياً كلفت بحب الطرِّف عبل الشّوى نهْدا

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص54 .

[2] ابن زيدون، الديوان، ص523 .

[3] الأعمى التطيلي، الديوان، ص157 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص269 .

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص280 .

[6] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص82 .

أما **الحوافر**، فهي التي تساعد الجواد في السيـــــر، وتعدّ ركيزة مهمة للجــواد فهي التي تطأ الأرض وتدوس الحصا والرمال؛ لذلك فإنها يجـــــب أن تكـــون قوية صلبة [1]، ويستحب أن تكون عظيمة لكي تصبر على صكّ الأرض وتحتمــل الثقل الذي يعلوها .

يقول الحكيم أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز في وصف حوافر بأنها شديدة صلبة : [2] (الكامل)

خلقت حوافره الصلاب زبرجداً تُلفى إذا اعترك الكماةُ عقيقاً

فالشاعر يشبه هذه الحوافر لشدة صلابتها بحجر الزبرجد الصلب، لذلك فإن هذه الخيل ذات الحوافر الصلبة القوية تحتمل المعارك التي يشترك فيها الكماة.

وتتكرر نفس الصورة عند ابن حمديس، فحوافر جواده صلبة قوية تشبه الزبرجد حتى أنها تحتمل الجليد، لذلك فإنها تعدو سائرة على الجليد، دون أن تهابه، وتكســره كما يتكسر الزجاج، يقول : [3] (الطويل)

علتْ خيلُنا منها جليــداً فــلم يُتَحْ بنا للعِــدَى من عدوهنّ عجاج

وكَمْ حافرٍ في الرسغِ منه زبرجدٌ كسيرٍ به ممّــا عَلاه زجـــــاج

ويتفنن الشعراء في وصف حوافر الخيل، فهي التي تسير مسرعة كأنها برق يمشي على عجل، يقول ابن حمديس : [4] (المتقارب)

يطيرُ بـــه حافــرٌ ، رَيْثُـــهُ شأى البرْقَ في خَطْفَهِ عن عجل

ومن شدة إعجابهم بهذا الحافر، فإن الجواد الذي يحمل حافرين قويين ضـــامرين يستحق التقبيل أكثر من مبسم الفتاة الحسناء، يقول ابن بقي القرطبي : [5] (البسيط)

من كلِّ مُضطمرِ الكشحين حافرُهُ أحقُّ من مَبسمِ الحسنــاءِ بالقُبلِ

---

[1] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص91 .

[2] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص72 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص 75 .

[4] ابن حمديس ، الديوان ، ص362 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 621 .

ويلبسون هذا الحافر نعلاً جميلاً لكي يسير به، يقول أبو الفضل محمد بن عبدالواحد الدرامي (ت454هـ) :[1] (المتقارب)

فكان لـــه غُـــرّةً فـــي التمام ونعْـــلاً لحافِره فـــي السّرار

ويتحدث ابن حمديس عن أرجل الخيل، فهي أرجل تتحرك بخفة وسرعة كأنها تشبه الأقلام حين يكتب بها الكاتب بسرعة ونشاط ، يقول :[2] (الكامل)

بمـــؤللاتٍ تستديـــرُ كَأنّهـــــا أقلامُ مبتدعِ الكتابـــةِ ماشـــقِ

أما **الذّيل أو العسيب**، فيستحب منه قصر عسيبه وضخامته عند المنبت وأن يكون مستقيماً وطويل الشعر صافي اللون، ويستحب في الخيل أن تشيل أذنابها أي ترفعها عند العدو [3] ، يقول ابن خفاجة :[4] (الطويل)

طَوِيلُ سَبِيبِ العُرْفِ والعُنْقِ والشَّوَى قَصِيرُ عَسيبِ الذَّيلِ والأُذْنِ والظَّهْرِ

لقد اجتمعت في بيت ابن خفاجة هذا جميع الصفات المستحبة في الجـــواد، فهـــو طويل العنق والقوائم، قصير الأذن والظهر، وممّا زاده حسناً وجمالاً قصر عســـيب ذيله .

وكثيراً ما يجمع ابن خفاجة صفات الجواد في بيت واحد فنجده يصف طول العنق والقوائم أيضاً في بيت طالما تكرر ذكره، فجواده يجمع صفات أخـــرى إنـــه كثيف شعر الذيل والعرف:[5] (السريع)

وَمُشرِفِ الهَادِي طَوِيلِ الشَّوَى ضَافِي سَبِيبِ الذَّيلِ والعُرْفِ

ويقلص الجواد ذيله إذا ما دخل المعركة، فيساعده ذلك على الصبر فيهـــا، يقـــول ابن خفاجة :[6] (المتقارب)

وَوَافَـــى يُقَلِّـــصُ أذْيَالَـــهُ لِيَصْبُـــرَ لُجَّـــةَ بَحْـــرٍ خِضَـــمّ

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص105 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

[3] خوري، الخيل وفرسانها، ص22 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص26 .

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص280 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص44 .

وطول ذيل الحصان مستحب عند شعراء الأندلس، وربما كان هذا من مظاهر زينتها، فجواد ابن حمديس يجرّ ذيله على الأرض ويختال بذلك : [1] (الكامل)

وَمُجَرّرٍ في الأرْضِ ذيلَ عسيبِهِ حَمَلَ الزبرجَدَ منه جسمُ عقيق

ووقف بعض شعراء الأندلس عند **جلد** خيلهم، فكانوا يركزون على لونها وقوتها ومنعتها، فجلد الجواد عند ابن عبد الغفور يتقدّ كأنه مصوغ من الجمر، ولونه يشبه لون الخمر الصافي : [2] (الطويل)

بأشقرَ وقّادِ الإهابِ كأنّما تجسّم من جمرٍ صَريحٍ ومن خمرِ

ونجد اللون نفسه عند ابن حمديس، فحصانه الأدهم يتخذ جلداً أحمر يميل إلى السواد، حتّى كأنه أخذ صبغته من الغراب : [3] (الكامل)

أو أدهمٍ أحوَى الإهاب كأنما صبغَ الغُرابُ بلونِهِ الغربيب

2.1.3 ثانيا : وصف منظر الخيل العام :

وكما وصف الشعراء أعضاء الخيل وفصّلوا فيها، فإنهم سعوا لرسم صورة عامة للفرس لذلك فإننا نجدهم يصفون المنظر العام لهذه الخيل، ومن أكثر الصفات دوراناً على ألسنة الشعراء صفة الضخامة لما لهذه الصفة من الأثر الكبير في نفس صاحبها، فالحصان الضخم يثير الرعب والخوف في نفوس الأعداء، وقد أجمع معظم الشعراء على وصف خيلهم بالضخامة، فاتفقت معانيهم وجاءت صورهم متقاربة على الرغم من بعض الفروق البسيطة .

يقول ابن حمديس : [4] (الطويل)

تقومُ على ساقٍ به الحربُ في العدى ومجلسُهُ في صهوةِ الفرسِ النّهدِ

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص329 .

[2] الأصفهاني، خريدة العصر، ق4، ج2، ص427 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص61 .

[4] ابن حمديس، الديوان، ص151 .

لقد اختار كلمة (**النهد**) ليعبر عن ضخامة فرسه، والنهد يعني كثير اللحم حسن الجسم، عظيم الأعضاء وشديدها [1]، والشاعر يفتخر بممدوحه الذي يسعى إلى محاربة الأعداء على ظهر فرس قوي وضخم . ويستحب الحكيم أبو الصلت هذه الصفة في جواده فهو ضخم القوائم جميل حسن، فكلف بحبه كلفاً كبيراً : [2]

(الطويل)

إذا كلفوا بالطرف أدعجَ ساجياً كلفت بحب الطِرْف عبل الشوى نهدا

وهذا النهد يحارب مع صاحبه ويطعن الرجال يوم الوغى، يقول ابن اللبانة الداني : [3] (السريع)

يا طاعنَ الخيلِ غداةَ الوَغى طاعنكَ النّهدُ فألقِ السّلاحَ

ومن الخيل الضخمة ما يسمونه **الطِرْف**، وهو الطويل القوائم الطويل العنق المطرف الأذنين الذي اكتملت فيه كل صفات الحسن والطول [4] ، وقد تفاخر شعراء الأندلس بضخامة الجواد الطرف وجماله وسرعته فهو عند ابن خفاجة سريع كسرعة لمح البصر أو الطرف حتى أنه في سيره لا يُرى فيبدو كطيف الخيال : [5] (الخفيف)

رُبَّ طِرْفٍ كَالطَّرْفِ سُرعَةَ عَدْوٍ لَيْسَ يَسْرِي سُرَاهُ طَيْفُ الخَيَالِ

ويقطع ابن خفاجة الأهوال والصعاب على ظهر هذا الجواد، فها هو يسير به في واد سحيق يملأ القلب وحشة، حتى ليبدو صهيل هذا الجواد في هذا الوادي كأنه تنهيد : [6] (الطويل)

وَخَرقٍ سَحِيقٍ يَمْلأُ الصَّدْرَ وَحْشَةً فَرَجْعُ صَهِيلِ الطِّرْفِ فِيهِ تَنَهُّدُ

ويعدّ الحكيم أبو الصلت الطرف من خير ذخائر الأملاك، فهو يمتع النظر به ويتمعن فيه؛ لأنه حصان ضخم ذو منظر حسن وجميل : [7] (الوافر)

---

[1] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص136 .

[2] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص82 .

[3] ابن اللبانة الداني، شعر ابن اللبانة، ص30 .

[4] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص136 .

[5] ابن خفاجة، الديوان، ص360 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص194 .

[7] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص159 .

وَخيرُ ذخائـرِ الأملاكِ طـرفٌ يروقُ الطـرفُ حينَ يجولُ فيـه

وهذا الجواد الطرف يرفض من شدة قوته أن يوضع اللجام في فمه، لذلك فإن هذا اللجام ممنوع عليه، يقول المعتمد بن عباد : [1] (المتقارب)

كـذا يمنـع الطـرف علك الشكيـم ، مرتقبـا غـرة فـي كميـن

وصهيله يوقظ النساء اللواتي في خدورهن، وذلك لشدة هذا الصوت وارتفاعـه، يقول ابن الزقاق البلنسي : [2] (الوافر)

طرقتُ بهِ الأوانسَ بعـد وَهْنٍ وفـي كفـي سُرَيجـيٌّ صقيـل

فروَّعَهُنَّ من سيفـي وميـضٌ وأيقظَهنَّ من طِرْفـي صهيـل

وفرس المتوكل بن الأفطس طرف قوي ضخم يجول في الأرض فتتأمل نفسه بما حولها، يقول ابن اللبانة في ذلك : [3] (الكامل)

لله طِرفٌ جالَ يا ابنَ محمـدٍ فحبتْ بـه حوباؤُه التأميـلا

وتتكرر صفة هذا الجواد، فهو دائماً يتصف بالسرعة التي تسبق سرعة البصـر ويعدو عدواً لا تحتمله الأرض حتى أنها تضيق عنه، يقـول ابـن فتـوح: [4] (الكامل)

طِرْفٌ يفوتُ الطَّرْفَ شأواً عدْوُه ويضيقُ وُسْعُ الأرضِ عند مجالِه

أما لون هذا الطرف فهو مستمد من لون الليل، ويشبه البدر فـي جمالـه، يقـول "الدرامي"[5] في وصف طرف : [6] (المتقارب)

حَكَـى فَرسِي الليلَ في لونِـهِ فقابلَـه البدرُ عنـد اضطـرارِ

ومن صفات الخيل العنجوج : وهو الطويل الممحص الطويل العنق، الجيد الخلق،

---

[1] المعتمد بن عباد، الديوان، ص116 .

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص230 .

[3] المقري، نفح الطيب، ص333 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص468 .

[5] هو أبو الفضل محمد بن عبدالواحد بن الحارث الدرامي، شاعر وشاح، وهو من أهل بيت وعلم، اسـتقر بطليطلة بجوار المأمون ابن ذي النون فأكرمه المأمون، وأجزل قراه، ووسع له، وكانت وفاته سنة 454هـ في طليطلة . " ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص94ـ95 " .

[6] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص105 .

الحسن الصورة في طوله [1] ، ويفتخر الشعراء بالخيل المتصفة بهذه الصفات، فهي توصل صاحبها إلى ذروة المجد لأنها خيل رائعة تكرّ بصاحبها ولا تخاف الموت، فهي خيل قوية يمتطيها فرسان أقوياء يهاجمون بها دون خوف أو رهبة، يقول الأعمى التطيلي : [2] (الطويل)

أحَلَّتْكَ أعلَى ذِرْوَةِ المجدِ همَّةٌ لها البأسُ رِدْءٌ والسماحُ سميرُ

وَجُرْدٌ عناجيجٌ ذكور يَكُرُّهَا على الموتِ مُرْدٌ مُعْلَمُونَ ذكورُ

وهي تشارك في المعارك وتتعثر بالرماح في جو مظلم، أصبح كذلك من كثرة الغبار الذي احدثته هذه العناجيج، حتى كأن الفجر لا يستطيع أن يشقه وينيره، يقول ابن زيدون : [3] (الطويل)

إذا عثَرَتْ جُرْدُ العَناجيجِ في القَنا بليلٍ عجاجٍ ليسَ يصدَعُهُ فَجرُ

وتتصف خيل الأندلسيين بصفة أخرى أكثر الشعراء من ذكرها والحديث عنها والتفاخر بها وهي **السبوح**، والسبوح أو السابح هو الجواد الذي يبدو في عدوه كأنه يسبح سبحاً فهو يسطو بيديه قدما إذا جرى [4] .

يقول ابن دراج : [5]

(البسيط)

وسابحِ الشَّأوِ ما أقْحَمْتَ هاديَهُ بحرَ المهالكِ إلا غاصَ أو سَبَحَا

فهذا الجواد سريع يقتحم المهالك دون أن يهاب ذلك، ويغوص ويسبح في أجواء الحرب والمعارك، وهو عند ابن خفاجة جواد كريم الأصل من سلالة والدين نجيبين : [6]

(الطويل)

تَخَيَّرتُهُ مِنْ رَهْطِ أعْوَجَ سَابحاً أغَرَّ كَرِيمَ الوالِدينِ نجيبَا

---

[1] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص136 .

[2] الأعمى التطيلي، الديوان، ص61 .

[3] ابن زيدون، الديوان، ص592 .

[4] ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص138 .

[5] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص540 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص112 .

وهذه السوابح تحمل فرساناً أشداء، وهي مجللة بما يقيها من الجراح في ساحات الوغى، يقول ابن حمديس :[1] (الطويل)

وَدُهْمٌ بفرسانِ الكفاحِ سوابحٌ تجافيفها في الرّوعِ منسَدل اللبدِ

وتسير هذه الخيل بأصحابها في وسط الظلام الدامس مسرعة حتى لتبدو كأنها وهمٌ وليس حقيقة من شدة سرعتها، يقول عبدالمجيد بن عبدون :[2] (الكامل)

خبطتْ بنا وَرَقَ الظلامِ سوابحٌ ملءُ النواظرِ سيرهنَّ توهّمُ

وتسبق الريح حتى وهي غير مسرعة بل متمهلة، يقول النحلي أبو الوليد:[3] (الرمل)

رَكِبَ البَدْرُ جواداً سابحاً تقفُ الريحُ لأدنى مَهلِهْ

وقد أكثر الشعراء من وصف الخيل **الضامرة**، وهي صفة مستحبة، فنجدهم يجعلون هذه الخيل ضامرة البطون طويلة القوائم، وهذا يؤدي إلى سرعتها، فتنساب في الفلوات وبين الهضاب وفي السهول كما تنساب الأراقم، يقول ابن خفاجة :[4] (الكامل)

وجَاذَبْتُهُ فَضلَ العِنَانِ وَقَدْ طَغَى فَانْصَاعَ يَنْسَابُ انسِيَاب الأَرْقَمِ

وهي من شدة ضمورها تشبه الأقواس والنبال، لكنها مع ضمورها قوية، يقول الأعمى التطيلي :[5] (الخفيف)

ضُمُراً كَالقِسَيِّ ، مُطَّردَاتٍ كالقنا ، مُسْتَشِقَّةً كالنبال

ويؤدي هذا الضمور إلى سرعتها فتسبح في الهواء سبحاً، وهي أيضاً كريمة الأصل من جياد الخيل، يقول أمية بن عبدالعزيز أبو الصلت :[6] (الوافر)

تذمُّ لهم قوائمَ سابحاتٍ ضوامر من جيادِ الخيلِ قود

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص153 .

[2] عبدالمجيد بن عبدون، الديوان، ص179 .

[3] المقري، نفح الطيب، م3، ص333 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص244 .

[5] الأعمى التطيلي، الديوان، ص 102 .

[6] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص43 .

وأطلق الشعراء على هذه الخيل الضامرة صفة **الشزب**، وهي شديدة الضمور لكنها خشنة وقوية، فهي عند ابن سارة الأشبيلي مميزة بعلامات تدلّ على أنها مدربة ومعدة للقتال وترفع رأسها وترتفع في عدوها : [1] (الكامل)

ومسومـــاتٍ شُزَّبٍ إن أحْضَرِتْ نفضَتْ على ثَوْبِ السَّماءِ غبارهَا

وربما أصابها هذا الضمور الشديد بسبب ما تلاقيه من أهوال في المعارك، فهي تخوض معركة قوية كأنها نار مشتعلة، يقول ابن اللبانة : [2] (الكامل)

والجيشُ في ظـلِّ اللواءِ مؤيـد والخيلُ في وهجِ الكريهة شُزّبا

وتعدّ هذه الخيل من عدة الحرب الرئيسة إلى جانب الرماح والسيوف، فكلّ هذه الأدوات تسهم في صد الأعداء، يقول ابن الزقاق البلنسي : [3] (السريع)

والأسلُ السّمـر وبيـض الظبـا دون العدا والضّمـر الشّزب

وتمشي هذه الخيل (مشي الرديان) أي السير والعدو الشديد في أرض المعركة ذات الغبار الكثيف الذي يشبه الليـل وهذه الخيل تهاجم الأعداء وتهلكهم، يقول الأعمى التطيلي: [4] (الطويل)

وَتَخْرُجَ من ليلِ الغُبَارِ ولو ترى شوازبَ تَرْدِي تحت صمانة تُردي

ومن الخيل الضامرة ما كان الشعراء يسمونه (**الأقب**) : وهو المنطوي الكشح الضامر [5] ، وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه الصفة، فالجواد الأقب جواد قوي سريع جريء في الهجوم على الأعداء، يقول ابن خفاجة : [6] (الكامل)

وَأَقَبَّ وَرْدِيِّ القميَـصِ بِمِثْلِـهِ خِيـضَ الظَّـلامُ وَرِيعْتِ الظُّلْمَانُ

وَلَرُبَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ قَـدْ خَاضَـهُ سَبْحـاً وَبِيـضُ سُيُوفِهِ غـدْرَانُ

---

[1] الأصفهاني، خريدة العصر، ق4، ج2، ص273 .

[2] ابن اللبانة الداني، شعر ابن اللبانة، ص15 .

[3] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص83 .

[4] الأعمى التطيل، الديوان، ص32 .

[5] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص138 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص344 .

وقد استمدّ هذا الأقب لونه من الآبنوس واتخذ صفاته من صفات العرب الفرسان الأوائل (زيد الخيل والغنوي و امرئ القيس الضليل)، يقول يوسف ابن هارون الرمادي : [1] (الكامل)

بأقبَّ لونِ الآبنوسِ مُفضّض في غُرّةٍ منهُ وفي تحجيلِ
مُستغرِقٌ لصفاتِ زَيْد الخيلِ والـ غنويّ والمُزَنيِّ والضّلّيلِ [2]

وهو سريع تحمله أربع قوائم فتطير به في الرياح لولا أن اللجام يمسكه، لذلك فهو يشبه العقبان ومنظره حسن وجميل كالغزلان، ويمشي متبختراً من شدة اختياله كمشية النشوان، يقول ابن عبد الصمد : [3] (الكامل)

وأقبَّ تحملُهُ رياحٌ أربعٌ لولا اللجامُ لطارَ في الميدانِ
من جملةِ العِقبان إلا أنه من حُسنِهِ في طلعةِ الغزلانِ
يمشي إلى مَيدانِه مُتبختراً من تيههِ كتبخترِ النّشوانِ

وإذا كان يسابق العقبان فإنه يسابق البروق أيضاً فيسبقها لذلك فإنها تحسده غيظاً منه؛ لأنها لا تستطيع اللحاق به، يقول أبو تمام بن رباح : [4] (الكامل)

---

[1] ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص313 .

[2] زيد الخيل: زيد بن مهلهل الطائي، سمي بزيد الخيل لكثرة خيله ومنها: الهطال، الكميت، الورد ولاحق. سماه الرسول زيد الخير، مات في السنة التاسعة للهجرة. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت370هـ/ 980م)، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، 1961م، ص92 . ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت276هـ/ 889م)، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، 1964م، ص205 " .

الغنوي: طفيل بن عوف بن كعب، من بني غنيّ من قيس عيلان، المعروف بطفيل الخيل لكثرة وصفه لها . " الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص217 . الزركلي، الأعلام، ج3، ص228 "

المزني: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) . وهو ممن اشتهر لهم شعر في وصف الخيل ." ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص156 " .

الضليل: لقب امرئ القيس حُنْدُج بن حُجْر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار، ويلقب أيضاً بذي القروح، من أصحاب المعلقات، الشاعر الجاهلي المعروف، اشتهر بذكر الخيل في شعره ." الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن محمد الحسن (ت502هـ/ 1108م)، شرح القصائد العشر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، 1964م، ص6 . الزركلي، الأعلام، ج21، ص11 . ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص50ـ75 " .

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص813 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص470 .

وأقبَّ تنقــدُّ البروقُ إذا جــرى مــن غيظِها حسداً بأن لم تلْحَقِ

كما تطرق الشعراء إلى وصف شعر خيلهم، فهي **جُرد**، والأجرد منهــا القصــير الشعر[1] . ولقد فضّل الشعراء هذه الصفة في خيلهم فهــم يمتطــون فــي أســفارهم ورحلاتهم خيلاً جرداً كريمة، فها هو المعتمد بن عباد يقرب هذه الخيل الجرد لكــي يسافر عليها من يحب : [2] (الطويل)

وقُرِّبَتِ الجردُ العتاقَ ، وصُفِّقت طبُولٌ ، ولاحت للفراقِ علاماتُ

وهي تستخدم في الحروب ومن يجعلها جياداً له في معاركه فإنه سيفوز بمعــالي الأمور، يقول ابن دراج القسطلي : [3] (الطويل)

فتىً جَعَلَ الجُردَ الجيادَ قِداحَــهُ ففــازَ بأقمارِ المعالي قِمــارُه

وجواد ابن خفاجة الذي يمتطيه فارسه للقتال، أجرد أشقر اللون يســابق البــرق ويثير الغبار في سيره : [4] (الطويل)

وَلاَ غَيْمَ إلا قسْطَلٌ ثــارَ أقْتَــمٌ وَلا بَرَقَ إلا أَشْقَرٌ جَالَ أَجْــرَدُ

وتدافع هذه الخيل الكريمة ذات الشعر القصير الرقيق عن صاحبها ويعزّ عليها إذا لم تستطع ذلك، فهي تبذل كل ما بوسعها لإنقاذ صاحبها من الموت في المعركة، ولكن إذا ما داهمته المنية تخضع للقدر المحتوم ذليلة خاشعــــة في المرابط، يقول ابــن زيدون : [5] (الطويل)

يَغيظُ العِتاقَ الجُرْدَ ألا ترى لها مجالاً ، فتعنُو في المَرابطِ خُشَّعَا

والممدوح عند أمية بن عبدالعزيز يمتطي ظهر جواد أجرد اكتملت صفاته، فهــو قصير الشعر مرتفع العنق مضمر الخصر مفتول : [6] (المتقارب)

على متنِ أجردَ سامِــي التّلــ ــيلِ مضمــرّ الكشــحِ مفتولــه

ويسير به هذا الجواد إلى الحرب القوية التي انتشر غبارها، وهو جواد أجرد

---

[1] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص 137 .

[2] المعتمد بن عباد، الديوان، ص4 .

[3] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص656 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص 194 .

[5] ابن زيدون، الديوان، ص584 .

[6] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص25 .

يمشي على حافر قوي وصلب كالصلدم، يقول ابن الزقاق البلنسي : [1] (الكامل)

والحربُ قد نَشَرَتْ مُلاءَ عجاجةٍ بسنابكِ الجُردِ الصَّـلادمِ تُنْسَجُ

ومن صفات ومناظر الخيل العامة (**الصافن**) [2]، والجواد الصافن كما ورد في لسان العرب هو الذي يقوم على ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر[3]

وهذا الوصف شاع في خيل الأندلسيين وهو دليل على قوتها وسـرعتها ونشـاطها؛ لذلك فإنه يجب ألا تقيد وتحبس لأنها إن كبلتها القيود وأذلتها الأغلال لا ينتفع بهـا، يقول ابن زيدون : [4] (الطويل)

وأنَّ الجوادَ الفائتَ الشَّأوِ صافنٌ تَخَوَّنَهُ شَكَلٌ وأزرى به رَبْطُ ؟

وإذا قيد هذا الجواد وشدت قوائمه بالأغلال، فإنه يشكو من الأذى الذي ألحقته به هذه القيود والأغلال، ولما كان جواداً كريماً فإنه لا ينبغي له ذلـك، يقـول ابـن زيدون: [5] (الطويل)

ثَوَى صافناً في مَرْبَطِ الهُونِ يشتكي ، بتَصْهالِهِ ما نالَهُ من أذى الشَّكْلِ

وإذا ما شارك هذا الصافن في القتال فإنه يرفس الأعداء ويندفع نحوهم انـدفاع السيل القوي الجارف، يقول ابن الحداد : [6] (البسيط)

والآنَ قد آنَ من شُهْبِ الصِّفاحِ لهمْ دَرْءٌ ومن صافناتِ الخيلِ مُندَرَأ

وبعد خوض المعركة ترتاح هذه الصوافن الكريمة وتلجأ إلـى مكـان إسـراجها وإلجامها، يقول أمية بن عبدالعزيز أبو الصلت : [7] (الكامل)

وارتاحتْ الجردُ العتاقُ صوافناً تهفـو إلى الإسـراجِ والإلجامِ

---

[1] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص118 .

[2] الجزائري، نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ص42 .

[3] ابن منظور، لسان العرب، م13، ص248، مادة صفن .

[4] ابن زيدون، الديوان، ص 35 .

[5] ابن زيدون، الديوان، ص350 .

[6] ابن الحداد، الديوان، ص 125 .

[7] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص145 .

ويصف الشعراء هذه الخيل بأنها **مطهمة**، والخيل المطهمة هي الخيل البارعة الجمال التامة الحسن والخلق [1]، والقوية، إنها تعشق الحروب ولا تهتم لخوضها بل تفرح إذا اشتدت وحمي وطيسها، فها هو جواد ابن خفاجة المطهم يألف لون الدم ويصير له زينة وخضاباً : [2] (الكامل)

وَمُطَهَّمٍ شَرِقَ الأَدِيمِ كَأَنَّمَا ... أَلِفَتْ مَعَاطِفُهُ النَّجِيعَ خِضَابَا

وهذه الخيل المطهمة الجميلة القوية يجب أن تصل بصاحبها إلى العلا فإن لم تفعل ذلك فلا فائدة تُرجى منها، لذلك فإن ابن الزقاق البلنسي يدعو عليها بأن لا يحفظها الله إذا لم تحقق المجد لصاحبها : [3] (الطويل)

إذا لم تبلِّغْكَ الجيادُ إلى العُلا ... فلا حفظَ اللهُ المطَهَّمَةَ الجُرْدا

ومن علامات الجمال في الخيل أن يخصّها الله بعلامات تميزها عن غيرها وهذه تسمى **المسومة**، وتزيدها هذه الميزات والعلامات جمالاً وقوة ونشاطاً؛ لذلك فإن صاحبها يتخيرها من بين الخيل لأنها خيل أصيلة نجيبة : [4](الوافر)

تخيرَها مسوَّمةً عِرابا ... تضمُّ بها الجوادَ إلى أخيه

وهي تصلح للصيد والقنص كما تصلح للحرب ومطاردة الفرسان؛ لأنها من خيار الخيل وأفضلها، يقول ابن شهيد : [5] (الطويل)

مُسَوَّمَةً نعتدُّها من خيارِها ... لطردِ قنيصٍ أو لطردِ رَعيلِ

وإذا ما حاربت فإنها تفوز وتحقق النصر، فها هو "الحصري" [6] يرى أن مرام

---

[1] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص138 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص211 .

[3] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص134 .

[4] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص71 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص251 .

[6] هو أبو الحسن علي بن عبدالغني الكفيف المعروف بالحصري، أديب رخيم الشعر، حديد الهجو، دخل الأندلس وانتجع ملوكها وشعره كثير، ودخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائة . "ابن بسام الذخيرة، ق4، م1، ص53 . الضبي، أحمد بن يحيى (ت599هـ/ 1202م)، بغية الملتمس في تاريخ الأندلس والمغرب، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص372 " .

دانية كان عزيزاً على القوم، لكنه هان أمام هذه الجياد المسومة فاستطاعت فتحها والسيطرة عليها : [1] (الوافر)

وكانَ مــرامُ دانيــةٍ عزيــزاً فهــانَ على المُسَوَّمَةِ الجيــادِ [2]

إننا نلاحظ أن شعراء الأندلس لم يتركوا صفة في الخيل إلا وصــفوها، وكــانوا يمزجون بذلك بين الصفات الحسية والمعنوية، فهي خيل سريعة وقوية بالإضــافة إلى اختلاف أشكالها ومناظرها.

2.3 صفــات الخيــل المعنويــة :

لاحظنا من خلال عرضنا لوصف الشعراء أعضاء الخيل ومناظرها العامة، أنهم كانوا يمزجون بين الصفات المعنوية والصفات الجسمية لتلك الخيل، بحيث لا يمكن الفصل بينها .

وسنفصل هنا الحديث في الصفات المعنوية التي تمثلت في قوة الخيل ومروءتهــا ونجدتها وكرمها وغير ذلك .

لقد كان من أبرز هذه الصفات النجدة والمروءة، فالحصان بالإضافة إلــى حملــه للفارس ومشاركته في القتال، هو الذخر والملاذ الذي يستند إليه الفارس المحــارب، وهو عنصر مهــم في المعركة يحمي صاحبه من الأعداء وإذا مــا داهمه خطب فإنه يستنجد به لذلك فإنه يصبح فراشاً له لا يفارقه، وفي ذلك يقول ابن خفاجة : [3] (الطويل)

عَشِيَّةَ لا مِثْلَ الجَــوَادِ ذَخِيــرَةٌ وَلا مِثْــلَ رَقْرَاقِ الحَدِيــدِ عَتَــادُ

إِذَا رَابَ خَطْــبٌ حَفَّزَتني ثَلاثَــةٌ سِنَانٌ وَعضْبٌ صَــارِمٌ وَجَــوَادُ

فَبِتُّ وَلا غَيْرَ الحُسَــامِ مُضَاجِــعٌ وَلا غَيْرَ ظَهْرِ الأَعْوَجِــيِّ مِهَــادُ

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص264 .

[2] مرام : رام الشيء يرومه روماً ومَراماً : أي طلبه، قال ابن سيدة: والمرام المطلــب . " اللســان م12، ص258، مادة روم " .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص 132 .

ويصف ابن خفاجة مرة أخرى جواده المقدام الذي يتصف بالقوة والسرعة والنجدة، فهو يمكّن فارسه من الكرّ ولا يرتدّ إلا كليماً مضرجاً : [1] (الوافر)

وَمَطْرُوراً أُجَرِّدُهُ صَقِيلا ... وَيَعْبُوباً أَكُرُّ بِهِ كَرِيما
إِذَا أَقْبَلْتُهُ سُمْرَ العَوَالِي ... فَلَسْتُ أُرِدُّهُ إلا كَلِيما

فهذا الجواد يتخذ دور الحامي والمنجد وما كان أحوج فارسه إلى هذه النجدة المثيرة للإعجاب، فهو ملاذه ونصرته في حالة وهنه وضعفه وحارسه ومنقذه، يقول ابن حمديس : [2] (الخفيف)

وَمديدِ الخُطَى كأنّكَ منه ... تضعُ اللّبْدَ فوقَ تيّارِ سَيْلِ
قيدُ وحشيٍ ، ملاذ خائرٍ وهنٍ ... وقرى معقلٍ ، وحارس ليل

وتفزغ الخيل لصاحبها وتخترق الغبار، وتسير مسرعة وتشنّ الغارات على الأعداء مواصلة السير ليلاً نهاراً دون كلل أو ملل : [3] (الكامل)

والخيلُ لا تنفكُ تعتسفُ الدُجى ... خبباً إلى الغاراتِ أو تقريبا
تصبو إلى ما عُوِّدَتْ من شنِّها ... فتواصل الإسئاد والتأويبا

وتسهم هذه الخيل المتصفة بالمروءة والنجدة في حماية الملك، فهي حامية للذمار، تخوض المعارك الشديدة التي تصبح الدماء فيها حلل لإعطاف الجياد، يقول ابن الزقاق البلنسي : [4] (الكامل)

أَلْبَسْتَ أعطافَ الجيادِ لدى الوغى ... حُلَلَ الدماءِ بمرهفٍ عريان
والمُلكُ محميُّ الذمارِ محجَّبٌ ... فالمُنتَضىَ ومن انتضى سيفان

ويدخرها الأمراء والملوك لتكون عوناً ونجدة لهم في غاراتهم ضد الأعداء، فهي تكرّ على الأعداء لأنها تطيع صاحبها وتنجده في وقت الشدة، يقول محمد التطيلي الهذلي : [5] (الكامل)

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص115 .
[2] ابن حمديس، الديوان، ص401 .
[3] أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص55 .
[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص267 .
[5] المقري، نفح الطيب، م4، ص151 .

المقتني الجُـرْدِ المَذَاكي عُـدَّةٌ للكـرِّ فـي الأعداءِ والإقـدامِ

ومن الصفات المعنوية الأخرى للخيل التي تفاخر بها الشـعراء كـرم الأصـل وعراقة النسب، فهم يتخيرون الخيل النجيبة الكريمة ، فابن خفاجة يصـف جـواده مشيراً إلى حسن اختياره أصيلاً كريماً من نسل أعوج، أي من سلالة فـرس لبنـي هلال ليس في العرب أشهر وأكثر نسلاً منه، يقول :[1] (الطويل)

تَخَيَّرْتُهُ مِنْ رَهْطِ أَعْوَجَ سَابحاً أَغَـرَّ كَرِيمَ الوَالِدينِ نجيبـاً

وهو يفتخر بركوبه عليه ويعده فراشاً له، يمتطيه في الحروب لأنه حصان أصيل وقوي :[2] (الطويل)

فبتُّ ولا غَيْرَ الحُسَامِ مُضاجِعٌ وَلا غَيْـرَ ظَهْرِ الأَعْوَجِـيِّ مِهَادُ

وتحيط هذه الجياد الأعوجيات بالقباب، فتحمي من فيها لذلك يصـعب علـى أي شخص أن يصل إليها، يقول ابن الحداد :[3] (الكامل)

حيثُ القِبابُ الحُمْرُ سَامِيَةُ الذُّرَى والأعْوَجِيـَّاتُ الجِيـَادُ صُفُـوْنُ

ويفتخر ابن الزقاق البلنسي بجواده ذي الأصل الكريم، فهو من آل أعوج لم تـرَ العرب مثله قبل ذلك؛ لأنه ولد من فرس كريم لذلك فإنه سريع كـالبرق ورث ذلـك عن أبيه :[4] (الكامل)

وإذا ما اشترك هذا الأعوج في القتال فإنه يطاعن الخيل والأعداء، ويرهب الخيـل ممّا يؤدي إلى جعل هذه الخيل تتمنى لو أن هذا الجواد لم يُخلق لـه عقب، يقـول ابن الحداد :[5] (البسيط)

مِنْ آلِ أعـوجَ ما عَهدْنا قَبْلَـهُ وقـد انتمى ، بَرْقاً نماهُ أعوج

والطاعنُ الخيلَ حتى الخيلُ قائلةٌ يا ليتَ أعوجَ لم يُخْلقَ له عِقب

ومن الأنساب الأخرى للخيل التي تفاخر بها الشعراء نسب لاحق والوجيه، وهما من خيل العرب المشهورة؛ لذلك فإن من يقتنيهما يفتتن بهمـا، فهـا هـو ابـن السـيد

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص112 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص133 .

[3] ابن الحداد، الديوان، ص266 .

[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص117 .

[5] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص92 .

البطليوسي يرسم صورة لفرس يتمتع بعراقة النسب، فهو من آل الوجيه ولاحــق، وشكله الخارجي جميل يجمع بين السواد الكالح المظلم كالليل إلى قليل من البيــاض، فهو فرس أدهم من نسل كريم أصيل : [1] (الطويل)

وأدْهَمَ مِنْ آلِ الوجيهِ ولاحــقٍ لهُ الليلُ لونٌ والصباحُ حُجُولُ

ويعاود الشاعر مرة أخرى الافتخار بفرسه فيجعله أقب أخذ مــن شــيات لاحــق والوجيه، لذلك فإن صورته غاية في الجمال، لذا فإنه يأسر العيون : [2] (الكامل)

وأقبَّ من آلِ الوجيهِ ولاحــقٍ قيدُ العيــونِ وغايةُ التمثيــلِ

ويتفاخر الشعراء بخيلهم بأنها **عراب**، أي أنها سالمة من الهجنة ومــن العيــوب الأخرى، لذلك فإن هذه الخيل العراب سريعة في الجري فإذا اشتركت فــي الســباق فإنها تسبق وتبتعد عن بقية الخيل، يقول ابن حزم : [3] (المتقارب)

وأجْرِيــتَ وَحْــدَكَ فــي حَلْبــةٍ نأَتْ عنكَ فيها الجِيادُ العِراب

ولا يقتصر دورها على السباق فقط بل إنها تتبارى في خوض المعارك، فإذا مــا دعى داعي الحرب فإنها تتسابق من أجل المشاركة فيها، يقول ابن خفاجة : [4] (الطويل)

دَعَا لهمُ داعِــي الرَّدى فكأنمــا تبارَتْ بهم خيلٌ هناك عِرابُ

وخيلهم أيضاً عتاق كريمة ترفض الذل، فإنهم يدربونها علــى القتــال والجــري بمجرد بلوغها التسع سنين، وبعد ذلك يفخرون في الركوب على ظهورهــا؛ لأنهــا تحوز لهم الفضل والعزّ وتجلب لهم الفخر، يقول أمية بن عبدالعزيز أبو الصــلت: [5] (الطويل)

تَمرَّسْتَ بالجُرْدِ العِتاقِ تَرُوضُها فلا قارِحٌ يِعْيِيــكَ منهــا ولا مُهْــرُ

فأقسمُ لو فاخرتَ من فوق ظهرِها بما حزْتَ من فَضْلٍ لكانَ لك الفخرُ

---

[1] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص729 .

[2] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص711 .

[3] المقري، نفح الطيب، م2، ص80 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص218 .

[5] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص70 .

ويفخر ابن شرف بجواده حتى يجعله كداحس والغبراء؛ لأنه خاض بهـا غمـار الحرب دون تردد : [1] (السريع)

أصهـوةَ الغبـراء أم داحسـاً ركبتَ حتى خُضْتَ ذاكَ الغمار

ومهما يكن من أمر فقد اهتمّ الشعراء بالصفات الجسدية الظاهرة للعيان وأسبغوها على خيلهم، فهي ضخمة قوية، وكذلك ضامرة البطون طويلة القوائم، سريعة العدو، تقطع الفيافي والجبال دون أن تتعب أو تتردد .

وكذلك اهتموا بأصولها وعراقتها لذلك فإنهم جعلوها من سلالات خيـل العـرب الأوائل، وتفاخروا بذلك، والذي دفعهم إلى هذا الاهتمام وهذا الوصف والتفصيل هو عنايتهم ورعايتهم الكبيرة لهذه الخيل التي استحوذت على قلوبهم وفتنت أنظارهم .

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص642 .

الفصل الرابع

الصـــورة الفنيـــة للخيـــل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

الصورة بنت الخيال وعصارة التأمل والرؤية الخاصة، وبتلك الميزة يتفرد الشعر بخصوصية العاطفة عن الـــفنون الأخرى، بل إن بعض النقاد يعدون الشـــعر فـــي جوهره تعبيراً بالصور فهذا الجاحظ يقول :" فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " [1] .

والـــصورة وسيلة من وسائل التعبير عن التجربة الشعرية ووجـــه مـــن أوجـــه الدلالة، " ويرى الأستاذ أحمد الشايب أن مقياس الصورة هو قدرتها على نقل الفكرة " [2] . وتنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، لكن أياً كانت هذه الخصوصية، أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنـــى في ذاته، إنها لا تغير من طريقة عرضه وكيفية تقديمه، ولكنها _ بذاتها _ لا يمكـــن أن تخلق معنى، بل إنها يمكن أن تحذف دون أن يتـــأثر الهيكـــل الـــذهني المجـــرد للمعنى، الذي تحسنه أو تزينه [3] .

وينبغي لهذه الصورة أن تكون " لحم ودم الفكرة لا مجرد ملابس خارجيـــة لهـــا وندرك أنه يمكن من خلالها أن يظهر تصورنا للعالم وهذه الصورة تؤدي إلى إثارة الانفعال وتحرك الفكر " [4] .

فالصورة الشعرية قيمة فنية بكل معانيها وعنصر حيوي في التنـــاول الشـــعري، وهي تقوم بالأساس على الخيال، فهو المؤثر الرئيس فيها ولولاه لما تشكلت الصور عند الشعراء، فعليه تتكئ الصور وبه تتم وتتولد فيعدّ " قدرة على بعـــث الصـــورة

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص132 .

[2] الشايب، أحمد، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط5، القاهرة، ص52 .

[3] عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربـــي، بيروت، الدار البيضاء، 1992م، ص323 .

[4] ملتون، روستريفور، الشعر والتأمل، ترجمة محمد مصطفى بدوي، الدار القوميـــة العربيـــة، القـــاهرة، 1963م، ص75 .

بالكلمات والجمل وهو القدرة على خلق هذه الصورة"[1]، فهو إذن عنصر ذهني خلاق يتخطى حاجز المدركات الحرفيه ويجعلنا نجفل لائذين بحالة جديدة من الوعي بالواقع، وهو لا يستهدف أن يكون ما يشكله من صور نسخاً أو نقلاً لعالم الواقع ومعطياته وانعكاساته حرفياً كما هو متعارف عليه [2].

ومعنى هذا أن الصورة الشعرية هي نتاج فاعلية الخيال وتأثيراته الشعرية. ويجد الدارس لشعر الأندلسيين في عصري الطوائف والمرابطين أن الصور تزدحم وتكتظّ فيه، فقد شغف شعراء هذا العصر بالصورة وأكثروا منها "وغلب على شعرهم شدة العناية بالشكل والصور أكثر من المضمون وتعمدوا إلى الزخرفة والتزويق الكلامي وتقصي الصور المتلاحقة " [3].

وقد أكثر الشعراء في هذين العصرين ــ كما أسلف ــ من وصف الخيل وجعلوا له صوراً شعرية غاية في الجمال والدقة، ونحن إذا ما نظرنا إلى هذه الصور وجوانبها الفنية فإننا نلحظ إنها تقوم على عدة أركان وعناصر بارزة، كان من أهمها الجري وراء الصور الطريفة المتقنة والدقيقة والإكثار من التشبيهات والسعي إلى رسم صورة متميزة للجواد أو الفرس، وربما كان الشاعر يهدف من ذلك إلى إظهار مهارته وبراعته في رسم مناظر الخيل وصورها .

وسعى الشعراء في صياغة صورهم للخيل إلى إبراز ألوانها وجمال تلك الألوان وبيان حركتها وسرعتها وجمال صهيلها، وكانوا يستمدون صورهم من البيئة والواقع المحيط بهم ومن طبيعة الأندلس الفاتنة، بالإضافة إلى ابتكارهم العديد من الصور الرائعة فقد تفننوا في إبراز صورة غاية في الجمال لخيلهم، وهذا ينمّ عن براعة هؤلاء الشعراء وقدرتهم الفائقة على رسم الصور والتفنن في إتقانها .

وسندرس في الصفحات القادمة أبرز ما يخصّ هذه الصور الفنية، كعناصرها القائمة على الصوت واللون والحركة ومصادرها كالبيئة والموروث، كما وسنتطرق

---

[1] هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، 1982م، ص441 .

[2] عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي، ص14 .

[3] طويل، مدخل إلى الأدب الأندلسي، ص 94 _ 95 .

إلى خصائص هذه الصورة ومن أبرزها التجديد واللغة وجمال التعبير ودقة التصوير.

1.4 عناصر الصورة :

تعدّ الصورة الشعرية إبداعاً خاصاً لكل شاعر لأن كل شاعر يختلف عن غيره في عرض معانيه وإيحاءاته، وبذلك فإن التشكيل الفني للصورة يتباين من شاعر لآخر، وربما يلتقي الشعراء في تشكيلهم مع بعض الاختلاف، وعلى أية حال فهم يسعون إلى التعبير عن أفكارهم بالصورة التي هي تعبير عن المعاني والأفكار أو الواقع الخارجي، حيث يتحول هذا الواقع إلى شكل جديد أو واقع جديد تجري فيه الروح والقوة والحركة والضوء والصوت .

وعلى اختلاف الشعراء في عرض صورهم فإن هذه الصور لها عناصر قد لا تتعداها فكل شاعر يلتزم بإشاعة الحركة والصوت واللون في صوره، فإذا كانت الألوان وسيلة الرسام في إبداع لوحته، فإن الكلمات وسيلة الشاعر في إبداع قصيدته، تتآلف إلى جوار بعضها بعضاً بألوانها وأصواتها وحركاتها في تناغم أنيق لترنيم أجمل الصور . وشعراء الأندلس الذين وصفوا خيلهم من خلال صياغتهم هذا الوصف بصور فائقة في الجمال ودالة على براعتهم الفنية كانوا قد ركزوا على عناصر : اللون والصوت والحركة التي تعدّ عناصر أساسية في تصوير الخيل؛ لأن الجواد الأصيل المحبوب لدى الفرسان والشعراء هو الذي يتسم بالحركة والسرعة ويكون لونه جميلاً ومتناسقاً وصوته يتسم بالرقة تارة والخشونة تارة أخرى .

1.1.4 اللـــون :

اللون عنصر مهم من عناصر بناء صورة الخيل ويقوم بدور كبير في تشكيلها؛ لذلك فقد مزج الشعراء ألوان خيلهم بألوان مستمدة من ألوان الطبيعة الجميلة، وسعوا إلى استعارة ألوان رائعة لخيلهم وشبهوا هذه الألوان بألوان تدلّ على الجمال تارة، وعلى الرهبة تارة أخرى فالحصان الأدهم الذي يستمدّ لونه من لون الليل الشديد الظلام يثير الرعب في نفوس الأعداء .

ويلحّ الشعراء على ذكر لون الفرس التي يصفونها ويتحدثون عن لمعان جلدها وبريقه ونصاعته، وهو يشرق بالعرق المتصبب من جوانبه ويتلون بألوان الدماء القانئة، يقول ابن خفاجة في وصفه لحصان وقد خاض معركة وتسربل بالدماء : [1]

(الكامل)

وَلَرُبَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ قَدْ خَاضَهُ سَبْحاً وَبيضُ سُيُوفِهِ غُدْرَانُ

وَمِنَ الحَمِيمِ بِذَفْرَتَيْهِ فِضَّةٌ وَمِنَ النَّجِيعِ بِصَدْرِهِ عِقْيَانُ

وترتدي هذه الخيل إذا ما خاضت المعارك ثوباً من دماء الأبطال : [2]

(البسيط)

شابتْ من النّقعِ فارتابَ الشبابُ بها فَغُيِّرَتْ من دمِ الابطالِ بالشَّقَر

ويركز الشعراء في صورهم على اللون، فها هو ابن حمديس يستعير صورة الشيب الذي يبدو من خلال السواد على الرغم من التخضيب ليضفيها على صورة جواده الأدهم : [3] (الخفيف)

أدهمٌ كالظّلامِ تشرقُ فيه شَعَرَاتٌ مُنيرةٌ للعيونِ

كالّذي يخضبُ المشِيبَ ويبغي شاهدات بهنّ نفي الظنونِ

لقد استعار الشاعر لجواده لوناً مستمداً من واقع الناس وعادتهم، فهو كالشيب الذي يبدو في ثنايا الشعر الأسود فيخضبه صاحبه محاولاً إخفاءه، لكنه لا ينجح في ذلك .

ويستأثر الجواد الأدهم بحب شعراء الأندلس، فها هو المعتمد يرسم صورة شعرية يصف فيها فرساً أدهم مؤكداً على لونه الأسود القاتم وبياض قوائمه :[4] (الوافر)

كأنّ أديمهُ ليلٌ بهيمٌ تحجّلَ باليسيرِ من الصباحِ

إنه جواد فائق في الجمال، فهو يجمع السواد الكالح المظلم إلى جانب قليل من

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص344 .

[2] الأعمى التطيلي، الديوان، ص50 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص497 .

[4] المقري، نفح الطيب، م4، ص112 .

البياض، ويشبهه بالصباح ليدل على شدة بياضه ونصاعته وبخاصة وهو يتألق في السواد الشديد [1] .

ويتخذ هذا الجواد الأدهم صبغته من الليل، يقول ابن حمديس : [2]

(الطويل)

ومنغمسٍ في صبغةِ الليلِ يَمْتَطي إلى أجلِ الآسادِ قيْدَ الأوابدِ

بل إن الليل نفسه يصبح فرساً أدهم يتخذه ابن خفاجة مركباً له : [3]

(الطويل)

وَأَسْرِي فَأَسْتَصْفِي مِنَ السَّيْفِ صَاحِباً وَأَرْكَبُ مِنْ ظَهْرِ الدُّجُنَّةِ أَدْهَمَا

وغبار المعركة فرس أدهم، تلوح في جبينه غرر بيض من السيوف وأسنة الرماح، يقول ابن خفاجة : [4] (الكامل)

وَالنَّقْعُ أَدْهَمُ لِلرِّمَاحِ بِوَجْهِهِ غُرَرٌ تَلُوحُ وَلِلسُّيُوفِ حُجُولُ

وجواد ابن السيد البطليوسي بالإضافة إلى عراقة نسبه أدهم يستمد لونه من الليل والصباح : [5] (الطويل)

وأدهمَ من آلِ الوجيهِ ولاحقٍ له الليلُ لونٌ والصباحُ حُجُولُ

كأنّ هلالَ الأُفقِ لاحَ بوجهِهِ فأعيننُا شوقاً إليه تميلُ

إن اللون يقوم بدور مهم في تشكيل هذه الصورة، فقد استمدّ الشاعر صورته من صور الطبيعة الفاتنة، فالجواد اتخذ لونه من الليل وتحجيله من الصباح المنير وغرته كأنها في بياضها هلال يلوح في وجهه، مما يؤدي إلى جذب العيون لتنظر إليه بشوق .

وغالباً ما يجعل الشعراء حصانهم الأدهم يستمدّ لونه من لون الليل، فقد ركزوا في تصويرهم له على جعله كالليل المظلم في سواده ولكن صورته جميلة رائعة

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص35 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص137 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص172 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص255 .

[5] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص109 .

ولولاها لما عرفته العين، يقول ابن خفاجة : [1] (الطويل)

وَأَدْهَمَ لَوْلا أَنَّهُ رَاقَ صُـورَةً لما عَرَفَتْهُ العَيْنُ مِنْ لَيْلَةِ الهَجْرِ

وإذا ما كان حصانهم أشهب فإنه يستمدّ لونه من الصباح المشرق، فحصان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت أشهب اللون كالصباح ، يقول الشاعر: [2]

(مخلع البسيط)

وأشهبَ كالشهابِ أضحى يجولُ في مذهبِ الجلالِ

وهذا الجواد الأشهب وضّاح اللون كأنه رقعة من الحسن لم ترَ العين مثلها بين البشر، يقول ابن خفاجة : [3] (الطويل)

وَأَشْهَبَ وَضَّاحٍ تَحَمَّلَ رُقْعَةً مِنَ الحُسْنِ لمْ تَعْثُرْ بِها العَيْنُ في بَشْرِ

وهو حصان أشهب ذو لون أبيض صاف فيه علامات وشيات تزينه، ومما زاده جمالاً ذلك العرف الجميل الأحمر، فبدا هذا الجواد كأنه بدر منير زاهر مسّ طرفه شفق أحمرُ اللون فائق الجمال، يقول أبو بكر بن حجاج : [4]

(المتقارب)

وأشهبَ صافِي بياضِ الأديمِ لـه شيَـةٌ زانهـا عُرْفُـهُ

كبدرِ سمـاءٍ بـدا زاهـراً وقـد مُـسَّ فـي شفـقٍ طرفـه

ويبدو أيضاً هذا الأشهب كأنه شيب لاح في مفارق الشعر، يقول أبو محمد ابن عبد الغفور : [5] (مخلع البسيط)

أشهبُ كالرَّجْـعِ مُستطيـرٌ كأنـهُ الشيـبُ فـي المفـارق

وكثيراً ما يرسم الشعراء صوراً رائعة لخيلهم الشقر ويحشدون لوصف ألوانها أجمل الأوصاف والتشبيهات، " فجواد ابن خفاجة الأشقر كأنه شعلة ملتهبة منيرة،

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص26 .

[2] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص133 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص26 .

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص468 .

[5] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص468 .

فحمرة لونه من الجلنار والأذن من ورق الآس، ويجعل هذا التصوير اللطيف محاطاً بمعنى من الطرب والنشوة، حيث جعل من الغرة البيضاء في الوجه الأحمر حبابة تضحك في كاس الخمرة " [1] ، يقول : [2]

(السريع)

وَأَشْقَرٍ تُضْرَمُ منْهُ الوغَى بِشُعْلَةٍ مِنْ شُعَلِ البَاسِ
مِنْ جُلَّنارٍ نَاضِرٍ لَوْنُهُ وَأُذْنُهُ مِنْ وَرَقِ الآسِ
يُطْلِعُ لِلغُرَّةِ في شُقْرَةٍ حَبَابَةً تَضْحَكُ في كاسِ

ويبدو هذا الجواد الأشقر كأنه كوكب، فهو إذا ما سار براكبه في الليل المظلم فإنه يبدو تحت هذا الظلام كأنه كوكب منير : [3] (المتقارب)

ألا زاحَمَ الليْلَ بِي أشْقَرٌ تَصَوَّبَ تَحْتَ الدُّجى كَوْكَبا

وجلده يلمع كأنه يتقدّ ملتهباً كالجمر أو كلون الخمر الصافي اللامع : [4]

(الطويل)

بأشقرَ وَقّادِ الإهابِ كأنما تجسَّمَ من جَمْرٍ صَريحٍ ومِنْ خَمْرِ

أما الجواد الكميت فلونه أحمر يميل إلى السواد، وهو رائع في الجمال حتى أنه يروق لناظره كالخمر الذي يسوغ لذائقه، فلونه لون الخمر اللذيذ كما يقول ابن حمديس : [5] (الكامل)

كادَ الكميتُ ينوبُ عن لعسِ اللحى ويسوغُ كالخمرِ الكُمَيْتِ لذائق

وكثيراً ما كان الشعراء يقدمون لوحات فنية للخيل يمزجون فيها بين أصباغها المتعددة، ويفصّلون في ذكر ألوانها، يقول ابن خفاجة : [6]

(البسيط)

والخَيْلُ تَفْرِي جُيُوبَ النَّقعِ مِنْ حَرَبٍ تَحْتَ الكُمَاةِ وَتُذْرِي أَدْمُعَ العَرَقِ

---

[1] منصور، الطبيعة في الشعر الاندلسي في عصر المرابطين، ص160 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص123 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص299 .

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص471، انظر : الأصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص427 .

[5] ابن حمديس، الديوان، ص331 .

[6] ابن خفاجة، الديوان، ص253 .

مِنْ أَشْهَبٍ شَقَّ عَنْهُ الرَّكْضُ هَبْوَتَــهُ كَما تَفَرَّي أَدِيمُ اللَّيْــلِ عَــنْ فَلَــقِ
وَأَدْهَــمٍ فَضَّضَ التَّحْجِيــلُ أَكْرُعَــهُ كَما تَعَلَّقَ بَــدْءُ الصُّبْــحِ بالغَسَــقِ
وَأَشْقَــرٍ سَائِــلٍ فــي وَجْهِهِ وَضَحٌ كَما تَصَوَّبَ نَجْمُ الرَّجْمِ في شَفَــقِ

لقد حرص الشاعر على إبراز ألوان الخيل والإشارة إلى صلتها بتحقيق النصــر على الأعداء، حتى أنه جعل كل بيت من أبياته الثلاثة الأخيرة خاصاً بلون معين من ألوان الجياد، واختار الألوان المشهورة المعروفة ذات الدلالة الواضحة علــى كــرم الأصل وجمال المظهر وحسن المخبر، وجعل لكل لــون مقابلاً له مــن الطبيعــة، فالأشهب كأنه صباح شقّ ظلام الليل، والأدهم خالص السواد فيه حمرة كأنه غســق في بدء الصباح، والأشقر يبدو في وجهه وضح وبياض ولمعان كأنه نجم في شفق .

ونجد الشاعر ابن حمديس يركز على أصباغ الخيل وألوانها، فيرسم لوحة رائعــة يقول فيها : [1] (الكامل)

وصواهِلٍ مثل العواسل عَدْوُهــا أبداً لحرب عدُوِّكَ المحروبِ
من كل وَرْدٍ مــا يشابــه لونــه إلا تــورّدَ وَجْنَــةَ المحبــوبِ
وكأنما كبــرت ذخيــرة عتقِــه منــه عباب البحر فــي يعبوبِ
أو أدهمٍ أحوَى الإهــاب كأنما صبــغَ الغــرابَ بلونه الغربيبِ
أرساغُه دَرْدٌ علــى فيــروزج لانَ الصَّفــا مــن وَقعْها لصليبِ
أو أشهب مثل الشهاب وَرَجمِهِ صافــي الضلوع أقبَّ كاليعسوبِ
لا فرقَ ما بين الصباحِ وبينــه إلا بعــدْوٍ منــه أو تقريــــبِ
أو أصفــر مثــل البهــارِ مُفَرّ بسوادِ عُرْفٍ عن سَــواد عسيبِ
وكأنمــا سكــرَ الكميــتُ بلونهِ فلــه بمشيته اختيــالُ طــروب

إننا هنا أمام سلسلة متتابعة من الصور التي يمكن لمعظمها أن يستقل عن غيــره (الورد ، الأدهم ، الأشهب ، الأصفر ، الكميت)، ولكن هناك وحدة ما تجمعها هي أنها خيل تصهل وتشبه الرماح وتعدو مسرعة نحو الحرب، ثم يتتبع الشاعر ألوانهــا كل لون على حده، فالجواد الورد يجمع لونه بين الشقرة والكمته كأنه من شدة جماله

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص65.

خال في وجنة المحبوب، والأدهم كأنه أخذ صبغته من صبغة الغراب فأصبح لونه غربيباً أي شديد السواد، والأشهب كالشهاب اللامع فهو صافي اللون كالصباح المنير حتى أنه لا فرق بينه وبين الصباح سوى أن هذا الجواد يعدو والصباح لا يفعل ذلك، أما الأصفر فهو كالبهار الطيب الرائحة والكميت يسكر بلون هذا الأصفر فيختال في مشيته .

وتتكرر الصورة عند أبي بكر بن الملح فيفرد لكل لون من ألوان الخيل صورة خاصة به، يقول : [1] (الطويل)

فمن سابحٍ وَرْدٍ تجلْبَبَ خِلقةً ... بنسجِ دمٍ قبل النتاجِ مُمار

وأبلقَ كالريمِ المدمّى مُفَضّضٌ ... تخالُ بشقيه مَسَالَ نُضَار

وأشهبَ تجلوهُ المعاني كأنّما ... تزيّنَ منه زَنْدَها بسوار

وأشقرَ نوريّ يهبُّ كأنهُ ... وقد قَدَحَتْهُ الحربُ مِقبَسُ نار

إذا ما علاه راكبٌ فكأنّهُ ... بغرَّتِه تحت المطالبِ سار

لقد قدَّم الشاعر لوحة كلاسيكية جمعت كل أشكال الخيل وألوانها فتتبع الألوان، واستعار لها تشبيهات تناسبها فهذا السابح الورد اتخذ جلباباً منسوجاً من الدم، وهذا الأبلق السريع الذي يشبه الريح كأنه مسال نضار يعجب الناظرين وهذا الأشهب المزين وهذا الأشقر الملتهب كالنار .

ويفصّل يوسف بن هارون الرمادي في رسم ألوان جواد واحد، فيخلط الألوان بعضها ببعض ويجعلها في جواده ، يقول : [2] (الطويل)

وأبلَقَ مِنْ شَرْطِ الطّرادِ لزينةٍ ... وإخوانِ ميدانٍ ويومِ قتالِ

فَخُضْرَتُهُ ثلثٌ وثلثاه شُهْبَةٌ ... فأخضرُ قُدّامٍ وأشهبُ تالِ

لهُ لَهَبٌ من دُهْمَةٍ فيه شُهْبَةٌ ... كعامِ صدودٍ فيه يومُ وصالِ

لقد مزج الشاعر الألوان وأضفاها على جواده الأبلق الذي يصلح للطراد والسباق والزينة والقتال، فثلثه أخضر اللون والثلثان الآخران أشهبان، وهو في مقدمته

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص464 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص467 .

أخضر وفي مؤخرته أشهب ويمتزج اللون الأدهم بالأشهب، فيبدو الجواد ملتهباً كالنار ويصوغ الشاعر صورة رائعة فيجعل هذا الجواد كالسنة التي يهجر فيها الأحباء بعضهم البعض ويلتقون في يوم واحد فقط وكذلك لونه فهو أشهب في كاملة إلا القليل منه فيبدو أشهب .

وقبل أن ننهي حديثنا عن ألوان الخيل يحسن بنا أن ننظر في هذه الصورة الرائعة التي يقدمها الشاعر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، فيقول :[1] (الكامل)

من أدهمٍ للحلي فوق لبانه شهبٌ تضيءُ ظلامَه الغربيبا
متألق إفرنده في حلكةٍ فكأنما سبجٌ عليه أُذيبا
أو أشهب صبغ النجيع أديمه لوناً أعادَ لحسنه تذهيبا

إنها صورة فائقة في الإتقان، فصدر هذا الجواد الأدهم محلىً بالبياض فبدا هذا البياض كأنه شهب تضيء الظلام الشديد، وهذا البياض تتخلله نقط سود تبدو كأنها خرز أسود معلق على صدره؛ لذا فإنه يتألق في مشيته، ثم يرسم صورة أخرى لجواد أشهب كأنما صبغ النجيع أديمه فبدا لونه جميلاً فعاد إليه الحسن فأصبح لونه ذهبياً جميلاً .

لقد قام اللون بدور كبير في تشكيل الصورة، حيث كان الشعراء يستعيرون لخيلهم ألواناً مستمدة من ظواهر الكون، ومن البيئة فهي كالليل وكالصباح وكالذهب وكالنار وهذه الألوان تجعل الصورة تتخذ شكلاً أكثر جمالاً .

2.1.4 الحركة :

يسعى الشاعر دائماً إلى رسم صورة كاملة لما يصفه؛ لذلك فإنه يضفي على تلك الصورة كل ما يستطيعه من تجميل وتزويق فيلبس المعاني صوراً حية، ويبثّ فيها روح الحركة والحياة وكذلك بالنسبة لشعراء الأندلس الذين وصفوا الخيل، فإنهم اعتمدوا على عنصر الحركة في تشكيل صورهم فاستعاروا أجمل التشبيهات للدلالة على ذلك، واستخدموا الألفاظ الموحية بالحركة والرشاقة والجمال، فوفروا

---

[1] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص 55 _ 56 .

للوحاتهم التصويرية أبرز عناصر الجمال فجاءت صورهم الشعرية خفيفة الظل ممتعة للمتلقي.

ومن الصور الحركية قول ابن دراج القسطلي في وصفه الخيل :[1]

(الطويل)

وَجرداءَ لم تَبخلْ يَدَاهـا بغايـةٍ ولا كَرُّهـا نحو الطعانِ بخيلُ

لها من خوافي لِقْوَةِ الجَوِّ أَرْبَـعٌ وكشحانِ من ظبي الفَلا وَتَلِيـلُ

فهو يصف قوة الخيل وسرعتها بحيث لا تقصر عن غاية، فهي تمدّ يدها في المعركة، وتكرّ كرّاً سريعاً دون خوف من حرّ الطعن أو تردد، ثم يركز الشاعر على حركتها وسرعتها، فيستعير لها من صفات الحيوانات الأخرى أجمل ما فيها ليعطي صورة تامة أو مثالية لسرعتها، فيستعير لها سرعة العقاب في أرجلها، مما يوحي بالخفة وسرعة الاختطاف [2]، وهي رشيقة ضامرة الخصرين تشبه في ضمورها كشحي الظبي .

ومن شدة سرعة هذه الفرس فإن العين إذا نظرت إليها أشكل الأمر عليها، فلا تعرف إن كانت سارت ثم عادت فوقفت أم أنها لم تتحرك وبقيت واقفة وذلك لفرط سرعتها، يقول ابن دراج القسطلي :[3] (الطويل)

إذا أُرْسِلَتْ فيها العُيُونُ تَشَكَّلَـتْ نواظِرُهـا في سَيْرِها وَوُقُوفِها

ويلجأ الشاعر دائماً إلى إضفاء أجمل الصفات على خيله، من حيث حركتها وجمال تلك الحركة، فهي في تمايل عنقها وحركتها تشبه غصن البان المتمايل وهذا يوحي برشاقتها، يقول ابن دراج القسطلي :[4] (الكامل)

سامِي التَّلِيلِ كـأنَّ عَقْـدَ عِذارِهِ في رَأْسِ غُصْنِ البَانَةِ المَيَّـادِ

تصعد الأباطح وتتسلقها فإنها تشبه حية الوادي، وإذا ما خاضت المعركة فإنها

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص79 .

[2] ذعدور، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، ص454 .

[3] ابن دراج القسطلي، الديوان ، ص312 .

[4] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص716 .

ومن شدة سرعتها فإنها حين يركبها صاحبها وتمشي به بين الروابي والسفوح تسرع في هبوطه وصعوده، ففي الهبوط تشبه العقاب في انقضاضه، وعندما سريعة جداً تبدو كأنها نار ناتجة عن قدح الزناد : [1] (الكامل)

فكَأَنَّما أَطَأُ الأَباطِحَ والرُّبى بعُقَابِ شاهقَةٍ وحَيَّةِ وَادِ

وكأَنَّهُ من تحتِ سَوْطِيَ خارِجاً في الرَّوْعِ شُعْلَةُ قادِحٍ بِزِنَادِ

ويبالغ الشعراء في وصف سرعة جيادهم وحركتها، فهذا ابن حمديس لا يكتفي بأن يجعل جواده يسابق الريح، بل يجعله أسرع من البرق حتى أن الجواد يسبقه ويخلفه وراءه ويجعل هذا البرق يكبو ولا يستطيع اللحاق به، وبالإضافة إلى هذا فإن الجواد لسرعته وشدة انطلاقه يكاد يخرج عن ظله [2] ، يقول الشاعر : [3] (الكامل)

وَمُجَرَّرٍ في الأَرْضِ ذيلَ عسيبِهِ حَمَلَ الزبرجَدَ منه جسمُ عقيقِ

يجري ولمعُ البرقِ في آثاره من كثرةِ الكبواتِ غيرَ مُفيقِ

ويكادُ يخرجُ سرعةً من ظِلِّهِ لو كانَ يرْغبُ في فراقِ رفيقِ

فالشاعر بارع في رسم صورة حركية لجواده حتى إنه جعل " البرق يكبو إذا أراد أن يلحق بالفرس، ويرق خياله جداً حين يذهب إلى أن الفرس يستطيع أن يسبق خياله إذا أحسّ أن له رفيقاً يباريه ..." [4] .

ويتفنن هذا الجواد في الجري، وتنطبق عليه كل صفات السرعة، فيستطيع أن يلحق الطرائد ويصيدها فهو يشبه الطائر المحلق في الجو وهو ثابت تحت راكبه حتى يجعله يصيد ما يشاء، يقول ابن حمديس : [5] (الكامل)

متفنّنٌ في الجري يتبعُ اسمَهُ منه نعوتٌ بعدهنّ نعوتُ

أطلقتُهُ فعقلتُ كلَّ طريدةٍ تبغي للحظِكَ صيدها فتفوتُ

فكأنما جَحَدَ الصُّوارُ لِدَوْمِهِ تحتي فلِي من صيدِها ما شيتُ

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص716 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص267 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص329 .

[4] حميد، قضايا أندلسية، ص195 .

[5] ابن حمديس، الديوان، ص73 .

وهو في جريه وسرعته كوكب ينقض في غبش العجاج الأكدر، يقول ابن خفاجة : [1] (الكامل)

يَجْرِي فَتَحْسَبُهُ انْصِلاتاً كَوْكَباً يَنْقَضُّ في غَبَشِ العَجَاجِ الأكْدَرِ

وهو أسرع من الطرف ومن الخيال والريح، يقول ابن خفاجة : [2] (الخفيف)

رُبَّ طِرْفٍ كَالطَّرْفِ سُرْعَةَ عَدْوٍ ليسَ يَسْرِي سُرَاهُ طَيْفُ الخيالِ

بل إن مَنْ يشاهده يدرك كثرة الركض الذي أحدثه هذا الجواد فملأ الملا، ثم بدا من شدة سرعته كأنه نار مشتعلة أو إعصار قوي سريع شديد، يقول ابن خفاجة : [3] (الكامل)

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُ وَقَدْ مَلأَ المَلا رَكْضاً وَشَد على الكَمِيِّ حِضَارَاً

لَرَأَيْتَ فيما قدْ رَأَيْتَ وَقَدْ بَدَا نَاراً تَكُونُ إذا جَرَى إِعْصَارَاً

ومن يركبه فإنه يحقق أقصى غايته ولو طلب المستحيل، يقول ابن الزقاق البلنسي : [4] (السريع)

لَوْ طلبَ العنقا على متنِهِ راكبُهُ ما فاتَهُ مَطلبُ

الريحُ تكبو خلفَهُ في ونىً والبرقُ من سرعتِهِ يَعجَبُ

فالشاعر يركز على سرعة هذا الجواد فهو أسرع من الريح، لأنها تكبو خلفه أما البرق فإنه يعجب من شدة سرعته .

ويبالغ أبو محمد بن عبد الغفور في وصفه سرعة فرسه، فهو " فرس خفيف سريع في عدوه حتى إنه لا يترك أثراً في التراب ولا يشعر به القطا على رهافة حسه وخفة حركته فهو طائر بلا طيف " [5] ، يقول : [6] (الطويل)

خفِيّ السّرى كالطيفِ لم يَسِمْ الندى بِوَقَع ، ولم يشعرْ به نُوَّمُ الكُدْر

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص50 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص360 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص243 .

[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص84 .

[5] السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص148 .

[6] الاصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص427 .

ودائماً كان الشعراء يستعيرون لسرعة جيادهم وحركتها صفات الريح العاصفة، وذلك للدلالة على قوتها وسرعتها، فابن السيد البطليوسي يستعير صفات الريح العاصفة والفلك الدوار ليمنحها جواده، ويكمل الصورة وعناصرها الرئيسية بصورة البدر الذي يبزغ فينير الدياجي، ويبدد الظلمات .

يقول : [1] (الطويل)

كـأنَّ الرياحَ العاصفاتِ تقلّـهُ إذا نِيـلَ منـهُ مِحزمٌ وتليـلُ

هـو الفلكُ الدوارُ في صهواتِه لبـدرِ الدياجِي مَطلـعٌ وأفولُ

والفرس ريح سريعة مخصصة للطراد عند ابن خفاجة ولكنها سميت فرساً ظلماً وجوراً : [2] (البسيط)

مَا بَيْنَ رِيحِ طِرَادٍ سُمِّيَتْ فَرَساً جَوْراً وَلَيْثِ شَرىً يَدْعُونَهُ بَطَلاَ

ويشبه ابن حمديس أيضاً جواده بالريح فهو يؤكد أن جواده سريع يشبه الطائر السريع تارة والريح التي يكون نقعها سجياً كثيفة ترشح قطراً لا غباراً تارة أخرى، ويؤكد الشاعر أن هذا الجواد الذي يطير مسرعاً ويشبه الريح القوية يساهم في تقريب المسافات ويذلل العقبات، يقول : [3] (الطويل)

وطائـرَةٍ بُـذَّ الخيـولُ بسبقِهـا وقد لبستْ للعينِ مـن فَـرَسٍ خَلْقا

إذا شئتُ ألقتْ بي على الغربِ رجلُها ونالتْ يدٌ منهـا بوثبتِهـا الشرقـا

لحوقٌ كأنّـي جاعـلٌ مـن عدائهـا لرسْغِ الفرا عقلاً وجيد المها رِبْقـا

كريحٍ تَرَى مـن نقعِها سُحُبـاً لهـا ومن رشحها قطراً ومن لحظها برقا

فالشاعر لا يقتصر في وصفه الفرس على تصوير سرعتها وقوتها وشدة انطلاقها على الصفات المعروفه، وإنما يجعلها طائرة في جسم فرس لا تكاد العين تلمح شيئاً منها لحظة انطلاقها، فهي تستجيب لأمر الفارس في سرعة مذهلة وفي " وثبة واحدة لفرسه تنقله من الشرق إلى الغرب ثم في وثبة أخرى تحمله من الغرب إلى الشرق

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 108 _ 109 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص208 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص329 .

وهكذا ..." [1] ، وهذه الخيل تسبح في جريها سبحاً كأنها من شدة سرعتها تطير بفارسها لذا فإنها كالعقاب الخفيفة السريعة الاختطاف، يقول ابن بقي القرطبي : [2]

(البسيط)

من كلِّ سابحةٍ طارتْ بفارسِها كأنهـا لَقْـوَةٌ في عطفِها أسـدُ

أما جواد ابن الزقاق البلنسي فهـو سـريع العـدو يلهـب الأرض، فيتطـاير الحصـى والشرر من وقـع أقدامـه، يفـوق الريـاح الهوجـاء السـريعة سرعة [3] ، يقول: [4] (المتقارب)

وأدهَـمَ لـولا سنـا غُـرَّةٍ لـه لكسـا البـدرَ منـه سـرارا

تلهَّبَتِ الأرضُ مِـنْ عَـدْوِهِ فأروى بزنـد الصّفا الصلدِ نـارا

أقبُّ إذا ما تعاطَـى السبـاقَ مـع الهُـوجِ أو شقهـنَّ أسـارا

وخيل الأعمى التطيلي يخرجن من غبار المعركة كأنهنّ شرر يتطاير من خـلال دخان وهذا دلالة على شدة سرعتها وقوتها : [5] (الكامل)

يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغبارِ كأنهـا شررٌ تطايرَ من خلالِ دُخـانِ

ويستعين الشعراء بصورة السيول والبحار لإضفائها على صورهم لحركية الخيل وسرعتها، فهي في تدفقها وشدة جريها كالسيول الجارفة؛ لذلك فإن مـن يركبهـا كأنما يركب السيول، يقول أبو بكر محمد بن قزمان القرطبي (ت508هـ)، : [6]

(الكامل)

رَكِبُوا السُّيُولَ من الخيولِ وركبُّوا فَوْقَ العَوَالِي السُّمْرِ زُرْقَ نِطَافَ

ويظنّ من يرى هذه الخيل وهي تسير على الأرض يظنها بحراً يمور على البـر وذلك لشدة جريها وتدفقها، يقول ابن دراج القسطلي : [7] (الطويل)

---

[1] شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص150 .

[2] السعيد، شعر ابن بقي القرطبي، ص140 .

[3] منصور، الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، ص172 .

[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص175 .

[5] الأعمى التطيلي، الديوان، ص196 .

[6] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص100 .

[7] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص288 .

كأنَّ دُجى لَيْلٍ يَمُرُّ عَلَى الضُّحـــى إذا سِرْنَ أو بَحْراً يمورُ عَلى البَرِّ

ويستعير الشعراء أيضاً صوراً لبعض الحيوانات السريعة، ويضفونها على خيلهم، فقد استخدم ابن خفاجة صورة الظبي في مجال وصف الجواد، مستفيداً من خاصـــة السرعة التي يتمتع بها، فيقول :[1] (الكامل)

قَدْ بَاتَ يَحْمِلُ لِبْدُهُ ظَبْـــيَ النَّقَـــى رَكْضاً وَيحمِلُ لِبْدُهُ لَيْثَ الشَّرَى

والخيل التي تغير على الأعداء مسرعة جالبة لهم الموت هـــي عقبـــان ســـريعة مفترسة، يقول ابن خفاجة :[2] (الكامل)

فَكَأَنَّهُـــمْ مِنْ فَوْقِها أُسْدُ الشَّـــرَى وَكَأَنَّهَـــا مِـــنْ تَحْتِهِـــمْ عِقْبَـــانُ

وخوافي هذه الخيل كخوافي العقاب؛ لأنها تطير مسرعة في حلبات السباق كأنهـــا لا ترى من شدة السرعة، يقول ابن حمديس :[3] (المتقارب)

وذي أربعٍ كخوافِـــي العُقَـــابِ يطيـــرُ بهـــا السَّبْـــقُ عن حلبتِهْ

والحصان هو أيضاً ثعبان أرقم، فهو في اندفاعه وحركته الطاغية ينســـاب كمـــا ينساب الأرقم، يقول ابن خفاجة :[4] (الكامل)

جَاذَبْتُهُ فَضْلَ العِنَانِ وَقَدْ طَغَىَ فَانْصَـــاعَ يَنْسَابُ انْسِيَابَ الأَرْقَمِ

والخيل تنفر في حركة سريعة تشبه حركة الثعبان إذا ما رأت الحصان الســـريع الذي تحمله أربع قوائم كالرياح، ولولا أنه ملجم لطار في الميدان طيراناً لا يستطيع أحد أن يلحقه؛ لذا فإنه يخيف سائر الخيل مما يؤدي إلى نفورها منه، يقول ابن عبـــد الصمد :[5] (الكامل)

وأقبَّ تحملُـــهُ ريـــاحٌ أربـــعٌ لولا اللجـــامُ لطـــارَ في الميـــدان

رمـــحٌ ولكن هـــزَّ من أعطافِهِ فالخيـــلُ تنفـــرُ منـــه كالثعبـــانِ

وهي أيضاً كالحية عند الأعمى التطيلي، فهي إذا ما تبارت فإنها تســـرع، فهـــي

---

[1] ابن خفاجة، الديوان ، ص257 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص344 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص71 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص244 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 813 _ 814 .

كالطيار السريع الذي يشبه الحية في سرعته وانسيابه، وإذا هاجت فإنها كالرئبال: [1] (الخفيف)

تتبارَى بكلِّ طيّار كالأَيْم وإنْ هجتَهُ فكالرئبالِ

لقد أكثر الشعراء في تصويرهم الخيل من استخدام الألفاظ والتراكيب الدالة على الحركة، فهي تنفر وتتبارى وتجري وتنساب وتطير وتنطلق وغير ذلك، وهي أيضاً تشبه في سرعتها عدداً من الظواهر الطبيعية فهي كالسيل والبحر وكالرياح والأعاصير والأفاعي وغير ذلك من الصور، وبذلك فقد كانت الحركة عنصراً مهماً ساعد بشكل كبير جداً على تشكيل صور بارعة للخيل وإضفاء عناصر الجمال والروعة عليها .

3.1.4 الصـــوت :

لقد سعى الشاعر الأندلسي إلى رسم صور جميلة تعتمد على عدد من الأركان التي تجعلها كذلك، وفي تصويره الخيل فإنه اتخذ من الصوت عماداً للصورة؛ لأن له دوراً وقيمة مهمة في إظهار مفاتن هذا الحيوان البديع، فهو تارة يصهل وتارة يضبح وتارة يحمحم، ويكون صوته في جميع الحالات مثيراً للطرب والعجب ومتجاوباً مع صاحبه، فهو يبكي ويفرح معه ويتغنى كما يتغنى راكبه عندما يتشوق للوصول إلى من يحب، ويصهل فرحاً إذا ما انتصر في حربه ويبكي محمحماً إذا ما فقد راكبه .

ولننظر إلى هذه الصورة الرائعة التي جعل فيها الشاعر الصوت ركناً أساسياً، فهو يتحدث عن صهيل الخيل ويجعله صوتاً يطرب له السامع وترتاح له الأذن، ويتكئ الشاعر على التراث العربي المشرقي في وصف هذا المجال الصوتي، إذ جعله أجمل من صوت المغنين العرب القدماء كمعبد ومخارق، المعروفين بجمال صوتيهما في مجالس الغناء، يقول ابن حمديس : [2] (الكامل)

---

[1] الأعمى التطيلي، الديوان، ص104 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص331 .

وإذا تَغَنّـــى بالصّهيـــلِ مطرِّبـــاً أنســـى أغانـــيَ مَعْبَـــدٍ ومخـــارقِ

وصهيل الجواد عند ابن خفاجة يرنّ رناً، فيجعل الجواد كـــالجرس الـــذي يـــرن صهيلاً فينبه السامعين حيث يقول : [1] (الكامل)

خُذْهَا يُرِنُّ بِها الجَوَادُ صَهيـــلاً وَتَسيلُ مَاءٌ في الحُسَـــامِ صَقِيـــلا

وهو يشعر مع راكبه، فإذا ما قطع هذا الراكب الفيافي والقفـــار وكـــان مهمومـــاً حزيناً مشتاقاً إلى ديار الأحبة فإن جواده يستجيب معه، فيصهل صهيلاً عذباً رقيقـــاً يزيل عنه الهم فقد جعل ابن الزقاق البلنسي صهيل جواده متجاوباً مع هديل الحمام الذي يتغنى متشوقاً متلهفاً إلى من يحب، فالجواد يشتاق للأحبة كما يشـــتاق راكبـــه، لذلك فإنه يصهل صهيلاً يشبه الهديل الرقيق : [2] (الطويل)

تجيبُ صهيلَ الخيلِ فيها حمائمٌ أُطارِحُها الشوقَ المبرِّح والوجدا

وصوت الحصان وصهيله يشكّلان لحناً يطرب السامع، فهذا الصهيل كأنه صوت الموسيقى الذي يتحكم به صانعه فتارة يرتفع اللحن وتارة يـــنخفض، يقـــول ابـــــن خفاجة : [3] (الطويل)

وَلَمّا انْتَحى ذِكرُ الأَميرِ استَخَفَّهُ فَخَفَّضَ مِنْ لَحْنِ الصَّهيلِ وَرَفَّعَا

والجواد عند ابن اللبانة يشدو بصهيله كأنه طائر مغرد ولطيـــف، وهـــذا الشـــدو يطرب السامعين، وهو إذا ما التقى مع صوت تلاطم الأسنة فإنهما يشكلان صـــوتاً مطرباً يطرب له كل من يسمعه، يقول : [4] (الكامل)

وشَدَا صهيل مطـــرب فأجابـــه من نحو ألسنةِ الغمودِ صليـــل

بل إن صهيل هذه الخيل تسمعها الأذن وتطرب لألحانها وتصبح عندها أطيب من بحر الرَّمَلِ، يقول أبو بكر بن بقي : [5] (البسيط)

ونوبةٍ من صهيلِ الخيلِ يسمعُها بالرّمل أطيَبَ ألحاناً من الرَّمَلِ

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص204 .

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص134 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص58 .

[4] ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص84 .

[5] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص927 .

ولكن هذا الصهيل لا يطرب دائماً بل إنه يتحول إلى مثير للخوف والوحشة وخاصة إذا ما اشتد في المعارك وقوي فإنه يصبح ذا وحشة، فإذا ما سمعه الأعداء فإن الرهبة تحلّ في نفوسهم، يقول ابن عبدالغفور :[1] (مخلع البسيط)

ذو وحشةٍ في الصّهيلِ حلتْ منهُ على أكرمِ الخلائقِ

والجواد نفسه يخاف ويشكو وينهد، فهو إذا دخل في واد سحيق ليقطعه وكان هذا الوادي موحشاً فإن صهيل الجواد يتحول فيه إلى تنهد، يقول ابن خفاجة:[2]

(الطويل)

وَخَرْقٍ سَحيقٍ يَمْلأُ الصَّدْرَ وَحْشَةً فَرَجْعُ صَهِيلِ الطِّرْفِ فيه تَنَهُّدُ

ويطول صهيل الخيل في المعارك مما يؤدي إلى إخافة الأعداء، يقول ابن حمديس :[3] (الطويل)

تخبُّ بهمْ قبٌّ يُطيلُ صهيلُها بأرْضِ أعادتهم نياحَ النوادبِ

ويملأ صوت هذه الخيل الأرض، فهي قطعان كثيرة من الخيل حتى أن صوتها ملأ الأرض وغطاها، يقول ابن دراج القسطلي :[4] (الطويل)

أقاطِيعُ مِلءُ الأَرضِ أصْوَاتُ خَيْلِها وأنعامِها عَمّا يُكِنُّ تَرَاجِمُ

وهي عندما تتصارع في ظلمات المعارك فإنه لا شيء يميزها سوى التصهال، يقول الأعمى التطيلي :[5] (الخفيف)

ظلماتٌ تَنَاكَرُ الخيلُ فيها غير ما يستبينُ بالتّصْهَالِ

وإذا ما قيدت هذه الخيل فإنها تتخذ من التصهال وسيلة للشكوى مما يصيبها من أذى بسبب ربطها وتقيدها، يقول ابن زيدون :[6] (الطويل)

ثَوَى صافِناً في مَرْبَطِ الهُونِ يشتكي بتَصْهالهِ ، ما نالهُ من أذى الشَّكْلِ

---

[1] الاصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص424 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص194 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص32 .

[4] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص257 .

[5] الأعمى التطيلي، الديوان، ص104 .

[6] ابن زيدون، الديوان، ص350 .

وإذا ما فقدت هذه الخيل راكبها فإنها تبكي عليه، ويكون صوتها عنصراً مهماً في هذا البكاء، فابن الزقاق البلنسي يرسم صورة لجواده الأعوج الذي يبكي لفقده صاحبه، وتقوم هذه الصورة على عنصر الصوت فالحصان يحمحم ويردد صوته في صدره كأنه إنسان حزين لفقده عزيز عليه ومن شدة حزنه يكاد صوته ينفجر من صدره ليسمعه جميع الناس : [1] (الكامل)

فبكى الحصانُ الأعوجيُّ تحمحماً والهندوانيُّ الجُـرَازُ صليـلا

بل إن هذا التحمحم والصهيل يتحول إلى عويل مرتفع ناتج عن صهيل شديد يسمعه الناس، يقول أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي (ت470هـ) : [2] (الطويل)

وليسَ صهيلَ الخيلِ ما تسمعونَهُ ولكن عَويلٌ رجّعته الصواهلُ

لقد كان الصوت مهماً جداً في تصوير الحصان لأن الحصان لا تكتمل صورته إلا بذكر صوته، فهو يشتدّ تارة ويرقّ تارة أخرى ويصهل ويحمحم ويتحول صهيله إلى لحن يطرب السامعين، فتتنوع نغمات هذا اللحن ليصبح شدواً أو هديل حمام .

وبذلك فإن الصورة الفنية للخيل إذا لم تتوفر فيها العناصر الثلاثة _ اللون والصوت والحركة _ فإنها تصبح صورة ناقصة في حين أنها عند الأندلسيين قد اكتملت؛ لأن تلك العناصر قد توفرت فيها فجعلتها كأنها لوحة حية ناطقة، تنبض بالحيوية والحركة والصوت، فمن يتأمل هذه الصورة يصبح كأنه أمام فرس نابضة بالحياة سريعة ذات لون فائق في الجمال وصوت جميل ومرهف .

2.4 مصادر الصورة :

الصورة الفنية التي يخلقها الشاعر في قصائده لا تنبع من الفراغ ولا تقف عند موقف الشاعر وتجربته، بل إن لها منابع كثيرة تصدر عنها، وتتنوع هذه المنابع والمصادر فتكون إمّا مصادر تجريبية جربها الإنسان، وهي موجودة في محيطه وبيئته، وإمّا طبيعية يستلهم الشاعر صوره منها فتكون الطبيعة هي الرافد لتلك الصور، أي أن هناك "عوامل كثيرة تتضافر في تشكيل الصورة الفنية عند الشعراء،

---

[1] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص244 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص868 .

وبعض هذه العوامل يصعب إدراكها أو تحديدها لأنها ما زالت غامضة، وتتفاوت حولها الآراء وتختلف، وهي تتعلق بالعوامل النفسية ودورها في عملية الإبداع . لكن هناك عوامل أخرى نستطيع أن نصفها بالوضوح، مثل ثقافة الشاعر وقراءته، ومثل البيئة الطبيعية التي نشأ فيها الشاعر فمثل هذه العوامل تساعد في تشكيل الصورة ويمكن إدراكها ومعرفتها" [1] .

وقد يفيد الشاعر في تصويره من تجارب الشعراء الذين سبقوه، كذلك قد يفيد من الموروث الديني والثقافي، فيجعل صوره مستمدة من القرآن والسنة والتراث العربي.

وشعراء الأندلس في عصري الطوائف والمرابطين عاشوا في ظل نضوج الثقافة وبلوغ الشعر درجة عالية من التطور والنضوج، فعندما حلّ هذان العصران كان الشعر في المشرق قد استوى، لذلك كان لا بدّ لهؤلاء الشعراء الأندلسيين من الاتكاء على التراث المشرقي والمعاصر في تشكيل صورهم الشعرية، كذلك كان لابدّ لهم من الإفادة من موروث العرب الديني والإسلامي، لذا فإننا نجد كثيراً من عناصر صورهم منبثقة عن هذه المصادر ومستمدة منها.

وكان الشعراء في وصفهم للخيل وتصويرهم لهذا الحيوان الذي يعدّ " أكثر حيوان ظفر بعناية الشعراء ووصفهم " [2] ، قد استعانوا بكثير من المصادر والمنابع، فنجدهم يتكئون على الموروث، فيستمدون صورهم من صور المشارقة ويصوغونها صياغة جديدة، كما ينهلون من القرآن الكريم فيرسمون صوراً للخيل غاية في الدقة والجمال، كذلك يتخذون من بيئتهم الفاتنة مصدراً مهماً لتصويرهم، لذا فإنهم يستمدون لخيلهم أجمل ما في هذه البيئة مستغلين كلّ عناصرها وأركانها .

ولم يتوقف شعراء الأندلس في فترة الطوائف والمرابطين عند حدّ الإفادة من البيئة والموروث، بل نجد لهم صورهم الخاصة التي تصدر عن تجاربهم الذاتية ورؤيتهم الخاصة؛ لذا فإنهم قدموا الخيل في صور بارعة ربما كانوا قد تفوقوا فيها على شعراء المشرق .

---

[1] ذعدور، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، ص105 .

[2] شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص151 .

1.2.4 أولا : البيئـــة الأندلسيـــة :

الأندلس بلاد جميلة، منحها الله من طيب الخيرات ما حرمه كثيراً من الأقطـــار، ففيها من جميع أصناف الأشجار والحدائق، وفيها من كل أنواع الحيوانـــات، وفيهـــا الأنهار والينابيع والمياه الجارية، يقول لسان الدين ابن الخطيب : " خصّ الله بـــلاد الأندلس من الرّيع، وغدق السّقيا، ولذاذة الأقوات وفراهة الحيـــوان ودرور الفاكهـــة وكثرة المياه، وتبحر العمران وجودة اللباس ... بما حرمه الكثير من الأقطار ممـــا سواها " [1] .

وبما أن هذه البلاد قد منحها الله بيئة فاتنة فقد عـــدت "مصـــدر إلهـــام الشـــعراء والفيض الزاخر الذي يستمدون منه أفكارهم وموضوعاتهم وصورهم " [2] .

وانعكست ملامح هذه البيئة في تصوير الشعراء للحيوانات، وخاصة الخيل، فظهر عدد كبير من الصور والمجموعات الشعرية المستمدة من البيئة الأندلسية بكـــل مـــا تحويه من مظاهر وصفات، وقد ركّز الشعراء في تصويرهم الخيل على التشـــبيهات المستمدة من مظاهر البيئة، وجعلوا خيلهم تستعير صفاتها مـــن البيئـــة الأندلســـية الفاتنة.

ولعل ابن خفاجة من أكثر شعراء الأندلس تأثراً بالبيئة، فنجده يمزج بين عناصـــر البيئة وصفات الفرس، فها هو يربط بين البحر وأوصافه وفرســـــــه، فيقـــول : [3]

(الكامل)

لاطَمْتُ لُجَّتَهُ بِمَوْجَةِ أَشْهَـــبٍ يَرْمي بها بَحْرَ الظَّلامِ فيَرْتَمـــي

فصورة البحر وصورة الفرس بينهما شبه عظيم، فهما يشتركان في القوة والعنف والحيوية والتوثب [4] .

---

[1] المقري، أحمد بن محمد التلمساني المغربي (ت1041هـ/ 1631م)، أزهار الرياض في أخبار عيـــاض، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أحمد عراب، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية، 1998م، م1، ص61.

[2] عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص274 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص244 .

[4] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص237 .

ويرسم ابن حمديس لوحة لجواد قد حوى صفات عديدة من صفات بني الإنسان إلى جانب صفات البيئة ومظاهرها سواء أكان ذلك في حركة الجواد وسيره، أم في صهيله المطرب أم في لون جسمه الذي أشبه بلون القميص المعصفر، ويبدو بسرعة الريح التي لا يرى من آثارها سوى البرق الخاطف [1]، يقول : [2] (الكامل)

مُتصَيِّد برياضةٍ وطلاقةٍ في تيهِ معشوقٍ وطاعةِ عاشقِ
وإذا تَغَنّى بالصّهيلِ مطرِّباً أنسى أغانيَ مَعْبَدٍ ومخارقِ
ومزعفر لون القَميصَ بشقرة كالريح تقصف في التهاب البارق

لقد استعان الشاعر في البيت الأخير بالبيئة لرسم صورة جواده، فجاءت صورة هذا الجواد ممزوجة بالبيئة وعناصر الطبيعة كالريح والبرق، كما استعان بنوع من أنواع الثياب وألبسه لجواده، وجعل لونه أشقر ضارباً إلى الصفرة يشبه الزعفران في لونه، ومزج هذا كله بالجواد الأصيل الجميل الذي لا يبلغ شأنه جواد آخر .

وكثيراً ما يستمدّ الشعراء صورهم للخيل من صور البحر والأنهار الكثيرة في الأندلس وما تحويه تلك الأنهار من مظاهر، فالزوارق التي تصطف في النهر استعداداً للسباق تتحول إلى خيل تنازع فرسانها الأعنة ساعة الانطلاق في حلبة السباق، يقول ابن خفاجة : [3] (الكامل)

لَمْ تَسَتْبِقْ وكَأَنّها مُصْطَفَّةً دُهْمٌ تَنَازَعَتِ السِّباقَ عِرَابُ

وقد تأثر ابن حمديس في وصفه الخيل بالبيئة البحرية المحيطة بجزيرة ميورقه، كما تأثر بأجواء المعارك البرية والبحرية التي كان يخوضها ناصر الدولة في الجزائر الشرقية، حيث وصف الشاعر هذه الخيل وهي تقفز فوق جسور مدت لها فوق الماء لتعبر البحر كأنها تعانق السماء، حيث يقول : [4]

(الكامل)

ويَمُدُّ فوقَ البحرِ عند عبورِهِ جسراً بهادٍ للسماءِ مُعانقِ

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص261 .
[2] ابن حمديس، الديوان، ص331 .
[3] ابن خفاجة، الديوان، ص266 .
[4] ابن حمديس، الديوان، ص330 .

ولا تزال الخيل والجياد في خاطر ابن دراج القسطلي حتى وهو يصف سفن الأسطول البحري، فهي عندما تسير في البحر وتعلو أشرعتها تبدو كأنها خيل تسابق الرياح، يقول : [1] (الطويل)

بِكُلِّ مُعَالاةِ الشِّراعِ كَأَنَّها ... _ وقدْ حملَتْ أُسْدَ الحَقائِقِ _ غِيلُ

إذا سابَقَتْ شَأْوَ الرِّياحِ تَخَيَّلَتْ ... خيولاً مدى فُرْسَانِهِنَّ خُيُولُ

ويجيد أحمد بن محمد بن الأبار أحد شعراء المعتضد بن عباد وصف السفن، ويمزج وصفه لها بصفات الخيل، فيستمدّ صورة الخيل من صورة السفن، فيطلق على هذه السفن اسماً آخر هو الغراب، " ويستنكر سواده وطلاء القار على أديمه لأنه جواد أدهم أصيل ولا يكون القار طلاء إلا للأجرب من الحيوان " [2] ، يقول : [3] (البسيط)

يا حبذا مِنْ بناتِ الماءِ سابحةٌ ... تطْفُو لِمَا شَبَّ أهلُ النّارِ تُطفئُهُ

تُطيرُها الريحُ غِرْبَاناً بأجنحةِ الـ ... ـحمائِمِ البيضِ للأشواك ترْزؤُهُ

من كلِّ أدهمَ لا يُلْفَى بـه جَـرَبٌ ... فمـا لراكِبِـهِ بالقـارِ تهنُـؤُهُ

يُدْعـى غُرَابـاً وللفَتْخَاءِ سُرْعتُهُ ... وهو ابنُ ماءٍ وللشَّاهين جُؤْجُـؤُهُ

وبذلك فإن البيئة البحرية تعدُّ عنصراً مهماً استمدّ منه الشعراء صور الخيل، فالسفن البحرية تجري في البحر كما تجري الجياد السبق، يقول ابن اللبانة : [4] (الكامل)

وبنو الحروبِ على الجواري التي ... تجري كما تجري الجيادُ السُّبق

ومن عناصر البيئة التي يستعين بها الشعراء في تصويرهم الخيل تلك الحيوانات التي يمزج الشعراء بين صفاتها وصفات الخيل، فيشبهون خيلهم بتلك الحيوانات، ويضفون عليها صفات مستمدة من هذه الحيوانات، وقد يلجأ الشاعر إلى تشبيه

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص76 .

[2] الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ص492 .

[3] المقري، نفح الطيب، م5، ص200 .

[4] ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص72 .

الجواد بحيوان آخر أو العكس، فيمزج بينهما مزجاً بارعاً، ولننظر إلى هذه الصورة التي رسمها ابن خفاجة ليصف فيها كلباً، يقول : [1]

(الوافر)

وَأَخْطَلَ لَوْ تَعاطَى سَبْقَ بَرْقٍ ... لَطَارَ مِنَ النَّجَاحِ بِهِ جَنَاحُ

يَسُوفُ الأَرْضَ يَسْأَلُ عَنْ بَنِيهَا ... فتُخبِرُ أَنْفُهُ عَنْهَا الرِّيَاحُ

أَقَبُّ إذا طَرَدْتَ بِهِ قَنِيصاً ... تَنَكَّبَ قَوْسَهُ الأَجَلُ المُتَاحُ

أَضَلَّ بِرَأْسِهِ لَيْلٌ بَهِيمٌ ... فَشَدَّ عَلَى مُخَنَّقِهِ صَبَاحُ

ولا يخفى ما يبدو في هذه الصورة من أوجه الشبه القريب من صفات الفرس أو الخيل، مع ما يلاحظ في الصورة من دقة في التصوير لأحوال وحركات هذا الحيوان، وهو يؤدي مهمته في المطاردة والقنص ولعل أهم ما يعبر عن براعة الشاعر مزجه بين صفات الكلب المتخذ للصيد وصفات الفرس أو الجواد المتخذ للحرب والطعن فكلاهما يخوض معركة ويعرض حياته للخطر، وكذلك فيما يلاحظ في ثنايا الصورة من المزج بين الصفات الظاهرة، وهي اللون ومظهر الجسم وقوة حاسة الشم التي أشار إليها بإخبار الأنف عبر المسافات البعيدة بواسطة الرياح، وقد تتسع هذه الصورة حين يحاول الشاعر نفسه أن يعالجها بشيء من التفصيل وبسط القول مؤكداً على العناصر الرئيسية التي تطرق إليها في الأبيات السابقة، وفي مقدمتها اللون المكون من البياض والسواد والسرعة في الجري، مع القدرة الفائقة على الانقضاض واللحاق بالفريسة مهما كانت سريعة قوية، غير مبالٍ بما يعترضه من الصعاب في الطريق[2] ، فيقول : [3] (الوافر)

وَأَطْلَسَ مِلءُ جَانِحَتَيْهِ خَوْفٌ ... لأَشْوَسَ مِلءُ شِدْقَيْهِ سِلاحُ

نَجَا هَرَباً يَطِيرُ حِذارَ طَاوٍ ... لَهُ رَكْضٌ يَفُضُّ بِهِ البَرَاحُ

وَأَعْجَبَ أَنْ يُقَلِّصَ ذَيْلَ لَيْلٍ ... أَحَمَّ وقدْ أَجَدَّ بِهِ الرَّوَاحُ

يَجولُ بحيثُ يَكْشِرُ عَنْ نِصَالٍ ... مُؤَلَّلَةٍ وَتَحْمِلُهُ رِمَاحُ

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص54 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص91 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص147 .

فَطَوْراً يَرْتَقي حُـدْبَ الرَّوَابـي وَآونـةً تَسيـلُ بـه البطَـاحُ
جَرَى شَدَّاً وَللصُّبْـحِ التِمـاعٌ بحيثُ جَرَى وللبرقِ التِمـاحُ
فَخَلْخَلَـهُ وَسَـوَّرَهُ وَمَيـضٌ جَـرَى مَعَـهُ وَطَوّقَهُ صَبَـاحُ

وبهذا نرى أن الشاعر قد اقترب أكثر من ذي قبل من أوصاف الفرس، إذ استعان بصفاته هنا وجعله مطوقاً بالبياض محجلاً به، فضلاً عن صفات السـرعة والقـوة وجمال المظهر والقدرة الفائقة على الحركة السريعة عند رؤيته فريسة أو مجابهتـه لخطر داهم .

قد يكون هذا الوصف للكلب حين مطاردته لأرنب _ كما يرجح محقق ديوان ابن خفاجة استناداً إلى جملة إشارات فهم منها ذلك، ولكن مجموعة الأوصاف الواردة لا تفقد قيمتها الفنية والأدبية ولا تبتعد عن صلتها الوثيقة بأوصاف الخيل، كأن الشاعر يفخر بهذا الكلب وما يؤديه من خدمات وما يمتاز به من صفات كما يفخر صـاحب الجواد المتصف بأحسن الصفات وأكمل السمات بجواده، فهو دائمـاً وأبـداً يتغنـى بمآثره ووقائعه بالأعداء [1] . وعلى أية حال فمهما كان غـرض الشـاعر سـواء لوصف الكلب أم الخيل فقد كان المزج بين صفاتهما عنصراً مهماً لإقامة الصورة .

ويشبه أبو محمد بن سارة الإشبيلي (ت517هـ) الخيل بالظباء، وهي عنصر من عناصر البيئة الأندلسية، فنجده يحاول أن يستمدّ من البيئة أجمل ما فيها ليعبر عـن صورته، فيشبه الفرسان بالأسود في مقابل تشبيه الخيل بالظباء والشاعر قد وضـع في باله وجود من يعترض على كيفية ركوب الأسود للظباء، فقال : (وبينهما صلح قد انعقدا) فبرر هذه الصورة : [2] (البسيط)

كأنّما الخيـلَ آرامَ فوارسهـا أسـدٌ وبينهمـا صُلحٌ قد انعقدا

ويجعل ابن شرف جواده الجميل الذي يضرب في الأرض يتهادى فـي مشـيته يجعله كأنه غزال خرق، يقول : [3] (الرمل)

أشوسُ الطرْفِ عَرَتْهُ نَخَـوةٌ فتهـادى كالغـزالِ الخـرِقِ

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص92 .

[2] ابن الكتاني، التشبيهات، ص217 .

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص870 .

ويمزج يوسف بن هارون الرمادي بين صورة الخيل وصورة الطيور، فيجعل الخيل الضامرة كأنها في ضمورها طيور البازي والدستبان _ وهي طيور جارحة تعيش في الأندلس _ فسرب هذه الطيور يشبه الخيل الضامرة التي ضمرت خواصرها ولكنها تدرك صيدها : [1] (الطويل)

غَدَوْنَا بسربٍ ضُمَّرٍ مثلِ ضُمَّرٍ إذا لحقتْ منها الأياطِلُ تُلحَقِ
حُملن على الأيسار نحو عجاجها كما حَمَلتْ خيلٌ فَوارسَ صُدَّق

ومن مفاتن البيئة في الأندلس النباتات والأزهار الرائعة الجمال التي يفيد منها الشعراء في تصويرهم الخيل، فها هو صاعد البغدادي يجعل أوراق زهر الآس كأنها آذان الجياد المستديرة المستقيمة، فهذه الأوراق في شموخها واستقامتها تشبه آذان الجياد التي تطلعت وتشنجت في وقت الطعان والمعارك، يقول : [2] (البسيط)

أوراقُهُ مثلُ آذانِ الجيادِ إذا تَشوّفتْ في مجالِ الطّعنِ للبُهمِ

ويصف أبو بحر ابن عبد الصمد فرساً وقد سرح بروضة مخضرة ازدانت بالزهر، كأن السماء منحتها نجومها وجادت عليها بكواكبها [3] ، يقول : [4]
(الكامل)

وأَحَمَّ مسودِّ القميصِ كأنّما خلعتْ عليه ثيابَها الظلماءُ
وكأنّما خاضَ الصباحَ فأرضُهُ مبيضّةٌ وسماءهُ دهماءُ
وخلعتَ عنه عنانُه في روضةٍ شطأ النباتُ بها وفاضَ الماءُ
مُخضرّةٌ زهرت كواكبُ نورِها فكأنّها تحت السماءِ سماءُ

لقد انعكست هذه الألوان ألوان النباتات والأزهار على هذه الفرس، فخلعت عليه لوناً مستمداً من الروضة المليئة بالنبات والمياه .

لقد كانت البيئة الأندلسية بكلّ ما تحويه من نباتات وحيوانات وطيور وأنهار وبحار منهلاً عذباً للشعراء يستمدون منه صورهم للخيل، فيجعلونها ممتزجة بتلك

---

[1] ابن الكتاني، التشبيهات، ص179 .
[2] ابن عِذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، ص19 .
[3] منصور، الطبيعة في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين، ص169 .
[4] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص817 .

المظاهر ويشبهونها بها تارة، ويشبهون بعض مظاهر البيئة بالخيل تارة أخـرى، فتكون بذلك البيئة مصدراً مهماً من مصادر صورة الخيل عند الشعراء في الأندلس.

2.2.4 ثانيـا : المـوروث الثقافـي :

لقد تشرب الشاعر الأندلسي الموروث الثقافي بجميع جوانبه، وفهمه واستقصـى أبعاده ومعانيه، ممّا مكنه من استيحاء الصور والمعاني ومن ثم إعادة تركيبهـا فـي صياغة جديدة ملائمة لمدركات بيئته وموافقة لذوق عصره، فجاءت صور الشـعر الأندلسي مستمدة من المخزون الثقافي لدى الشاعر ولكنها مطروحة برؤية جديدة .

وكان الشاعر الأندلسي يستعين بمخزوناته من الأفكار والمعاني التي استمدها من جوانب ثقافته المختلفة : الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية لتغذية مضامين شـعره وإثرائها، متوسلاً إلى ذلك بالتضمين أو التورية أو الإشارة [1]. والمتأمـل لصـور الخيل في الشعر الأندلسي يدرك أن الشاعر كان يستمدّ كثيراً منهـا مـن موروثـه الثقافي سواء أكان الديني أم الأدبي .

وجاءت صور الخيل في شعر الأندلسيين تشبه في بعض جوانبها تلك الصور عند المشارقة؛ لذلك فقد كان تأثرهم بالمشارقة مصدراً مهماً من مصادر تشكيل صورهم، هذا بالإضافة إلى النصوص الدينية من القرآن الكريم والحديث النبوي، فقد اسـتعان بهما شعراء الأندلس لتشكيل عدد كبير من صورهم الفنية للخيل .

وبعد التأمل في صور الخيل فإنه يمكننا أن نجعل الموروث الثقافي كمصدر مـن مصادر صور الخيل ينقسم إلى قسمين همـا : أثـر الـنص الـديني أولاً والتـأثر بالمشارقة ثانياً .

1.2.2.4 أثـر النص الديني :

لقد كان القرآن الكريم هو الصورة المثالية في مبانية ومعانية، ولهذا تأثر الشعراء في الأندلس بمعانية وأفكاره العالية من ناحية، وبأسلوبه وتركيبه البليغ مـن ناحية

---

[1] السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس، ص375 .

أخرى فنهلوا منه أجمل الصور والمعاني وضمنوها في أشعارهم فغدت تلك الأشعار غاية في البراعة والجمال .

إن القرآن هو الرابط المتين الذي يربط الشعر العربي بعضه ببعض قديمه وحديثه على مرّ العصور لأنه المنبع في إمداد الثروة اللغوية فالشعر الأندلسي لا ينفصل عن التقاليد الموروثة في الشعر العربي العام، فهو يجري في الاتجاه نفسه ويشيع فيه هذا التيار الذي يصل بين الماضي والحاضر [1] .

وبعض صور الشعر الأندلسي وخاصة الخيل يظهر فيها أثر القرآن بشكل جلي وواضح، فقد رسم الشعراء صوراً لخيلهم مستمدة من القرآن وصوره، فها هو ابن شهيد يستعين بالألفاظ القرآنية في وصفه لرحلة صيد، إذ يقول : [2]

(الطويل)

ولمّا هبطنَا الغيبَ نَذْعَرُ وحشهُ ... عل كلِّ خوّارِ العنانِ أسيلِ

وثارتْ بناتُ الأعوجيّاتِ بالضحى ... أبابيلَ من أعطافِ غيرِ وبيلِ

مُسَوَّمَةً نعتدُّها من خيارِها ... لطردِ قنيصٍ أو لطردِ رَعيلِ

إلى أن تناهم راكدينَ لما احتسوا ... خليعين من بطشٍ وفضلِ عقولِ

نشاوى على الزهراءِ ، صرعى كأنهمّ ... أساطينُ قصرٍ أو جذوعُ نخيلِ

وواضح أن الشاعر يشبه الخيل في سرعتها وانقضاضها على الفرائس بطير الأبابيل التي جاءت في قوله تعالى : " وأرسل عليهم طيراً أبابيل " [3] .

لقد أهلكتهم هذه الطير " وكذلك تلك الجياد القوية فإنه لم يسلم منها أحد، وهي معروفة ومعلمة " [4] ، واستعان بكلمة (مسومة) من قوله تعالى : " والخيل المسومة " [5] .

---

[1] العاني، محمد شهاب، أثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي منذ الفتح الى سقوط الخلافة، ط1، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م، ص14 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص251 .

[3] سورة الفيل (آية :3) .

[4] العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، ص67 .

[5] سورة آل عمران (آية : 14) .

إن هذه الصورة القرآنية التي استلهمها الشاعر تصف سرعة الخيل التي أصبحت كأنها طير الأبابيل التي انقضت على جيش أبرهة ورمتهم بحجارة السجيل المتصلبة التي لا يسلم منها أحد؛ لأنها مسومة أي معلمة من عند الله تعالى على من ستقع، فهي مأمورة، فهو يصور الانقضاض على الفريسة بعد ما يستعين بالصور القرآنية، ثم يذهب بعد ذلك إلى صور الفرائس وهي متآكلة الأجواف كأنها أعجاز نخل خاوية، وهذه صورة مستمدة من قوله تعالى : " فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " [1] .

أما صورة (الخيل المسومة) فقد تكررت في الشعر الأندلسي وهي مستمدة كما ذكرنا من القرآن، وتعني الخيل المعلمة التي تتميز عن سائر الخيل لقوتها وجمالها وسرعتها فها هو أمية بن عبدالعزيز أبو الصلت يرسم صورة لخيل مسومة أصيلة عراب يتخيرها من بين الخيل : [2] (الوافر)

تخيرها مسوَّمةً عِراباً تضمُ به الجوادَ إلى أخيه

ويلجأ الشعراء إلى القصص القرآني ليرفدوا به صورهم ومعانيهم، ومن أبرز تلك القصص قصة يوسف عليه السلام حيث لجأ الشعراء إلى دمج عناصر هذه القصة بنسيج قصائدهم، فكان هذا الدمج بعيداً عن التكلف والتصنع، انظر إلى هذا الشاعر الذي يرثي مهراً ويشير في هذا الرثاء إلى قصة يوسف، حيث أنه فقد هذا المهر وضاع منه وذلك لأن الذئب قد أكله، فيستغل الشاعر هذه الحكاية ويربطها بقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته وأبيه، والذئب الذي ادّعى إخوته أنه أكله، قال تعالى : " قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " [3] .

ويبين الشاعر مدى حزنه لفقده هذا المهر وإنه لم يقتنع بموته، فهو كيعقوب عليه السلام الذي لم يقنع بقصة الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام، فإنه أيضاً لم يقتنع

---

[1] سورة الحاقة (آية : 7) .

[2] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص71 .

[3] سورة يوسف (آية : 17) .

بأن هذا المهر قد أكل، لقد سرق ولم يعرف مصيره، يقول أبو محمد ابن خليفة القرطبي المعروف بالمصري (ت496هـ) : [1] (البسيط)

يا يوسفَ الخيلِ يا مَقتولَ إخوَتِهِ قلبي لفَقدِك بينَ الحَرْبِ والحَرَبِ
إن كانَ يعقوبُ لم يَقنَعْ بكذبهمُ إنّي لأقنعُ منهم بالدمِ الكذبِ

إن هذه الصورة مستمدة من القرآن الكريم، ومن الصور الأخرى المثيلة لها صورة لابن دراج القسطلي استلهمها من قصة سيدنا سليمان عليه السلام الواردة في سورة النمل، حيث استعان ببعض أحداث هذه القصة ولا سيما موضوع علاقة سليمان ببلقيس ملكة سبأ، وموضوع الصرح، وبعد أن يذكر هذه الأحداث يتبعها بذكر حادثة الجياد، فيقول : [2] (الطويل)

دوالَيْكَ من دهرٍ يواليكَ بالنُّجْحِ ففتحٌ إلى عيدٍ وعيدٌ إلى فتحِ
رفعتَ لها أعلامَ نصرٍ كأنّما كستها طيورُ اليُمْنِ أجنَحةَ النُّجْحِ
تمورُ بها في كلِّ بحرٍ من الوَغى سوابِحُ محمودٌ لهَا شِيَمُ السَّبْحِ
إذا الحربُ بالأبطال في لُجّةِ الرّدى تُذكِرُهم (بلقيس) في لُجّةِ الصَّرحِ
وسيفكُ في الأعناقِ والسُّوقِ مُقتَد بسيف (سليمانَ) الموكّلِ بالمسحِ

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى سليمان عليه السلام والصافنات الجياد التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : " ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد، فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب، ردوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق " [3].

وللمرحوم عبد الوهاب النجار رأي يستند إلى تفسير الرازي أنه عليه السلام أمر بإعداد الجياد وتسييرها حتى توارت بالحجاب؛ أي غابت عن بصره، ثم أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل إليه، فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها، وأغراض ذلك المسح عديدة : أولها : تشريف لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة، ق4، م1، ص352 .

[2] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص404 _ 405 .

[3] سورة (ص) (آية : 30 _ 31) .

الأعوان لدفع العدو . وثانيها : أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يباشر أكثر الأمور بنفسه، والثالث : أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض [1] .

هذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق انطباقاً مع المعاني الشعرية فابن دراج يشير في بيته الأخير إلى معنى أنه ذبحها بسيفه؛ لذلك فإن سيف ممدوحه مقتد بسيف النبي سليمان في كثرة قتل أعدائه والفتك بهم [2] . فصور جياد ابن دراج القسطلي مستمدة من صورة الجياد عند نبي الله سليمان عليه السلام .

وصورة الصافنات الجياد الواردة في القرآن تتكرر في الشعر الأندلسي، فها هو أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز يقدم صورة لخيل صوافن ترتاح كأنها إنسان متعب يسعى إلى فراشه فهي تسعى إلى مكان إلجامها وإسراجها، يقول : [3]

(الكامل)

وارتاحتْ الجردُ العتاقُ صوافناً تهفو إلى الإسراجِ والإلجامِ

ويستعين الأعمى التطيلي بقصة موسى عليه السلام في تصويره الخيل، فهذه الخيل من شدة ضمورها وقوتها كأنها عصا صلبة قوية، لكنها إذا ما أسرعت ومشت فإنها تنساب كما ينساب الثعبان؛ لذلك فإنها تشبه عصا سيدنا موسى التي ألقاها أمام فرعون وسحرته، فتحولت إلى أفعى التهمت كل تلك الحبال المسحورة، يقول : [4]

(البسيط)

عصا جذِيمةَ إلا ما أُتيح لها من أمرِ موسى فجاءَتْ وَهْي ثعبان

وهذه الصورة تشير إلى قوله تعالى : " فألقاها فإذا هي حيةٌ تسعى " [5] .

وها هو شاعر آخر من شعراء الأندلس يستمدّ صورة رائعة من القرآن الكريم ويضفيها على خيله، فهذه الخيل التي تطارد الأعداء وتلاحقهم تتعب ويصيبها

---

[1] النجار، عبدالوهاب، قصص الأنبياء، ط3، مكتبة النهضة العربية، ص322 – 323 .

[2] العاني، أثر القرآن في الشعر الأندلسي، ص136 .

[3] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص145 .

[4] الأعمى التطيلي، الديوان، ص219 .

[5] سورة طه (آية : 20) .

الضمور والهزال فتصبح كالعرجون القديم، يقول ابن عبد الغفور : [1]

(مخلع البسيط)

قـرّت بـه أعيـنُ البرايـا وأعطـوا أكـؤسَ السـرورِ
وشُـنَّ غاراتهـا عليهـم مثل العراجين فـي ضمـور
أهلـةً لا تـزال تسـري لتحـرزَ الحـظَ مِنْ ظهـور

وهذه الصورة مأخوذة من قولـه تعالى: "والقمـر قـدرناه منـازل حتـى عـاد كالعرجون القديم " [2] .

لقد تأثرت الصورة الشعرية بطبيعة الصورة والقصة القرآنية، لكن هذا لا يعنـي أن القرآن وحده الذي ساهم في إثراء صور الخيـل عنـد الشـعراء، بـل نجـدهم يستعينون بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لتشكيل صورهم وكـذلك بمضـامين الإسلام الأخرى فيستغلون ذلك في تصويرهم الخيل .

ونجد الأعمى التطيلي يتخذ من هدنة الرسول مع أهل مكة وتأجيل الفـتح معنـى وصورة يضعه في مدحه لعلي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في تأجيل فـتح طليطلة وردّ الخيل عنها، حتى تحين آجالها أسوة بالرسول حين ثناها عـن حصـار ثقيف، بعد أن أحيطت بالرماح والسيوف، ووافاهم العطش والخوف، وكذلك مهادنته أهل مكة ويعني صلح الحديبية، ولكنهم ما برحوا أتوها بعد ذلك بكتائب مـن خيـل تثير النقع وهي تتراءى من جبل الحجون، فإن أحرزت طليطلة وقتـاً فـإن سـيف الممدوح ضمين بفتحها [3] ، يقول : [4] (الوافر)

لأمرٍ ما رددتَ الخيلَ عنهـمْ وقَدْ جَعَلَتْ مَحَاينُهُـمُ تحيـنُ
وأُسْوَتُكَ الرّسولُ وإن يَشُكُّوا فعندَ جُهَيْنَةَ الخبـرُ اليقيـنُ
ثناها عن ثقيـفٍ والعوالـي بهمْ لَجَـبٌ ودُونَهُـمْ رنيـنُ

---

[1] الاصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص428 .

[2] سورة يس (آية : 39) .

[3] الربيعي، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ص158 .

[4] الأعمى التطيلي، الديوان، ص 204 _ 205 .

وهادَن أهْلَ مكةَ عَنْ حِمَاهـــا وقد تكفي عن الحربِ الهُدُون
فما بَرِحُوا بها حتّـــى أتوهـــا تُثيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُها الحجـــون
فان تُحِـــرزْ طليطلةَ الليالـــي فَسَيْفُكَ يا عليُّ بها ضَمِـــينُ

وواضح في هذه الأبيات أن الشاعر رسم لوحة لخيل ممدوحه مستمدة من خيـــل المسلمين في فتح مكة وصلح الحديبية، فجعل الخيل التي ردها الممدوح عن طليطلة كخيل الرسول والمسلمين التي ردوها عن مكة بعد مهادنة أهلها. ويستعين ابن دراج القسطلي بحديث الرسول "صلى الله عليه وسلم" حيث يقول " الخيـــل معقـــود فـــي نواصيها الخير " [1] ، يستعين بهذا الحديث ليمزجه في سياق تصويره لخيل ممدوحه، فيقول : [2] (الطويل)

تَأَيّي نَوَاصِي الخَيْلِ مَعْقُودَةً بها عُهُودُ مَوَالِيها وحِلْفُ حَلِيفِها

فنواصي الخيل معقودة على المحافظة على العهد لصاحبها والوفاء له ومحالفتـــه والدفاع عنه، فهذه النواصي كالحبل المعقود لا ينفكّ أبداً لشدة ربطه وإحكامه، وهي كالخيل المعقود في نواصيها الخير كما قال الرسول الكريم فهي معقودة على الوفـــاء لصاحبها ولن تخلّ بذلك أبداً .

ومن المعاني الدينية التي أضفاها الشعراء على صورهم للخيـــل قـــول ابـــن خفاجة : [3] (البسيط)

مِنْ أَدْهَمِ أَخْضَرِ الجِلْبَابِ تَحْسَبُهُ قَدِ استعَارَ رِدَاءَ اللَّيـــلِ فَاشْتَمـــلا
وَأَشْهَبَ نَاصِعَ القِرْطَاسِ مُؤْتَلِقٍ كَأَنّما خَاضَ مَاءَ الصُّبْحِ فَاغْتَسَلا

فالشاعر يستعين بالثقافة الدينية فيجعل فرس الجهاد الأشهب كأنه مغتســـل بمـــاء الصبح، وقصده معنى التطهير، وهو معنى إسلامي مســـتمد مـــن تعليمـــات الـــدين الإسلامي .

وهذه الخيل تتخذ من الهدى أجنحة لها، فهي تسير بوحي من دين راكبيها، وهـــو الدين الإسلامي فتسعى إلى الروم طائرة مسرعة فتفتك بهم لأنها تـــدافع عـــن ديـــن

---

[1] الامام مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص683 .

[2] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص311 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص208 .

عظيم تستمد قوته منه، يقول أبو بكر بن الملح :[1] (الطويل)

خوافقُ قَدْ ريشتْ بأجنحةِ الهُدى فطارتْ ببحرِ الرّومِ كلُّ مطارِ

ويوازن أبو إسحاق الإلبيري بين المسوف أمور آخرته والمستدرك لها، ويشبه هؤلاء بالجواد الأصيل والمقرف؛ أي الهجين وهو دون الأصيل فالإنسان الذي يستدرك آخرته بالعمل الصالح في دنياه كالذي يركب جواداً أصيلاً، ويسعى به إلى غاية فيبلغها، أما من لا يعمل لآخرته، فهو كالذي يركب جواداً غير أصيل، فلن يبلغ غايته فالجواد الأصيل يسبق المقرف إلى الغاية، وكذلك من يعمل لآخرته يسبق من لا يعمل إلى نيل الثواب، يقول :[2] (الكامل)

إنَّ الجوادَ إذا تطلّبَ غايةً بَلَغَ المَدى منها وبَذَّ المُقرِفا

شتّانَ بينَ مُشمِّرٍ لِمعادِه أبداً وآخر لا يزالُ مُسوِّفا

ويؤكد الإلبيري في أبيات أخرى معنىً دينياً وهو أن العاقبة لمن ثقلت موازينه، ويجعل يوم القيامة ميداناً للسباق، حيث ينكشف في ذلك الميدان الجواد الثقيل البطيء من الخفيف الضامر السابق، فالمؤمن هو السريع الذي يفوز في السباق، فيدخل الجنة أما الكافر فهو الجواد الثقيل البطيء الذي يتخلف عن السباق، يقول :[3] (الكامل)

وغداً بميدانِ السّباقِ سنلتقي فيرُى الثّقيلُ من الخفيفِ الضّامرِ

وفي ذلك اليوم العظيم فإن الإنسان يتحسر إذا تأخر عن الركب ودخل النار، فهو كالجواد الذي يأتي في آخر الحلبة، فيتمنى لو كان هجيناً ولكنه سابق، وكذلك الكافر فإنه يتحسر ويتمنى اللحاق بالمسلمين، يقول :[4]

(الكامل)

واسَوأتاه إن كُنْتُ سُكَّيْتاً بهِ أرجو اللّحاقَ على هجينٍ عاثرِ!

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص463 .

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص52 .

[3] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص94 .

[4] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص94 .

لقد تأثر أبو إسحاق الإلبيري بمعاني الإسلام ومواقف يـوم القيامـة ومزجهـا بصور الخيل، بل جعل الخيل كأنها بشر يتسابقون للحساب يوم القيامة ويسـعون لدخول الجنة، وتجنب دخول النار فمن يدخلها فإنه يتحسر ويتأسى .

وهكذا فقد ظهرت آثار القرآن الكريم في صور الخيل عند الأندلسـيين، فقـد استمدّ هؤلاء الشعراء كثيراً من الألفاظ والصور القرآنية، ومزجوها في أشعارهم فاستفادوا من جمالها وطاقتها التعبيرية وشحناتها الإيمانية، ولم يتوقفوا عند هـذا الحدّ بل نجدهم يستعينون بمعاني الدين الإسلامـي وصوره

وبعض مواقف الرسول عليه السلام، ومن هنا فقد أصبح الدين والقـرآن منبعـاً ورافداً من الروافد التي يستقي منه الشعراء الأندلسيون في تصويرهم الخيـل، فهـم يأخذون منه ما يحتاجونه من جواهر يرصعون بها أشعارهم، وهذا الأمر يدل علـى اهتمامهم بالدين والقرآن وعلى إعجابهم بلغة القرآن وحفظهم إياها حفظاً كان يمـلأ أذهانهم ومخيلاتهم فيجري ذلك على ألسنتهم في خلقهم الشعري . وبـذلك أصـبح القرآن والتراث الإسلامي مصدراً مهماً من مصادر تشكيل صـور الخيـل عنـد الأندلسيين انبثق عن استيعابهم للإسلام وأفكاره ومضامينه .

2.2.2.4 التأثـر بالمشارقـة :

ظلّ التراث المشرقي نموذجاً يحتذى عبر عصور الأندلس الأدبية كلها، ولكنـه يتفاوت من فترة لأخرى في مدى التأثير، وعمق الصلة ومقدار الأخذ، كما يتفـاوت من شاعر لآخر أيضاً فالأندلسيون تابعوا المشارقة وقلدوهم واعتبروا المشرق قبلتهم الأدبية، يقول ابن بسام صاحب الذخيرة : " إن أهل هذا الأفق _ الأندلس _ أبـو إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً "[1] .

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص12 .

ومعنى ذلك أن ابن بسام يقرر أن أهل الأندلس يتبعون أهل المشرق ويقلدونهم وينظرون إليهم على أنهم المثل الأعلى لهم في كل شيء، ومن ذلك الشعر طبعاً . وهذا يعني أن ابن بسام يقرر بطريق غير مباشر أن شعراء الأندلس مقلدون لشعراء المشرق وغير مستقلين عنهم بطابع خاص أو سمات مميزة [1] .

ويؤكد صاحب نفح الطيب على أن الأندلسيين تأثروا بالمشارقة وقلدوهم، فهو يرى أن الشعر الأندلسي كان متأثراً إلى أبعد الحدود بمثيله في المشرق فكانت الرحلة دائمة بين الشرق والغرب من علمية وأدبية واقتصادية وغير ذلك [2] .

وتقليد الأندلسيين للمشارقة لا يدل على عجز شعراء الأندلس على الابتكار، فهم قد ابتكروا عدداً من الصور التي لم يسبق لها مثيل، ولكن هذا التقليد يدلّ على الشعور بالانتماء إلى الأصل والرغبة في الاستمرار والارتباط به والسير على نهجه [3] .

والعرب على مرّ عصورهم منذ العصر الجاهلي وحتى عصر الأندلس وصفوا الخيل وأكثروا من ذكرها والتفاخر بها وبأصولها وجمالها، وعندما جاء القرن الخامس والسادس في الأندلس كانت صورة الخيل قد نضجت واستوت، ومن هنا كان لا بدّ لشعراء هذه الفترة من أن ينهلوا من تلك الينابيع الصافية التي أسسها الشعراء الوصافون للخيل على مرّ العصور .

"ولا شكّ أن هناك تقليداً عند شعراء عصر الطوائف والمرابطين للمشارقة منذ الجاهلية حتى أيامهم في بعض الصور الفنية للخيل، وأن هناك محاكاة لهم في بعض التشابيه والاستعارات" [4] . ولا غرابة في ذلك لأن التراث مشترك واللغة بأفكارها ومجازاتها لا انقطاع فيها فلا غرو على الأندلسيين لو قلدوا من سبقوهم من المشارقة وحاكوهم في صورهم وأشعارهم للخيل .

---

[1] عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص159 .

[2] انظر، المقري، نفح الطيب، م1، ص188، م4، ص93 .

[3] عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص164 .

[4] منصور، الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، ص263 .

فابن خفاجة الشاعر الوصاف ذو الثقافة الواسعة والخيال الممتد يعرف جيداً أن عنترة من الشعراء البارزين الذين وصفوا جيادهم وما تؤديه من أدوار مهمة والشاعر الأندلسي عندما يأخذ معنى قديماً أو معنى مشرقياً فإنه يصوغه بأسلوبه الخاص وموازينه الأندلسية المستمدة من بيئته ومجتمعه وثقافته .

وخطيرة في الحرب والطعان، ومن المتوقع أن ابن خفاجة كان قد قرأ من شعر عنترة تلك المقاطع التي صورت الخيل، ولا يستبعد كذلك أن يكون شاعرنا الأندلسي الوصاف قد قرأ أبيات عنترة التي يعرض فيها الشاعر الفارس الشجاع ضمن معلقته صورة جواده وحركته في الحرب وتسربله بالدم، وكيف أنه انحرف ليتقي ضربات الأعداء، وعبّر كذلك عن شكواه بإرسال العبرة والتحمحم إذ لم يكن قادراً على النطق والحوار ولم يكن ممن يعبر بالنطق واللسان [1] .

ولنقرأ هذه الأبيات قبل ذكر أبيات ابن خفاجة ليكون ذلك أدعى إلى فهم الصورة واتضاح الموازنة بين الصورتين وتلمس العلاقة بينهما في عدد من النواحي الأسلوبية والنواحي المتعلقة بالمعاني، يقول عنترة : [2] (الكامل)

يدعون عنْتـرَ والرِّمـاح كأنّهـا أشطانُ بئـرٍ فـي لَبـانِ الأدهـمِ
ما زلتُ أرْميهـم بثُغـرَةَ نحـرِه ولَبانـهِ حتـى تَسَرْبـل بالـدَّمِ
فازْورَّ مـنْ وقـعِ القَنـا بلَبانَـه وشَكـا الـيَّ بعبْـرة وتحمْحُـمِ
لو كانَ يدْري ما المُحاورَةُ اشْتكى ولكانَ _ لو عَلم الكلامَ _ مُكلِّمـي

لا شكّ أن ابن خفاجة يذكر هذه الأبيات، وليس مستبعداً أن يكون قد تأثر بمعانيها وأعجب بأفكارها وتعابيرها، فصاغ من هذا التأثر والإعجاب على نهجها أبياتاً، ولكنه لم يسر على النهج نفسه في عرض المعاني، وإنما حاول أن يمزج بين ما لديه من موازين البيئة الأندلسية والمجتمع والثقافة وما تنطوي عليه من المصطلحات والألفاظ والمعاني والأفكار وطرق التعبير وبين هذه المعاني القديمة

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص306 .

[2] عنترة بن شداد، عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي (ت22ق.هـ/ 601م)، الديوان، تحقيق فوزي عطوي، ط1، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1968م، ص18 .

بشكل بارع وأسلوب رقيق جذاب أخفى أو كاد يخفي الإطار العام للفكرة الأصيلة والتعابير القديمة حتى لم يعد يبدو منها سوى لمحات ضعيفة أو باهتة ضمن مجموعة متآلفة من المعاني والأفكار في تعابير جميلة مؤثرة [1] .

يقول ابن خفاجة في هذه الأبيات : [2] (الطويل)

فَجِئْتُ الدَّجَى مِنْها بأَعْيَسَ ضَامِرٍ رَمَيْتُ به رُكْنَ الدُّجَى فَتهدَّمَا
يُقَلِّبُ طَرْفاً في الكَوَاكِبِ سَامِياً كَأَنَّ به تحتَ الظَّلامِ مُنَجِّمَا
ومِنْ عَجَب أَنِّي أَرَى القَوْسَ مُنْحَنِي به في يَدِ البَيْدَاءِ وَالسَّهْمَ مُرْتَمَى
يُجَاذِبُنِي رَجْعَ الحنينِ عَلَى السُّرَى كَأَنَّ لَهُ قَلْباً هُنَاكَ مُتَيَّمَا
وَيُطْرِبُهُ سَجْعُ الحمَامَةِ بالضُّحَى فَيَلْوِي إِلَيْهَا جِيدَهُ مُتَفَهِّمَا
وَمَا كَانَ يَدْرِي مَا الحنينُ عَلَى النَّوَى وَلَكِنَّنِي طَارَحْتُهُ فَتَعَلَّمَا

ويمكن للمتأمل في هذه الصورة ومقارنتها مع الصورة السابقة أن يلاحظ حرص الشاعر وتفوقه في جعل صورته تبدو أكثر جمالاً وأشد حيوية ونطقاً وشعوراً وإحساساً من معاني صورة عنترة _ على ما تنطوي عليه من سمات الجمال وحسن التعبير والإجادة _ فالشاعر الأندلسي يخبرنا بأنه هو الذي علم جواده ودرَّبه حتى صار يجاذبه رجع الحنين، كأنه صاحب قلب يشعر ويحسّ ويحب ويكره، وصار في حبه متيماً يطرب لسجع الحمام ويلوي جيده لسماع نواحه، ويفهم ما يعاني من آلام البعد والفراق وحسرات الغربة والوحشة [3] .

ولم يكن ذلك كله إلا لطول مرافقته لصاحبه وتدريب الأخير له على ذلك كله حتى صار له ما للإنسان من الطباع والنوازع، واستطاع الشاعر بموهبته الفنية وخياله الواسع المحلق أن يجعل جواده يشعر ويحسّ بأسلوب أخاذ مؤثر أربى على الصور القديمة التي عرفت لدى الشعراء في مثل هذه المناسبة ولدى وصف الجواد، كما أظهرت صورة الشاعر الأندلسي تأثراً واضحاً بما يحيطه من مظاهر الطبيعة

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص307 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص173 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص308 .

الأندلسية وعادات المجتمع وأحواله [1] .

وفي شعر ابن حمديس في وصف الخيل كثير من التأثير والاستفادة والأخذ من التراث، فحصانه حصان حرب قيد الأوابد، وهذه الصفة معروفة عند العرب منذ القدم، يقول ابن حمديس : [2] (الطويل)

ومنغمسٍ في صبغةِ الليلِ يَمْتطي إلى أجل الأسادِ قَيْدَ الأوابدِ

وهذا مأخوذ من قول امرئ القيس : [3] (الطويل)

وقَدْ اغْتَدِي والطّيرُ في وُكُناتِها بمُنجَرِدٍ قيدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

وتكررت صفة السبق وقيد الأوابد عند الأندلسيين، فابن حمديس يذكرها مرة أخرى في شعره، فيجعل حصانه منقطع بالسبق في حلبة السباق، وهو سريع لا يجاريه حصان : [4] (الطويل)

تُقَيَّدُ بالسَّبْقِ الأوابدُ فَوْقَهُ ولو مرَّ في أثارهنّ مُقَيَّدَ

ومنقطعٍ بالسَّبْقِ من كلّ حلبةٍ فتحسبُه يجري إلى الرهنِ مُفْرَدَا

وهذه الصورة مأخوذة من بيت امريء القيس المتقدم وكذلك مأخوذة من قول الشاعر"تميم بن أبي بن مقبل" [5] حيث يقول : [6] (البسيط)

أني أُقيدُ بالمَأْثورِ راحِلتي _ فلا أُبالي _ وإنْ كُنَّا على سَفر

ولعل أبا بكر بن العطّار من أكثر الشعراء اقتراباً من صورة جواد امرئ القيس، فجواده منجرد قيد الأوابد سباق إلى ما ينتدب إليه : [7] (البسيط)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص308 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص137 .

[3] امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن آكل المرار (ت80ق.هـ/ 544م)، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ص19 .

[4] ابن حمديس، الديوان، ص144 .

[5] أبو كعب، تميم بن أبي بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، وعدّ من المخضرمين ولد سنة 70 ق.هـ (554م)، ذكر في شعره وقعة صفين. "ابن مقبل، تميم بن أبي بن مقبل (ت37هـ/ 657م)، الديوان، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م، ص1-2 " .

[6] ابن مقبل، الديوان، ص78 .

[7] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص377 .

من كلِّ أشوسَ سامي الطرفِ منجردٍ قيدِ الأوابدِ سبّاق لما انتُدبا

وقد احتذى ابن دراج القسطلي بالمشارقة في تصويره الخيل فجواده جميل له بياض في جبهته، وهو جواد مقيد شدت قوائمه بالشكل، يقول : [1] (الطويل)

ذُو غُرَّةٍ معروفَةِ السبقِ في المَدى وقد قَرِحَ التَّحْجِيلُ من حَلَقِ الشُّكْلِ

فهذه الصورة هي نفسها صورة الجواد عند المتنبي، حيث يقول : [2]

(البسيط)

وَإنْ تكُنْ مُحْكَماتُ الشُّكلِ تَمْنَعُني ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ

ويقول أبو العلاء المعري : [3] (الكامل)

كالطرف يُقلقهُ المَرَاحُ صبابةً بالجري وهو مقيدٌ مشكول

ويتأثر ابن زيدون بهذه الصورة أيضاً، فيجعل جواده السباق ذليلاً كبلته القيود والأغلال، يشتكي من الأذى الذي سببه له الشكل، يقول : [4] (الطويل)

ثَوَى صافناً في مَرْبَطِ الهُونِ يشتكي بتَصْهالِه ما نالهُ من أذى الشُّكلِ

ومن الذين تأثروا بالمتنبي ابن شهيد حيث يقول : [5] (الطويل)

وخيلٍ تمشَّى للوغى ببطونِها إذا جعلتْ بالمرتقى الصَّعبِ تَزلَق

وهذا قول المتنبي : [6] (الطويل)

إذا زَلِفَتْ مَشْيَتَهَا بِبطُونِها كمَا تَتَمَشّى في الصَّعِيدِ الأرَاقِمُ

فخيل الشاعرين قوية في صعودها الجبال، وهذا دليل على قوتها وصعوبة مراقيها في الجبال .

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص128 .

[2] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ/ 965م)، شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986م، ج3، ص396 .

[3] المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري (449هـ/ 1057م)، سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص174 .

[4] ابن زيدون، الديوان، ص350 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص319 .

[6] المتنبي، شرح ديوان المتنبي، ج4، ص105 .

ويجعل ابن زيدون نفسه جواداً ولكنه مسجون ومقيد، فهذا الجواد السابق المطهم غير جدير بالحبس والتقييد في مربطه، فابن زيدون يشكو مما حلّ به في قرطبة وما أصابه بها من ظلم وضيم لذلك فهو كالجواد المقيد، يقول :[1] (الخفيف)

ما عَسِيٌّ أنْ يألَفَ السَّابقُ المَـرْ بَطَّ في العِتْقِ مِنهُ والتَّطْهيـمِ

وهذه الصورة الرائعة هي نفسها عند المتنبي حيث يقول :[2] (الوافر)

يَقُولُ لِيَ الطَّبيبُ أكَلْـتَ شَيْئـاً وَدَاؤُكَ في شَرَابِـكَ وَالطَّعَـامِ

وَمَـا فـي طِبِّـهِ أنِّـي جَـوَادٌ أضَرَّ بجسمِـهِ طُـولُ الجِمَامِ

ويصور الرمادي قوة جواده متخذاً من الحوافر وسيلة لذلك، فهي حوافر صلبة كالحجارة تحطم ما تحتها، يقول :[3] (الكامل)

حَطمتْ حوافِرُهُ السِّلامَ صلابـةً فكأنـه مـن أوجـهِ البُخَّال

وهذه الحوافر هي نفسها حوافر جواد أبي تمام حيث يقول :[4] (البسيط)

حَلَفتَ إنْ لم تثبَّتْ أنَّ حافِـرَهُ من صَخرِ تَدمُرَ أو من وَجَهِ عُثمانِ

والخيل عند عبد المجيد بن عبدون سريعة تسبح في الهواء من سرعتها حتى لتبدو كأنها خيال ووهم، وألوانها مأخوذة من لون الليل ولون الصباح، يقول ابن عبدون :[5] (الكامل)

خبطتْ بنا وَرَقَ الظلامِ سوابـحٌ مـلءُ النواظِرِ سيرهـنّ توهّـمُ

فإذا سَرَتْ فالليلُ منهـم أبيـضٌ وإذا غَدَتْ فالصبحُ منها أدهـمُ

فقد ألمَّ الشاعر بعض الإلمام بقول أبي تمام في إحدى أبياته :[6] (البسيط)

ضَوْءٌ مِنَ النَّار والظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ كظلمةٍ مِنْ دُخَانٍ في ضُحىً شَحِبِ

---

[1] ابن زيدون، الديوان، ص361 .

[2] المتنبي، شرح ديوان المتنبي، ج4، ص279 .

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص428 .

[4] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ/ 845م)، الديوان بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1964م، م3، ص310 .

[5] عبد المجيد بن عبدون، الديوان، ص179 .

[6] أبو تمام، الديوان، م1، ص54 .

وهذا الجواد عند ابن عبدون هفهاف العنان كأنه نفس المشوق الذي تعاورته اللوم، يقول : [1] (الكامل)

من كلِّ هفهافِ العنــانِ كأنّــهُ نَفَــسُ المشوقِ تعاوَرَتْهُ اللّــوَّم

وهذه الصورة مأخوذة من قول بشار بن برد : [2] (الرجز)

ضَنَنْتَ لِخَدٍّ وجَلَتْ عــنْ خــدِّ ثُــمَّ انْثَنَتْ كَالنَّفْــسِ المُرْتَــدِّ

وتتشابه صور الخيل عند الأندلسيين بخيل الحرب عند القدماء، فخيل ابن حمديس تعدو مسرعة لقتال الأعداء، وهي خيل تمتاز بألوان رائعة ويفصل الشاعر في ذكــر ألوانها فيقول : [3] (الكامل)

وصواهلٍ مثلِ العواسل عَدْوُهَا أبداً لحربِ عــدوّك المحــروب

مِنْ كلّ وَرْدٍ ما تشابــه لونَــهُ إلا تــورّدُ وَجْنَــةِ المحبــوب

أو أدهمٍ أحوى الإهابِ كأنّمــا صَبَغَ الغرابَ بلونِــه الغربيــب

ولعل ابن حمديس أخذ صورة هذه الخيل ذات الألوان المتعددة والمستعدة للقتــال والعدو نحو الأعداء من قول كعب بن مالك الأنصاري : [4] (الطويل)

ونُعِدُّ للأعداءِ كُــلَّ مُضمَّــرٍ وَرْدٍ ومَحْجُولِ القوائــمِ أبلــقِ

أمرَ المليكُ بربطِهــا لعــدوّه في الحرب إن الله خيرُ مُوفّــقِ

ويركب الممدوح عند ابن اللبانة جواداً ليحارب به الأعداء يتصف بطول الجســم والقوة، يقول : [5] (الطويل)

ويركبُ في أراحلها ظهرَ شيظمٍ فيحملهم منهم على ظهر شيهمِ

---

[1] عبد المجيد بن عبدون، الديوان، ص179 .

[2] بشار بن برد، أبو معاذ بشار بن برد العُقيلي (ت167هـ/ 783م)، الديوان، شرح وتقديم مهدي محمــد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص310 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص61 .

[4] كعب بن مالك الأنصاري، كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري الخزرجي (ت50هـ/ 670م)، الديوان، تحقيق سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، ص 33

[5] ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة الداني، ص31 .

وهذا الجواد هو نفسه عند شاعر من شعراء المفضليات حيث يقول : [1]

(الكامل)

ولقدْ غَدَوْتَ علَى القَنِيصِ بِشَيْظمٍ كالجِذْعِ وَسْطَ الجَنَّةِ المَغْرُوسِ

وجواد ابن دراج خفيف سريع يشبه القداح من شدة سرعته : [2] (الكامل)

رَبِذُ القِدَاحِ من الرِّماحِ ومَالَــهُ إلا السِّبَاعَ وطَيْرَهــا أَيْسَــارُ

وهذه الصورة مـأخوذة مــن قــول النابغــة الــذبياني حيــث يشــبه خيــــله بالقداح، يقول : [3] (الوافر)

وضمّــرٍ كالقــداحِ مُسوَّمــاتٍ عليهــا مَعشَرٌ أَشبــاهُ جِــنٍّ

وصورة الجواد الربذ السريع أيضاً وردت في قول بشر بن أبي خازم الأسدي : [4]

(الوافر)

علــى رَبــذٍ قَوائِمُــهُ إذا مــا شأَتهُ الخيلُ ينســربُ انسرابا

فشعراء العصر متأثرون في تصويرهم الخيل بمن سبقهم من الشعراء، ولقد أوردنــا بعض هذه الصور في حين أنها كثيرة ولا مجال لذكرها جميعاً، وعلى أيــة حــال فالشاعر الأندلسي يستوحي من ماضيه ومخزونه ما ينتفــــع به في تصويره الخيل ويتكئ على الصور الجميلة التي يجدها عند سابقيه من الشعراء، لكن هذا لا يعنــي أن الشاعر الأندلسي لم يبتكر صوراً جديدة للخيل، بل نجــد عــدداً مــن الصــور الرائعة المنبثقة من تجاربهم الذاتية ومحاولاتهم للتجديد والابتكار، وهــذه الصــور سنتطرق لها في الصفحات القادمة.

---

[1] الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي (ت 168هـ/ 784م)، المفضليات، تحقيــق أحمــد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط4، دار المعارف، مصر، ص106 .

[2] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص245 .

[3] النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني (18ق.هـــ/ 605م)، الــديوان، جمع وشرح وتعليق محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيــع، الجزائر، 1967م، ص254 .

[4] الأسدي، بشر بن أبي خازم (ت22ق.هـ/ 601م)، الديوان، تحقيق عزّة حسن، ط2، منشــورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972م، ص 28.

3.2.4 ثالثـا : تجربـة الشعـراء الذاتيـة :

إن المتأمل لبعض الأشعار الأندلسية في عصري الطوائـف والمـرابطين التـي تحدثت عن الخيل وصورتها، يدرك أن هذه الأشعار والصور تنعكس عن تجـارب الشعراء ومحاولتهم رسم صور تنبثق عمّا يحسون ويشعرون ويتأثرون به .

فالشاعر الأندلسي إنسان يتأثر بما حوله وبالإضافة إلى كونه إنساناً فهـو شـاعر يتميز بسرعة التأثر والرهافة والقدرة على التعبير والتصوير، فإذا مـا تقلّـب فـي أحوال حياته ومرت به مراحل وأزمات وتحققت له أهداف وغايات أو بعدت عنـه آمال وتمنيات، ظهر ذلك في حياته فيكون قلقاً مضطرباً أو مطمئناً فرحاً، وقد يكون بعيداً عن الأهل في غربة ووحشة أو سجن ووحدة، وهو في جميع هـذه الأحـوال يصور ما في نفسه من إحساسات ومشاعر في شعر وصور جميلة مـؤثرة تعكـس موهبته الفنية والأدبية العالية .

ويعبر الشاعر عن هذه التجارب التي يمرّ بها في بعض الأحيان من خلال حديثه عن الخيل التي يضفي عليها أجمل الصور وأروعها، فهذه الخيل تشاركه في أحزانه وأفراحه وفي غربته ووحدته في أنسه ولهوه ومجونه، فتأتي هـذه الصـور جديـدة معبرة عن تجارب ومحاولات للشعراء لم تسبق وإن سبقت فإنها تكـون مرسـومة بأسلوب يختلف عن سابقه .

ولننظر إلى هذه الصورة الرائعة لابن دراج القسطلي التي يرسم فيها صورة لخيل في معركة، ولكنها ليست في معركة قتال وسجال وإنمـا معركـة عشـق وهيـام، فشاعرنا عندما يتغزل ويصف مجلس أنسه وطربه يختار أجزاء من صورة المعركة الحربية ومتطلباتها وهي الخيل، فهذه الخيل اعجفت وأوجفت، ولكن ليس في ميـدان القتال بل في ميدان العشق والغرام، يقول :[1] (الكامل)

أَوْجَفْتُ خَيْلي في الهَوى ورِكابِي وقَذَفْتُ نَبْلِي بالصِّبَا وحِرَابِي

فحين نقرأ البيت نخال أنفسنا في ميدان صراع ونزال، لا فـي محـراب حـب

---

[1] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص279 .

وغرام، وبذلك فإن الشاعر قد حاول أن يعكس تجربته بالحب والعشق في تصـــويره الخيل فخيله خيل هوى وليست خيل قتال .

ويصور ابن خفاجة الخيل في مجلس مجونه معتمداً المزج بين صـــورة الجـــواد وصفات الخمر في صورة موجزة مختصرة، حيث يقول : [1]

(المتقارب)

فَمَهْمَـــا تَيَمَّمـــتُ خَمَّـــارَةً ... رَكِبْـــتُ إلـــى أَشْقَـــرٍ أَشْهَبَـــا

وَحَيَّيْـــتُ حَانَتَهـــا طَارِقـــاً ... فقَالَـــتْ تُجيـــبُ أَلاَ مَرْحَبَـــا

ويصف ابن أبي بشر الصقلي (ت465هـــ) نزهة ليلية قام بها مع لمة من الندماء اصطحبوا فيها كل ألوان اللذائذ والمتع من خمر وجوار وغيره، وركبـــوا صـــهوات الشراب، واطرحوا الحياء والوقار وعزفوا أجمل الألحان وأعذب الأنغـــام فخـــيلهم الخمر فإذا علوا ظهورها صرعتهم في ميادين التصابي والسرور : [2] (الرمل)

وامتطينا للملاهـــي مرحـــاً ... خيلـــــي راح بمنايانا تَـــدور

صرعتنا إذ علونا ظهرهـــا ... في ميادين التصابي والســـرور

وها هو ابن حمديس يجعل دنان الخمر كأنها خيل يمتطي الأشقر منها، فالشـــاعر يصور الخمرة الصافية بالجواد الأشقر الذي يركبه فيجعله في غاية السكر، يقول : [3]

(الطويل)

وأشقرَ من خيلِ الدنانِ ركبتُهُ ... فأصبحَ بي في غايةِ السّكرَ يجْمَحُ

ويعبر الشعراء عن مشاهد الحسرة والضيق والشكوى مـــازجين ذلـــك التعبيـــر بتصويرهم الخيل، فابن خفاجة يشكو همّاً حال بينه وبين النوم وتزاحمت الأفكار في ذهنه وترددت الأسرار على لسانه، ولم يجد مستودعاً لسره في ذلك الليـــل البهـــيم

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص262 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص211 _ 212 .

[3] ابن حمديس، الديوان، ص106 .

سوى جواد أدهم، لونه من لون الليل سرى به رابط الجأس ثابت الجنان لا يبالي بما حوله وهو ينشد : [1] (الطويل)

وَأَدْهَمَ مِنْ لَيْـلِ السِّـرَارِ رَكِبْتُـهُ فَأَوْدَعْتُ أَسْرَارَ السُّرَى صَدْرَ كَاتِمِ

عَلَى حِينَ أَرْخَى الدَّجْنُ فَضْلَ لِثَامِهِ عَلَى كُلِّ أَقْنَى مِنْ أُنُوفِ المَخَـارِمِ

ويتحدث ابن زيدون عن وضعه النفسي وما كان يمرُّ به مـن مظـاهر الضـيق والتبرم بدواعي الأزمة النفسية التي كان يمرّ بها والتي ترتبت علـى فـراره مـن السجن، في طائية نظمها مستشفعاً إلى أبي الحزم بن جهور بالأديب أبي بكر _ كما يسميه أو يكنيه _[2]، فيقول : [3] (الطويل)

ألا هَلْ أتى الفتيـانَ أنَّ فتاهـمُ فريسةُ مَنْ يعدو ونُهزَةُ من يسطو؟

وإنَّ الجوادَ الفائتَ الشَّأوِ صافـنٌ تَخَوَّنَهُ شَكَلٌ وأزرى به رَبْـط

ويتضح من هذه الصورة الموجزة في بيتين من الشعر كيف استطاع الشاعر التحدث عن حالته النفسية والاجتماعية حين نقل صورة الإنسان إلـى عـدد مـن صـفات الحيوان، فهو فريسة ونهزة تسطو عليه الوحوش الكاسرة تريد الفتك به وتحطيمـه، وهو جواد صافن مشدوه من هول ما يرى ويسمع ويجابه في حياته بعد أن أثَّر فيـه السجن . وقد عبَّر عن السجن بالربط وهو في هذا لم يبتعد عن صفات الجواد أيضاً، إذ من المعلوم أن الجواد الأصيل يؤثر فيـه الربط الطويل والحـبس عـن الكـرّ والفرّ والانطلاق باستمرار دون توقف طويل، أو حـبس منفـرد عـن المعـارك والحروب . والصورة في البيتين بصـورة عامة معبرة تمام التعبير عن حالة إنسان شجاع قوي ذي صفات عالية في الثبات والبطولة والنجدة والشهامة، وقـد حبس عن مهمته الأصلية وأبعد عن ميادين الطعن والنزال، وسلط عليـه ضـعاف النفوس الذين لا شأن ولا قيمة لهم في المجتمع [4] .

وبذلك فإن التجربة التي خاضها ابن زيدون هي التي أوحت إليه بهـذه الصـورة

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص259 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص251 .

[3] ابن زيدون، الديوان، ص365 .

[4] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص252 .

البارعة التي صور فيها نفسه جواداً محبوساً لا يستطيع الفرار، مقيداً بـالأغلال التي أذلته وأتعبته .

ومن مشاهد الحسرة والضيق التي تنتاب الشعراء الغربـة والبعـد عـن الأهـل والوطن، حيث تتحول الجياد إلى عدو يتمنى الشاعر أن يقاتله الله لأنه ابتعد به عـن أرض الأحبة أرض العلى والمكارم، يقول ابن عمار معبراً عن غربته وشوقه إلـى ذكرياته في إشبيليةَ :[1] (الطويل)

ألا قاتـلَ اللهُ الجيـادَ فإنّهـا نأتْ بيَ عن أرضِ العلى والمكارمِ

فتجربة ابن عمار في الغربة هي التي أوحت إليه بهذه الصورة التي حـول فيهـا الجياد إلى عدو يتمنى موته لأنه السبب في بعده وغربته .

ولعل ذهاب الشباب وطغيان الشيب على مفرقي الشاعر وما يتبع ذلك من المعاني والأفكار، كالتحسر على الأيام الخالية والذكريات، لعل هذا من المصادر التي توحي للشاعر بعض صوره الناتجة عن تجربته ومعاناته .

ولننظر إلى ابن خفاجة الذي يوظف الخيل لينتدب عهد الصبا، فيصـف الفـرس ويدير معانيه فيها على الشبيبة وفراقها وطيب أيامها، والألم في تذكرها والمطابقـة مع الأمل في الاقتناع بحالة المشيب وتذكر أيام اللهو، يقول:[2]

(الطويل)

وَأَندُبَ عَهْـداً بالمُشقَّـر سَالفـاً وَظِلَّ غَمَامٍ للصِّبَى قَـدْ تَقَشَّعـا
وَلَـمْ أَدْرِ مَـا أَبْكي أَرَسْمَ شبيبَةٍ عَفَا أَمْ مَصيفاً مِنْ سُلَيْمى وَمَرْبَعَا
وَأَبْلَـقَ خَـوَّارِ العِنَـانِ مُطَهَّـمٍ طَويلِ الشَّوَى وَالشَّأْوِ أَقْوَدَ أَتْلَعَـا
جَرَى وَجَرَى البَرْق اليَمَانِي عَشِيَّةً فَأَبْطأَ عنهُ البرقُ عَجْزاً وَأَسْرَعَا

لقد استوحى ابن خفاجة صورة هذه الفرس من صورة عهد الشباب، حيث القـوة والعنفوان والشدة، فجواده الأبلق مطهم نحيف الجسم وطويـل الأطـراف والظهـر والعنق، ويشبه سرعته بسرعة البرق بل هو أسرع منه، فالنشاط والقوة اللذان يتمتع

---

[1] ابن زيدون، الديوان، ص365 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص56 _ 57 .

بهما هذا الجواد يشبهان النشاط والقوة في عهد الشباب ذلك العهد الـذي انقضـى والذي يندبه الشاعر ويتحسر عليه.

وعندما يخوض أبو علي اليماني ــ من الشعراء الذين عاصروا المعتضد في أول خلافته ــ معركة الحب وتفارقه محبوبته، فإن دموعه تتحول إلى خيل تقودها تلـك الحبيبة بلا رفق وتوردها هيجاء الملام، يقول:[1] (الطويل)

تقودُ بلا رفقٍ خيول مدامعـي لتُـورد هيجاءَ الملام وِرادَهـا

وهكذا فإن التجارب التي يخوضها الشعراء في حياتهم سواء أكانـت سـعيدة أم حزينة فإن أصداءها تنعكس على صور الخيل، كأنهم يتخذون من هذه الخيل وسائل يعبرون بها عن مشاعرهم وأحاسيسهم فيضعون عليها من الصور والتشـبيهات مـا يتناسب مع مشاعرهم وأحزانهم ولهوهم وتوجعهم وشكواهم، فتكـون بـذلك تلـك التجارب مصدراً مهماً من مصادر صورهم للخيل ومساعداً لهم يلجأون إليه في أثناء حديثهم عن خيلهم .

3.4 الخصائـص الفنيـة :

لقد تبين لنا بعد أن استجوبنا الشعر الأندلسي في مجال الصورة الشعرية للخيل أنه غني بالصور الموفقة لوضوح المعنى وسهولة اللفظ فهي _ بصفة عامة _ لا تخرج عن صياغات البيان اللغوي وبديعه، فكانت قريبة من الواقع ومأخوذة من مصـادر الطبيعة المحيطة بالشاعر .

ويبدو للناظر في هذه الصور أن الشاعر الأندلسي قد بـذل جهـداً فـي اختيـار الأساليب والوسائل التي يتمّ من خلالها التعبير عن أفكاره ومعانيه في وصف الخيل، وبخاصة فيما يتعلق بالألفاظ وطبيعتها وكيفية اختيارها والملائمة فيما بينهـا، بمـا يحقق إبراز تلك المعاني بالأشكال الزاهية المؤثرة، ومن هنا فقد جـاءت صـورهم للخيل بارعة فائقة الجمال تجمع كل الخصائص التي تجعلها مـن أجمـل الصـور وأحسنها صياغة .

---

[1] ابن الأبار، أبو عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت658هـ/ 1259م)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ج2، ص185 .

ومن أبرز السمات والخصائص لصور الخيل عند شعراء الطوائف والمرابطين محاولتهم الابتكار والتجديد في نسج الصور، أو ربما محاولتهم لإعادة صياغتها بأسلوب يختلف عن سابقه، كما حرصوا على انتقاء ألفاظهم وتعابيرهم مما حقق الجمال والرقة والتأثير لهذه الصور، فجاءت صورهم تتسم بجمال التعبير ودقة التصوير . وفيما يأتي أبرز الخصائص :

1.3.4 أولا : الابتكار والتجديد :

لقد برع الأندلسيون في رسم صور بارعة لخيلهم، فجاءت تلك الصور جديدة مبتكرة، ولا يعني ذلك أن الأندلسيين قدموا صوراً لم يستطع الأوائل أن يقدموها بل يقصد بالابتكار الأصالة في الشعر، وقدرته على تصوير الخيل بحيث ينبيء هذا التصوير عن موهبة الشاعر وتجربته التي تعبر عن حالته الانفعالية تجاه هذا الحيوان المتميز .

وإن كان قد سبق التعبير عن هذا الحيوان وتصويره فإن لكل شاعر طريقته الخاصة في عرض صوره وأسلوب تعبيره؛ أي أن هذا الأسلوب يختلف من شاعر لآخر، يقول أحد الباحثين : " لا يعيب الشاعر أنه تحدث عن تجربة شعورية معينة سبق لغيره أن تحدث عنها، أو ذكر فكرة ذكرها شاعر قبله ، فإن العبرة هنا بطريقة العرض وأسلوب التعبير وزاوية الالتقاط " [1] . على أية حال فقد يكون الأندلسيون ابتكروا صوراً جديدة للخيل لم يسبق لها أن رسمت في الشعر العربي، كما أنهم وإن رسموا صوراً مشابهة للصور التي سبقت فإن التجديد والابتكار يكون في طريقة رسم هذه الصور .

فالشاعر ابن حمديس يقدم صورة حسية لجواده تتعارض فيها الحواس وتتبادل المدركات وظائف بعضها البعض، فهو يصف الفرس مشيراً إلى شدة السمع عنده حتى كأنه في أذنه مقلة يرى بها الأشياء ويرنو إليها من بعيد، بالإضافة إلى بصره القوي الحاد، يقول : [2] (الطويل)

---

[1] نشأت، كمال، في النقد الأدبي، دراسة وتطبيق، مطابع النعمان، النجف الأشرف، 1970م، ص25 .

[2] ابن حمديس، الديوان، ص144 .

ومنقطعٍ بالسّبْقِ من كلّ حلبــةٍ فتحسبه يجري إلى الرهن مُفْرَدا
كأنّ له في أُذْنِــه مُقْلَــةً يَــرَى بها اليوم أشخاصاً تمــرُّ به غــدا
تُقَيَّــدُ بالسبــقِ الأوابــدُ فَوْقَــهُ ولو مــرّ فــي آثارهــنّ مُقَيــدًا

يظهر في هذه الصورة النزوع إلى الابتكار في المعاني والصور، حيث جعل قوة السمع وشدته بمثابة الإبصار بالإضافة إلى البصر الحقيقي وأقام الصورة على فكرة المزج بين وظائف الحواس، وتراسل الحواس هذه الوسيلة التي كثيراً ما شاعت عند الرمزيين الذين يرون أن وظيفة الشعر إنما هي نقل وقع الأشياء من نفس إلى نفس، فالشعر عدوى ونقل حالات نفسية .

ومن مظاهر التجديد في تصوير الخيل المزج الرائع بين هذه الخيــل والأشــياء الأخرى التي تتناسب مع وصفها، " فها هو ابن خفاجة يقدم صورة شــعرية معبــرة تنطق بسمات البراعة والإجادة التي تتمثل في التلوين القائم على المزج بين الصور المادية المتماثلة بصفات الجواد والسيف اللذين اجتمعا وكانا حــائزين علــى أكمــل الصفات الأصلية وسمات الجودة والقوة والسرعة وشدة الإيقــاع بالأعــــداء " [1] ، يقول : [2] (الوافر)

وَمَطْرُوراً أُجَرِّدُهُ صَقِيــلاً وَيَعْبُوباً أَكُــرُّ بــهِ كَرِيمَــا
إذا أَقْبَلْتُهُ سُمْــرَ العَوَالــي فَلَسْــــتُ أَرُدُّهُ إلا كَلِيمَــا
وَقَدْ لَفَّ العدُوَّ كأَنَّ رِيحــاً عَلَى شَــرَفٍ تَلَفُّ بهِ هَشِيمَا
يَشِيمُ به وَرَاءَ النَّقْعِ بَرْقــاً تَأَلَّــقَ شُهْبَــةٌ وَصَفَا أَدِيمَــا
إذا أَوْطَأْتُهُ أَعقَــابَ لَيْــلٍ طَرَدْتُ مِنَ الظَّلامِ به ظَلِيمــا

لقد استعار الشاعر لهذا الجواد في مزج رائع صفات الريح والبرق والليل، ولعل أبرز ما يبدو فيه هذا المزج البارع بين المادة والمعنى في الأبيات الثلاثة الأخيــرة إنه جعل العدو في هزيمته وهروبه من ساحة المعركة، كالهشيم الــذي تلعــب بــه

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص55 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص115 .

الريح على مرتفع من الأرض، وكانت السيوف تلمع خلال النقع كأنها البرق الخاطف وقد زكا أصلها وصفا أديمها [1].

ويمزج الأعمى التطيلي بين صورة الخيل والرماح، فهي تسبح في الحديد وتتخذ من الرماح قروناً تساعدها على المناطحة والمصاولة، يقول : [2] (الوافر)

كآرامِ الصَّرِيمةِ أو مَهاها وليسَ سِوَى الرِّماحِ لها قُرونُ

سوابحَ من غمارٍ في حديدٍ فما تدري أخَيْلٌ أم سفينُ

انظر إلى هذه الصورة الرائعة، فهذه الخيل تشبه الظباء والمها وقرونها كأنها من رماح قوية؛ لذا فإنها من شدة بأسها تسبح في غمار المعركة فيلتبس الأمر على من يراها، فيظن أنها خيل وربما سفن تجري .

ويجمع ابن خفاجة بين الخيل والبحر في صورة رائعة، فهذه اللجة المضطربة المائجة بأحشائها الخافقة وبحركاتها القلقة التي أثارتها الصبا، والشاعر يقف على شاطئها، ما هي إلا فرس قرب من فارس، يقول: [3]

(السريع)

ولُجَّةٍ تَغْرَقُ أَوْ تَعْشَقُ فَمَا تَنِي أَحْشَاؤُهَا تَخْفِقُ

شَارَفْتُهَا وَهْيَ بِمَا هَاجَهَا مِنَ الصَّبَا مُرْبِدَةٌ تَقْلَقُ

فَخِلْتُنِي في شَطِّهَا فَارِساً قُرِّبَ مِنْهُ فَرَسٌ أَبْلَقُ

ومن مظاهر التجديد والابتكار عند شعراء فترتنا تلك التشبيهات الرائعة التي يضفونها على الخيل، ولننظر إلى فرس المتوكل بن الأفطس الذي وصفه النحلي بقوله : [4] (الرمل)

وكأنَّ الصبحَ قد خاضَ بـه فبدا تحجيلُهُ مِنْ بللِهْ

وقال عنه ابن اللبانة : [5] (الكامل)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص55 .

[2] الأعمى التطيلي، الديوان، ص200 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص137 .

[4] المقري، نفح الطيب، م3، ص333 .

[5] المقري، نفح الطيب، ص333 .

لله طِرْفٌ جالَ يــا ابنَ محمدٍ فحبتْ به حوباؤُه التأميــلا
لَمّاَ رأى أنَّ الظّــلامَ أديمُــهُ أهدى لأرْبعِهِ الهدى تحجيلا
وكأنما في الرِّدفِ منه مَبَاسم تبغي هناك لِرِجْلِهِ تقبيــــلا

وقال عنه أبو عبد الله بن عبد البرِّ الشنتريني : [1] (الكامل)

وكأنّما عُمَرٌ على صَهوَاتِــهِ قمرٌ تسيرُ به الرياحُ الأربعُ

يتضح من النظر في هذه الصور المعقودة على وصف الجواد أن الشــعراء قــد اعتمدوا فن التشبيه بالدرجة الأولى، وحرصوا على التنويع فــي ألوانــه وأشــكاله بالجمع بين المحسوس والمحسوس تارة، وبين المعنوي والمحسوس أو العكس تــارة أخرى، بحسب ما تتطلبه الصورة الشعرية لتحقيق المعنى المطلوب [2] .

فالشاعر النحلي شبه الفرس الذي بدا تحجيله في بلله بالصبح المســفر والمنيــر، ونسب الخوض إلى الصبح وهو شيء معنوي، ولكنه جمع إلــى صــفة الخــوض الحسية ونقل إلى معناها فكانت استعارة جميلة معبرة [3] .

وابن اللبانة يشبه هذا الطرف الجميل بالليل المظلم في لونه وهو جميــل يســتحق التقبيل .

ونستطيع أن نلمح من بيت ابن عبد البرِّ أنه استفاد من فكــرة تشــبيه الممــدوح بالقمر، وهي فكرة قديمة في الشعر حيث أوردها في صورته فبدت في ثوب جديــد مؤثر، فالممدوح على ظهر جواده قمر، ولكن هذا القمر تسير به أرجل الجواد التــي لا يشبهها ولا يضارعها بالسرعة إلا الرياح الأربع، وبهذا تألفت الصورة واعتمدت على أعلى درجات السرعة والانطلاق في العدو، فضلاً عمّا تنطوي عليه الصــورة من الجمع بين الصفات المعنوية والصفات الحسية [4] .

وإذا راجعنا صور ابن خفاجة في وصف الفرس نجد أنه حريص على ترصــيع شعره بالتشبيهات والاستعارات، فهو يمزج بين مظاهر الطبيعة وبين صور الخيــل

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص466 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص289 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص290 .

[4] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص290 .

فيستعير للخيل صوراً من تلك المظاهر، ومن أمثلة ذلك هذه الصورة التي يقول فيها : [1] (الخفيف)

أَجَنُوبٌ تُقْتَادُ لِي مِنْ جِنَيبٍ ... أَمْ شَمَالٌ عِنَانُهَا بِشِمَالِي
جَالَ في أَنْجُمٍ مِنَ الحَلْيِ بيضٍ ... وَقَمِيصٍ مِنَ الصَّبَاحِ مُذَالِ
أَشْهَبُ اللَّوْنِ أَثْقَلَتْهُ حُلِيٌّ ... خَبَّ فِيهِنَّ وَهْوَ مُلقَى الجِلالِ
فَبَدَا الصُّبْحُ مُلْجَماً بِالثُّرَيَّا ... وَجَرَى الْبَرْقُ مُسْرَجاً بِالْهِلالِ

هذه الأبيات ناطقة بما فيها من صور واستعارات وتشبيهات، حيث جعل رياح الجنوب منقادة له طائعة ورياح الشمال قد أسلمت عنانها بيده وكانت خاتمة الصور، هذه الصورة التي تحوي حشداً من الاستعارات تمثلت في أن الصبح قد ألجم بالثريا وأن البرق صار جواداً والهلال سرجه، وهذا خلاف ما تعارف عليه الناس في موازين الأدب العربي [2] .

ومثل هذا أو قريب منه قول أمية بن عبدالعزيز أبي الصلت يصف فرساً أشهب اللون، ويسير في وصفه على النهج نفسه من حيث استعارة صفات معنوية إلى المحسوس، أو استعارة الصفات المحسوسة للمعنوي مع المحافظة على جمال التعبير ودقة التصوير والبراعة في الإفادة من عنصر الخيال في تأليف الصورة الأدبية الفنية المعبرة [3] ، يقول الشاعر : [4] (مخلع البسيط)

وأشهب كالشهابِ أضحى ... يختالُ في مذهب الجلالِ
قالَ حسودي وقد رآهُ ... يخبُّ ويختالُ إلى القتال
مَنْ ألجمَ الصبحَ بالثريا ... واسرجَ البرقَ بالهلالِ ؟

والصورة الرائعة الواردة في البيت الأخير، تقترب كثيراً من الصورة السابقة للشاعر ابن خفاجة حتى ليكاد الباحث المتأمل يرجح احتمال اعتماد أحدهما على الآخر، فقد اعتمد كلّ منهما موازين متشابهة في أصل الصورة وعدد من

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص360 .
[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص292 .
[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص292 .
[4] أمية ابن أبي الصلت، الديوان، ص133 .

المصطلحات اللفظية التي استعان بها في صورته، ويذكر أن الشاعرين عاشا في وقت واحد متقارب من القرن الخامس وأوائل السادس.

إن الصورة الواردة في البيت الأول من أبيات أمية بن عبد العزيز استعان لتأليفها بفن التشبيه، فجعل جواده شهاباً ثم نقل الشهاب إلى المحسوس وجعله يختال عجباً وتيهاً [1] .

ومن صور التجديد والابتكار تشبيه الفرس بالنار، فالمهرة الشقراء التي تتسم بالحيوية والنشاط هي النار (بنت الزناد)، فهذه البنت بكل ما تحمله من قوة وإحراق وتوهج وعنف لا يجد لها الشاعر إلا هذه المهرة الشقراء، يقول ابن خفاجة : [2] (الكامل)

وَحَطَطْتُ عَنْ بِنْتِ الزِّنَادِ قِنَاعَهَا لَيْلاً لِسَارٍ تَحْتَهُ مُتَنَوِّرِ

وَمَسَحْتُ مِنْهَا عَنْ مَعَاطِفِ مُهْرَةٍ شَقْرَاءَ تُذْعَرُ مِنْ شَمَالٍ صَرْصَرِ

وهذا الجواد المشرف العالي يشبه النار إذا ارتفع وأسرع في عدوه أما إذا سكت وتوقف فهو كالماء الصافي الساكن، يقول أبو محمد بن سفيان ــ من وزراء القادر بن ذي النون ــ : [3] (الكامل)

ومشرف كالنارِ إن يذهب بــه حَضَرٌ ، وإن يسكنْ فماء سلسل

ولننظر إلى هذه الصورة الجديدة التي تدل على إكرام الأندلسيين لخيلهم، وكثيراً ما تحدث الشعراء القدامى عن هذا الأمر ولكن الأندلسيين يبتكرون صورة رائعة لهذا الإكرام، فالخيل تكرم في مرابطها كما يكرم الرجل من قبل زوجته لأنها تحبه وتبره، يقول " ابن وهبون " [4] : [5] (المنسرح)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 293 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص 50 .

[3] الاصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص 406 .

[4] هو أبو محمد عبدالجليل بن وهبون المرسي، من شعراء دولة بني عباد في إشبيلية، مدح المعتمد وصحبه، قتل على أيدي النصارى بالقرب من مرسية وهو فار بعد أن زالت دولة المعتمد . " ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص472 " .

[5] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص 697 .

وتُكْرَمُ الخَيْلُ في مَرَابِطِهـــا بِرَّ الفَتَاةِ العَرُوبِ بالرَّجُـــلِ

ويبدو التجديد أيضاً في قول ابن خفاجة :[1] (المتقارب)

وَأَقْبَلْتُ وَجْهَ الرَّدَى أَدْهَمـــاً رَمَيْتُ الصَّبَاحَ بِـــهِ فَادْلَهَـــمّ

فالموت يتجسم في صورة جواد أدهم قادر على إعادة الصـــباح المشـــرق لـــيلاً دامساً، فهذا الحصان بنشاطه واندفاعه ، يثير ليلاً من الغبار فيرتد الصباح ليلاً .

ويبتكر الأندلسيون صورة لخيلهم فيجعلونها كالنشوان أو السكران فهي تتبختر في مشيها متأنية كأنها نشوان يتبختر، يقول ابن الزقاق البلنسي :[2]

(الكامل)

تمشي الونى تحتَ الفوارسِ في الوغى متبخترات مِشْيَةَ النَّشْوان

وهذه الخيل أيضاً تشبه السطور في ترتيبها ووقوفها، يقول ابن خفاجة :[3]

(الكامل)

والخَيْلُ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ وبِحُمْرِ أَلْسِنَةِ الظُّبَـــى مَشْكُـــولُ

وقد تأتى الصورة معكوسة فسطور الشعر هي خيل دهم للفارس أبي جعفر، يقول ابن خفاجة :[4] (الطويل)

أَبَـــا جَعْفَـــرٍ لله دَرُّكَ فَارِســـاً بحيثُ سُطُورُ الشِّعْرِ خَيْلٌ لَهُ دُهْمُ

كذلك فإن النجوم تبدو كأنها عسكر من الخيل دخلت وتوغلت في جوف غابة من أجل إقامة الكمين للأعداء، يقول ابن شهيد :[5] (الخفيف)

وكأنّ النجومَ عسكـــرُ خيـــلٍ دخلتْ للكمونِ في جَوفِ غـــاب

لقد قدمنا في هذا العرض الموجز بعضاً من صور التجديـــد والابتكـــار لـــدى شعراء العصر في مجال الخيل، عبّروا فيهـــا عـــن حقيقة مشاعرهم وصـــادق

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص46 .

[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص 269 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص 255 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص 286 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص 513 .

تجاربهم، فامتزجوا بها امتزاجاً كاملاً وانعكست حالاتهم الشعورية على مناظر خيلهم فعبّروا عمّا يحسون به من جمال لتلك الخيل من خلال رسمهم للوحات فنية ناطقة أضفوا عليها أجمل التشبيهات وأرقها .

وأخيراً فربما أن بعض هذه الصور ليست مبتكرة بشكل واضح ولكن التمييز بين الصور الجديدة والأخرى المقلدة المتأثرة مهمة شاقة شائكة جداً كما يقول غرسيا غومس إذ " لا يمكن أن نحلل هذا الشعر إلى مواده الأولى ونقول: هذا أخذه من تراث أجداده العرب القدماء، وذلك ابتكره بنفسه واستوفى فيه طبيعة الأندلس لأن العنصرين متداخلان متشابكان تشابك اللحمة مع السدى " [1]، ولا يعيب الشاعر أن يتأثر بسابقيه طالما هو صادق في التعبير الفني عن تجربته الشعورية وإحساسه الشخصي، لذلك فإن صور الأندلسيين للخيل جديدة مبتكرة في معانيها وأساليبها وتشبيهاتها .

2.3.4 ثانيا : النسيج اللغوي (التعابير والألفاظ) :

تشكّل الكلمة عنصراً مهماً من عناصر البناء الفني للشعر، بل هي ركن رئيسي لأي عمل أدبي " وعامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته الجمالية، والأداء الفني الجميل أساسه الدقة في اختيار الكلمة ووصفها في بيئتها وامتزاجها مع معناها، إذ ليس هو في مجموعه إلا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة " [2] ، فقد " يكون للكلمة الواحدة من الفضل والمزية في موقع من مواقع الكلام ما ليس للكلمة نفسها في موقع آخر، والكلمة هي الكلمة والجرس هو الجرس والحروف هي الحروف" [3] .

والكلمة عنصر من عناصر البناء الفني للصورة بما تحدثه من تناسق في الجو الشعوري والموسيقي والفكري، فيخلق الشاعر من الكلمات صورة شعرية مؤثرة

---

[1] غومس، إميليو غرسيا، الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه، ترجمة حسين مؤنس، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1956م، ص 28 .

[2] بلبع، عبدالحكيم، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ط2، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1969م، ص 216 .

[3] سلامة ، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط2، القاهرة، ص 266 .

فيها الظلال والألوان والحيوية والقوة تلامس مشاعر المتلقي وعواطفه وتناقش أفكاره ومواقفه، " والشاعر العظيم يخلق من الكلمات العادية قطعاً سحرية يمنحها من روحه وإبداعه قوة دفع جديدة، ويعطيها زخماً حيوياً يؤهلها لأن تلامس مشاعره وتعانق عواطفه وتدور حول مداره " [1]، ويحرص الشاعر على انتقاء مفرداته لأنها غايته ومبتغاه في كل عمل فني يقدمه فالكلمات تعني أشياء في ذاتها تنمو كالعشب والاشجار [2] .

وشعراء الأندلس في فترتنا سعوا لانتقاء ألفاظهم واختيارها والتصرف بها، بحيث تخلق هذه الألفاظ صوراً ولوحات فائقة في الجمال والبراعة، وتتميز الألفاظ في هذه الفترة بأنها مختارة بطريقة تجعلها قادرة على التصوير والإبداع، فالشعراء يختارون تراكيبهم وعباراتهم بحيث تخرج كأنها توقيعاً موسيقياً .

والشاعر الأندلسي عندما يصف الخيل فإنه يتوسل إلى حسن اللفظة بانتقاء ما يحمل أكثر شحنة وأوفر إيحاء وأجمل ظلالاً من الكلمات ليزيد من وقعها في نفوس السامعين، وهم يتوخون الدقة في وصفهم فيصفون اللون والشكل والسرعة وغير ذلك، وتتراوح لغة صورهم بين السهولة والوضوح فألفاظهم سهلة تتسم بالرشاقة وإشراق التراكيب وحسن الصياغة، فلغتهم تخدم أفكارهم ومشاعرهم هذا بالإضافة إلى الجزالة وقوة العبارة ومتانة السبك في بعض الصور الأخرى .

والسهولة والوضوح في انتقاء الألفاظ تعني قلة الغريب والبعد عن المعاني والألفاظ الوحشية التي لا تناسب الذوق والطبع، وتبدو هذه الميزة في قول ابن دراج القسطلي : [3] (الكامل)

واحملْ عَلى خيلِ الهوى شيَمَ الصِّبَا واعقِدْ لجيشِ اللَّهوِ أَلْوِيَةَ الطَّرَبْ

لقد صور الشاعر الخيل في هذا البيت مستخدماً أرق الألفاظ وأعذبها، وهي ألفاظ مستمدة من ألفاظ الهوى والعشق، فهي خيل هوى تحمل اللهو واللعب وعليها

---

[1] بدوي، عبده، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر، وزارة الثقافة والإعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، ص 216 .

[2] سارتر، جان بول، ما هو الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1961م، ص3- 4.

[3] ابن دراج القسطلي، الديوان، ص 113 .

فرسان من جنود اللهو رافعين أعلام الطرب، إنها صورة فائقة في الجمال تدل على براعة الشاعر وقدرته على صياغة الألفاظ وسبكها لتصنع أجمل الصور وأرقها .

ولنأخذ صورة أخرى لابن خفاجة قالها في صفة فرس أشهب، يقول فيها : [1]

(السريع)

وَمُشْرِفِ الهَادِي طَويلِ الشَّوَى ضَافِي سَبيبِ الذَّيلِ والعُرْفِ
يُصَرِّفُ الفَارِسُ في لِبدِهِ طِرْفاً به أَسْرَعَ مِنْ طَرْفِ
مُؤَدَّباً لَوْ كَانَ مُسْتَعْبَداً لَمْ يَعْبُدِ اللهَ عَلَى حَرْفِ
مِنْ أَنْجُمِ السَّعْدِ وَلَكِنَّهُ يَوْمَ الوَغَى مِنْ أَنْجُمِ القَذْفِ

فالشاعر _ كما نفهم من أبياته _ أراد أن يعبر عن صفتين مهمتين واضحتين في جواده هما : حسن مظهره وجمال جسمه، وشدة إيقاعه بالأعداء في حركة سريعة وصبر ومصابرة في الحرب والطعن، فعبر عن هذا بألفاظ تعدّ قليلة موجزة بالنسبة للمعاني التي احتوتها وفيما لا يزيد على أربعة أبيات من الشعر، والملاحظة الأهم بالنسبة لموضوعنا أن هذه الألفاظ الواردة في الأبيات ليس فيها ما يحتاج إلى إيضاح، إذ هي من المألوف والمستعمل في التخاطب العربي وبخاصة في ميدان الأدب العربي [2] .

ويعرض ابن حمديس صورة الجواد بشكل يقرب من الصورة السابقة من حيث المعاني والأفكار، فجواده سريع قوي لا يدركه البرق في ساحة المعركة مع جمال مظهره وتناسق أعضائه حتى بدا للناظر إليه كأنه قطعة من زبرجد أو عقيق تتحرك بسرعة وخفة وحيوية، وتتألق للناظر وتبهر بصره وتخلب لبه [3] ، يقول : [4]

(الكامل)

وَمُجَرِّرٍ في الأَرْضِ ذيلَ عسيبِهِ حَمَلَ الزبرجَدَ منه جسمُ عقيق

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص280 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 245 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص246 .

[4] ابن حمديس، الديوان، ص 329 .

يجري ولمعُ البرقِ فـــي آثـــاره من كثرةِ الكبواتِ غيـــرَ مفيـــق
ويكادُ يخرجُ سرعةً مـــن ظِلّـــهِ لو كان يرْغبُ في فراقِ رفيـــق

والصورة واضحة المعالم بينة القسمات تتسم بالسهولة والوضوح فـــي أســـلوبها وشكل تعبيرها، ويكاد يفهمها كل من يملك قدراً قليلاً من المعرفـــة والاطـــلاع فـــي الأدب والشعر، بل إنه حتى لفظة (عسيب) وهي اللفظة الوحيدة التي يبـــدو لأول وهلة أنها غريبة تحتاج إلي شرح وإيضاح [1] _ وهي معروفة في الاستعمال الأدبي شعره ونثره _وتعني " منبت الذنب وقيل منبت الشعر " [2]، وهو المعنى الذي يلائم المقام وينسجم مع المعنى العام للبيت .

وعلى أية حال فإن هذه اللفظة وردت ضمن السياق وهـــي واضـــحة المعنـــى وبخاصة حين أضاف الذيل إليها وهو ما يحدد معناها هنا، إذ نجد لها معاني أخـــرى لا تلائم المناسبة في هذا الشعر، إذا ما رجعنا إلى تتبـــع معانيهـــا المفضـــلة فـــي المعجمات العربية، وربما بلغت السهولة درجة أبعد من هذا إذ نجد الشـــاعر يجمـــع خفة الوزن إلى سهولة الألفاظ ووضوحها وبساطة الشكل مـــع الأســـلوب المناســـب المعبر عن المعاني المطلوبة [3] .

وبالإضافة إلى سهولة الألفاظ والتعابير فإننا نجد بعض الشعراء يتخذون الألفـــاظ الجزلة والتعابير القوية في تصويرهم، فخيل المعارك والقتال خيل صلبة قوية، لذلك فإن وصفها يحتاج إلى كلمات وألفاظ قوية وجزلة قادرة على التعبير عـــن قوتهـــا وصلابتها فهم يستمدون جزالة اللفظ من قوة الخيل، ويستمدون قـــوة العبـــارة مـــن صلابتها، ومتانة التعبير من متانتها، فهذا ابن خفاجة يصف الحصان مستخدماً ألفاظاً غير تلك التي عهدناه يستخدمها في أوصافه الأخرى لأنها ألفـــاظ تتناســـب مـــع طبيعة الشيء الموصوف وهو شيء قوي صلب، يقول : [4] (الكامل)

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي، ص 246 .
[2] ابن منظور، لسان العرب، م1، ص599 (مادة عسب) .
[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي، ص 246 .
[4] ابن خفاجة، الديوان، ص 344 .

وَأَقَــبَّ وَرْدِيِّ القَمِيــصِ بمثلِــهِ خِيضَ الظَّلامُ وَرِيعَتِ الظُّلْمَانُ

يَمشِي العِرَضنَةَ في الطَّرِيقِ كأنَّهُ أَوْمَى يجــذْبِ عِنَانــهِ نَشــوَانُ

فَبَدَا وقد مَلأَ النُّفُــوسَ مَسَــرَّةً وَجَــرَى بما مُلِئَــتْ بــهِ الأَجفانُ

مُتَخَطِّــفٌ مــا شَاءَهُ مُتَعَطِّــفٌ فكأنَّما هُــوَ فــي العِيــانِ عِنَانُ

وَلَرُبَّ يومٍ كَرِيهــةٍ قــد خَاضَــهُ سَبْحاً وَبِيــضُ سُيُوفِــهِ غُــدُرَانُ

تتسم هذه الصورة باللغة القوية المحكمة النسيج يتأنق الشاعر في اختيارها، وقد حرص على الجزالة إلى أبعد مدى فهذا الجواد أقب قوي يرتدي قميصاً من الظــلام يخيف الأعداء ودائماً يقوم بالفعل فهو (متخطف _ متعطف) ويخوض معركة قوية (كريهة) وهي لفظة جزلة تدل على قوة المعركة وشدتها، وهو يخــوض فــي أرض المعركة خوضاً تلك المعركة التي تتلاطم فيها السيوف فتبدو من كثرتها كأنها غدران، وهي لفظة تدل على كثرة أعداد السيوف والمقاتلين مما يــدل علــى شــدة المعركة وضخامتها .

ويستخدم أبو بكر يحيى بن بقي القرطبي في وصفه الجواد ألفاظــاً تقتــرب مــن الخشونة والوعورة، يقول : [1]

(البسيط)

لكن علــى سابــحٍ نهــدٍ مراكِلُهُ مُؤلَّلِ الجيــدِ والأرســاغِ والأذنِ

أقام فــي الحــيِّ أحوالاً وأونــةً يُسْقَى الخليطينِ من ماءٍ ومن لبن

فجاء إذا صَنَعُوهُ وهــو مضطَمِرٌ سامي التّليل مُمَرَّ الخَلْقِ كالشّطَــنِ

يهوي من الأرض أنّى شاءَ راكبُهُ ويتركُ الريحَ في الأريِّ والرّسَــنَ

لقد استعان الشاعر في تصويره لهذا الجواد القوي الذي يشــرب المــاء واللــبن بمجموعة من الألفاظ الخشنة مثل : مراكل، مؤلل، التليل، الأري ... ، فهذه الألفاظ قد تكون غير مستساغة ومفهومة لدى العديد من الناس الذين ليس لهم درايــة فــي الشعر وأساليبه.

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 619

ويرسم ابن حمديس صورة لجواد سريع كريم النسب يشبه العقاب في انقضاضه ويستعمل لذلك ألفاظا غريبة، فيقول : [1] (الكامل)

ولربَّ مُنْتَهبِ المدى يجري به عرقٌ عريقٌ في الجيادِ وَليتُ
ليلٌ حَبَاهُ الصبحُ درهمَ غُرّةٍ وحجولَ أربَعَةٍ بهنّ القون

فكلمة (وليت) تعني العنق أو صفحته، وهي كلمة غريبة وقليلة الاستعمال استخدمها الشاعر في وصفه لجواده الذي امتزج لونه بلون الليل والنهار، واستعمل كلمة (القوت) ليعبر عن سرعة هذا الجواد وتعني سير العقاب أو انقضاضه، وبذلك فإن هذه الصورة تعتمد اعتماداً كبيراً على جزالة الألفاظ وغرابتها .

وها هو الأعمى التطيلي يستخدم صيغة الجمع (الشرر)، وهي لفظة توحي بالقوة والسرعة وتثير الرهبة والخوف، يستخدمها لرسم صورة لخيله تلك الخيل التي تخرج من غبار المعركة مسرعة كأنها شرر تتطاير من الدخان، يقول : [2]
(الكامل)

يَخْرجْنَ من خَلَلِ الغبارِ كأنَّها شررٌ تطايرَ من خلالِ دُخانِ

وتبدو سمة أخرى في اختيار الألفاظ المناسبة المعبرة عن معاني الخيل وهي قدرة الشاعر الفائقة وبراعته الفنية في تحقيق الانسجام بين الألفاظ المختارة والمعاني التي يريد الشاعر عرضها، فنلاحظ كثرة الألفاظ المتعلقة بالألوان كالأشهب والأشقر والأدهم والأبلق، إلى جانب الألفاظ المتعلقة بالزينة وحسن المظهر في ألوان الخيل، كاستعمال ألفاظ الحلي والمطهم والخضاب والأغر والمحجل [3] .وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه الألفاظ وكثيراً ما كانوا يصوغونها في لوحة واحدة، ولنأخذ مثلاً على ذلك قول ابن حمديس في وصفه الخيل المحبوبة والمفضلة، يقول : [4] (الكامل)

وصواهِلٍ مثلَ العواسلِ عَدْوُها أبداً لحرب عدُوِّكَ المحروبِ
من كل وَرْدٍ ما يشابه لونه إلا تورّدَ وَجْنَةُ المحبوبِ

---

[1] ابن حمديس، الديوان، ص 73 .

[2] الأعمى التطيلي، الديوان، ص 196 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص247 .

[4] ابن حمديس، الديوان، ص 61 .

وكأنمـــا كبرت ذخيرةُ عتقِـــهِ منه عباب البحرِ في يعبـــوب
أو أدهمٍ أحوَى الإهاب كأنمـــا صبغَ الغرابُ بلونِهِ الغربيـــب
أرساغُـــه دَرْدٌ علـــى فِيروزج لانَ الصقا من وَقْعِها لصليـــبِ
أو أشهب مثل الشهابِ وَرَجحِهِ صافي الضلوع أقبّ كاليعسوبِ
لا فرقَ ما بينَ الصّباحِ وبينـــه إلا بعـــدُوٍ منـــه أو تقريـــب
أو أصفر مثـــل البهـــارِ مُقَّـــرٌ بسوادِ عُرْفٍ عن سوادِ عسيبِ
لو أشعث للنـــارِ فيـــه شُعلـــةٌ تُذْكَى بريح منه ذاتِ هبـــوب
وكأنما سكرَ الكميـــتُ بلونِـــهِ فلـــهُ بمشيتِه اختيالُ طـــروب

وكثيراً ما فصّل الشعراء بذكر صفات وألوان الخيل من أمثال ابن خفاجة وأبـــي بكر بن الملح والرمادي وغيرهم، فقد استعملوا ألفاظاً لرسم صور ناطقة مبينة لكـــل ما تتصف به الخيل من جمال وحسن مظهر .

ونجد الشعراء يستخدمون ألفاظاً متعلقة بقوة الجواد وجلده وصبره وسرعته، مثل ألفاظ البرق الخاطـــف والرعد القاصف والكوكب اللامع والنجـــم المتألـــق الـــذي ينقضّ بسرعة فيخطف الأبصار ويأخذ الألباب، وهو يطوي المشرق والمغرب فـــي سرعة مذهلة وقوة ومقدرة فائقة . ومما يتصل بهذا استعمال الشاعر ضمن الأسلوب عبارات أدبية فنية تقوم على التشبيه والاستعارة من ألوان علم البلاغة، مثل قـــول الشاعر عن الجواد بأنه ملجم بالثريا أو مسرج بالهلال، وفي هذا دلالة على الـــذوق الأدبي السامي للشاعر الأندلسي وموهبته الفنية في تأليف الصور وجمـــع الأجـــزاء على أسس فنية وجمالية لا تخفى على المطلعين [1] .

أما في ميدان القوة فالجواد ضيغم وأسد، هذا فضلاً عن الحشد الضخم من الألفاظ الرئيسية التي لا بدّ منها في وصف الخيل، وهي تمثل الأجـــزاء المتعلقـــة بـــالجواد وبخاصة والخيل بعامة سواء منها ما يتعلق بأعضاء هذا الحيوان أم مظهره الكامل، وهو معدّ للانطلاق في ساحة الحرب والطعان وذلك على نحو ما نقرأ في عدد مـــن

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص248 .

الأبيات والقصائد الوصفية، مثل : العنان واللثام والسرج والقوائم وضمور البطن وصغر الأذان وغير هذا كثير [1] .

وبهذا فإننا نستطيع القول أن الشاعر الأندلسي استخدم جملة وافرة من المصطلحات والألفاظ ذات الدلالات المتنوعة في وصفه الخيل، ومن خلال هذا الحشد من الألفاظ التي أشرنا إليها على سبيل المثال لا الحصر يمكننا القول إن وصف الخيل عند الأندلسيين قد احتوى على ما يشبه المعجم للألفاظ الخاصة الملائمة لرسم صور الخيل ووصفها، وهذه الألفاظ واضحة وظاهرة يمكن الوقوف عليها بسهولة ويسر بمجرد إلقاء نظرة سريعة على النماذج الشعرية الكثيرة التي أوردناها في هذا البحث، ولا يفوتنا التنويه بأن هذه الألفاظ على كثرتها ووفرتها وسهولتها وجزالتها يمكن إدراج عمومها وأغلبها ضمن الألفاظ المعروفة والمتداولة والمستعملة لدى الأدباء والشعراء في مختلف العصور والفترات في المشرق والأندلس، ولا يمكننا أن نستبعدها عن معجم ألفاظ الشعراء القدماء الوصافين للخيل على مرّ العصور .

3.3.4 ثالثا : جمال التعبير ودقة التصوير :

بعد أن حاولنا عرض الصورة الفنية للخيل وتبيان أهم سماتها وخطوطها العريضة، فإنه لا بدّ من النظر في جمال التعبير ودقة التصوير في هذه الصورة، فكلّ شاعر يسعى إلى تزويق صورته بتعابير وألفاظ وأساليب ومعان وأفكار؛ لكي يكون نصه الشعري جميلاً في تعبيره دقيقاً في تصويره معبراً عن مشاعره وانفعالاته .

إن جمال التعبير ودقة التصوير لا يمكن أن يتحقق في النص إلا إذا توافرت فيه جملة أمور فنية تتعلق بشكله الظاهري وبعباراته وأوجه ارتباط هذه العبارات، ثم الألفاظ التي احتوتها وطبيعتها وخصائصها والسمات التي نشأت عن اختيار

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 248 ـ 249 .

المناسب منها، في كل موضوع وظرف تحقيقاً للمعنى المراد بأبهى صورة وأجمل حلة [1] .

لقد وصف الأندلسيون الخيل وأكثروا من ذلك وأبدعوا فيه وكانت صورهم تتسم بالسمات التجديدية والتعابير الجميلة المستحدثة والأفكار المبتكرة أو المطروقة سابقاً، فجاءت هذه الصور جميلة في تعبيرها دقيقة في تصويرها، بحيث تعبر عن أحوال الخيل أو الجواد وتصفه بدقة وتجلب أجمل التشبيهات المناسبة لذلك، وقد تمتزج هذه الصور بصور من الطبيعة الأندلسية الأخاذة .

وكما مرَّ سابقاً فإن ابن خفاجة من أشهر شعراء الأندلس وصفاً للخيل،" فهو يعدّ رائداً في ميدان وصف الخيل وقائداً مبرزاً في تصويره لها، حيث نجد له صوراً فنية دالة على ذوق أدبي رفيع وطبع أصيل بديع وخيال محلق قائم على
سعة الإدراك وشمول الفهم وطول الباع في فهم المشاعر والأحاسيس والقدرة على ترجمتها إلى لوحات فنية بلغت درجة عالية من جمال التعبير ودقة التصوير " [2] ، هذا بالإضافة إلى النماذج الوصفية الأخرى للعديد من الشعراء مثل ابن حمديس وابن زيدون وابن الزقاق البلنسي وأمية بن عبد العزيز أبي الصلت وأبي بكر بن الملح وآخرين أوردنا نماذج كثيرة من أشعارهم في الصفحات السابقة، وكانت معظم لوحاتهم الوصفية للخيل تتسم بدقة التصوير وجماله .

ففي بائية مدحية غزلية طويلة يعرض ابن الزقاق البلنسي مجموعة من المعاني الوصفية لجواد، ويبدأها أولاً بلوحتين فنيتين يعرضهما بإيجاز واختصار مستعيرا صفات الجواد لمحبوبته حتى إذا أراد التعبير عن كثرة همومه واستغراق تلك الهموم لمشاعره وأحاسيسه في الليل والنهار أتى بهذه الصورة الجميلة المعبرة [3]، قائلاً : [4]

(السريع)

أشبه غَمّاً يومُهُ ليلَهُ حتى استوى الأدهمُ والأشهب

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي، ص294 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص295 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص298 .

[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص80 .

مشيراً بذلك إلى أن النهار بضوئه ونوره قد استمال ليلاً بكثرة الهموم والأحـزان حتى أشبه الليل بظلمته، ولم يعد فرق بينهما على ظهور هذا الفرق ووضوحه دائماً، وإذا كان كل منهما قد أشبه لوناً من ألوان الجواد فإن الفكرة هي تساوي هذه الألوان على الرغم مما بينهما من اختلاف وتباين [1] .

وفي البيت العشرين من القصيدة نفسها يعرض الشاعر نفسه صـورة مـوجزة سريعة أخرى عن العلاقة بين أحوال الإنسان وصفات الجواد باعتباره أكثر عناصر الطبيعة الحية لصوقاً بالإنسان وصلة به، فيقول في ذلك : [2] (السريع)

أَسرِي إلى العليا بها في الدُّجَى وَفَـوْدُهُ من شُهْبِـهِ أَشْهَـبُ

إن فكرة ظهور الشيب في رأس الإنسان ليست جديدة بل هي قديمة معروفة لـدى الشعراء المشارقة بعامة كذلك لدى شعراء الأندلس، ولكن عرض هذه الفكـرة مـن خلال المزج بين الشجاعة والقوة وشدة البأس في جميع الأحوال والظـروف لـيلاً ونهاراً، ثم استعارة شعاع الشهب لكثرة الإيقاع بالأعداء ليلاً، حيـث يبـدو الظـلام وابيضاض فود الممدوح من هذا الشعاع حتى يصير لونه لون الجواد الأشهب، كـل هذه الملامح والسمات التي تلونت بها الصورة وألفت بها الفكرة وأخرج بها المعنـى لا يخلو من نزعة تجديدية في طريقة العرض وكيفية التعبير وأسلوب التصوير [3] .

وبالإضافة إلى ما احتواه هذا البيت فإننا نقرأ في القصيدة نفسها جملة من الأبيات، يعبر فيها الشاعر عن حبه لممدوحه ويؤكد صفاته من خلال إضفائه صفات رقيقـة معبرة على جواده مستخدماً التلوين والحركة في تصويره لهذا الجواد، مما يضـفي على هذه الصور البارعة دلالات جمالية رقيقة ودقيقة تعبر عن مدى ذوق صـاحبها وسعة اطلاعه وخياله، يقول الشاعر : [4] (السريع)

يختـــرقُ النَقْـعَ علـى أشقـــرٍ ينقضُّ منه في الوغى كوكـــبُ
يطيـرُ في الحُضْـرِ بـه أربـعٌ يُطْوي لها المشرقُ والمغـــربُ

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص298 .
[2] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص81 .
[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص299 .
[4] ابن الزقاق البلنسي، الديوان، ص84 _ 85 .

صهيلُــهُ عـــن عِتقِــهِ مُفْصِــحٌ وخَلْقُهُ عــن سَبْقِــهِ مُعْـــرِبِ
لــو طلــبَ العنقــا علــى متنــهِ راكبُــهُ مــا فاتَــه مَطْلَـــبُ
الريــحُ تكبــو خلفَــهُ فــي ونــىً والبرقُ من سرعته يعجـــبُ
يُزْهَــى بــه كــلُّ زُهَــا جحفــلٍ مَجْرٍ ويزدانُ بــهِ المِقْنَـــبُ
لــه تليــلٌ مثــلُ مـــا ينثنــي غُصْنٌ به ريحُ الصَّبا تَلعــب
وحافــرٌ إن يــكُ ذا خُضــرةٍ فالجــوُّ مــن عِثْيِــرَهِ أكْهَــب
يحمــلُ فــي صهوتِــه ضيغَمــاً ليس سوى السيفِ له مِخلــب
قرَّبَـــهُ مـــن كــلِّ أُكرومــةٍ مُهنَّــدٌ أو سابــحٌ مُقَـــرب

والمتأمل في هذه الصورة يدرك ما قامت عليه من التأكيد على أوصاف الجــواد وما تنطوي عليه من التفصيل والاستقصاء لصفات هذا الجواد، التي حاول الشــاعر أن يجعلها جميعاً تنطلق من الصفة الرئيسية العامة، وهي ســرعة الجــواد وقوتــه وقدرته على تحقيق النصر لصاحبه على أعدائه وإبلاغه أسمى غاياته مهما كانــت بعيدة المنال صعبة التحقيق [1] .

لقد عبّر الشاعر في كل بيت عن معنى أو لوحة فنية بارعة تدل على حسن الذوق وسلامة الطبع ومعرفة واسعة، تعتمد الثروة اللغوية والأدبية الواسعة مع الخيال الذي يجلل الصور ويضفي عليها سمات الجمال التي لا تخفى . فصهيل الجــواد معــرب عن كرم أصله، وخلقه دال على سبقه وتفوقه، بل إن الشاعر يذهب إلى أبعد من هذا حين يجعل الريح تكبو خلف هذا الجواد لا لوعورة الطريــق ولكــن عــن ضــعف وتخاذل منها أمام سرعته وانطلاقة .

ويمضي الشاعر في تأليف الصور وابتكارها،فيجعل البرق يتعجب من سرعة هذا الجواد فماذا بقي إذن إذا كانت الريح تكبو دون اللحاق بالجواد والبرق يقف مشدوهاً متعجباً من سرعته، ثم نجد أن الشاعر يحاول أن يمضي في تداعي صوره ورســم لوحاته الفنية التي تنطلق من موضوع واحد رئيس، فيصف بعض أعضــاء الجــواد وأجزاء جسمه بما ينطوي عليه كل جزء من دواعي الجمال والرقة وحسن المظهــر

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص300 .

والتناسق، فيصف من ذلك أثر حافره في الأرض وما يثير من الغبار حتى الجو أكهب مع أن ذلك الحافر ذو خضرة، وكان الشاعر قد وصف عنق الجواد وقدرته على التحرك والتمايل في الحرب والطعان وتحاشي الضربات، وتمكين صاحبه من الإيقاع بأعدائه حتى أشبه بذلك الغصن المياد الذي تحار الريح في وجه التأثير عليه [1].

وأخيراً فإن الشاعر لا يغفل في لوحته هذه الممدوح بل نجده يجعله أسداً يمتطي صهوة الجواد، وهو قادر على تحقيق كل غرض لأنه يملك سيفاً وجواداً قد جمعا كل صفات القوة والشدة .

لقد حرص الشاعر على جعل جواده موطن الزهو والفخر لا لفرد واحد أو للفارس الذي يمتطيه فقط وإنما لجحفل جرار أو جيش لجب، وهو بهذا يجعل الجواد القوي السريع الحائز على الدرجات العالية من القوة والسرعة والجمال وكرم الأصل، يجعله سبباً في نصر جيش بعينه ويدفعه إلى الفخر والاعتزاز به [2] .

ومن الصور الرائعة التي تنطوي على جمال في التعبير ودقة في التصوير قول أبي بكر بن بقي حيث جاء بتشبيه جديد ودقيق، إذ يشبه الفرس بأنثى العقاب والفارس بالأسد، يقول : [3] (البسيط)

من كلِّ سابحةٍ طارتْ بفارسِها كأنّها لقوةٌ في عطفِها أسد

ويرسم ابن خفاجة لوحة فنية لجواده الذي أكد أنه سريع، واستخدم في ذلك ألوان وأساليب فصّل من خلالها صورة الجواد، وأضفى عليه أجمل الصفات، يقول: [4]

(الكامل)

وَأَقبَّ يحتمِلُ الصَّباحَ إذا مَشَى شِيَةً وينتعلُ الرِّياحَ إذا جَرَى
قَدْ باتَ يحملُ لبْدُهُ ظَبْيَ النَّقَى رَكْضاً ويحملُ لِبْدُهُ لَيْثُ الشَّرَى
وَحَثَا التُّرَابَ عَلى الصَّبَا فكأنّما أَزْجَى هُنَاكَ غَمامَةً بَرْقٌ سَرَى

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 300 _ 301 .

[2] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص301 .

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، ص923 .

[4] ابن خفاجة، الديوان، ص257 .

وَاسْتَرْجَفَ الأرضَ الفَضَاءَ هُويُّهُ فَكَأَنَّ رُكْناً خَرَّ فيها مِـن حِـرَا
مَزَّقْتُ مِنْ خلَـعِ العَجَاجَةِ فَوْقَـهُ ثَوْباً بأطرافِ الرِّماحِ مُدَثَّـرَا
وَصَرَخْتُ يَا لَبني رُحَيْمٍ صَرْخَـةً فَالْتَفَّتِ الأمْجَادُ حَوْلي عَسْكَـرَا
مِـنْ كُلِّ طَلْقِ الوَجْهِ تَاهَ جَـوَادُهُ زَهْواً بِعِـزَّةِ رَبِّـهِ فَتَبَخْتَـرَا

هذه الصورة الفنية المعبرة اعتمدت في تصوير سرعة الجواد وقوته على ظاهرة المزج بين صفات الإنسان وصفات الحيوان، ولا يقلل فيما نـرى مـن قيمتهـا أن الشاعر قد جعل الجواد ينتعل الرياح، أو أنه أكد على صفات الممدوح مـن خـلال صفات جواده بشكل واضح، هذا وقد جعل الشاعر جواده يحثو التراب على الصـبا ويخرج من خلالها كما يخرج البرق الساري في الليل من الغمامة السوداء المثقلـة بالماء [1].

لقد كان ابن خفاجة بارعاً في تعبيره عن قوة ذلـك الجـواد، حيـث أن الأرض الواسعة الفضاء ترتج من تحت أقدامه عند هويه عليها، حتى كأن ركناً عظيمـاً قـد خرّ من شدة حركة الأرض وارتجاجها، ثم تتوالى الصور بعد ذلك على نحـو مـا يلاحظ المتأمل في الأبيات : فالغبار الكثيف صار عجاجة بدت كأنها الثوب المنسوج المتراص مزقته الرياح القوية العاتية، فأصبح قطعاً مبعثرة علـى رؤوس الرمـاح العالية، ويختم الشاعر صورته ببيتين يجعل المعنى فيهما حـول المـديح والتغنـي بالأمجاد، ومحاسن الآباء والأجداد التي تشكل العسكر اللجب الذي ينطلق مسـتجيباً للصرخة القوية المخلصة الصادقة بوجوه طلقة وخيل تتيه متبخترة بعزة خالقهـا ذي القوة والمنعة والعزة المطلقة .

وقد ختم الشاعر صورته بوصف الجواد مرة أخرى، حيـث ربـط بينـه وبـين الفرسان والرجال الأشداء الأقوياء الذين يتسمون بالخلق القويم وينتسـبون لأصـل كريم، كأن الشاعر يريد أن يجعل الجواد كريماً أصيلاً مثل هؤلاء الرجال .

ويدقق ابن خفاجة النظر في جواده الأشهب، فهو ناصع القرطاس فيأتي بصـورة دقيقة معبرة تنمّ عن قدرته على التصوير وصياغة الكلام، حيث يصور جواده كأنـه

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص302 .

اغتسل بماء الصبح وأخذ لونه من لون الصباح فغدا أشهب مؤتلقاً، يقول : [1]

(البسيط)

وَأَشْهَبٍ نَاصِعِ القِرْطَاسِ مُؤْتَلِقٍ كَأَنَّمَا خَاضَ مَاءَ الصُّبْحِ فَاغْتَسَلا

ويستعين ابن خفاجة مرة أخرى بمظاهر الطبيعة وخصائص الإنسان، فيضفيها على جواده السريع القوي، فيرسم لذلك الجواد لوحة فنية ترسم حركته وتبين صفات جسمه حتى يبدو في أبهى صورة، يقول في مديح صاحب قرطبة أبي الحسين ابن الربيع : [2] (الكامل)

وَمَشَى يتيهُ بهـا اختيالاً أجْـرَدٌ في شُقْرَةٍ لونه لو سَالَ سَالَ نُضَارَا

تَسترْقصُ الأعطافَ مِنْ طَرَبٍ به شِيَةٌ تدورُ على العُيُونِ عُقَـارَا

لو كُنْتَ شَاهِدَهُ وقد مَـلأَ المَـلا رَكْضاً وَشَدَّ على الكَمِـيِّ حِضَـارَا

لَرَأيتَ فيما قَد رَأيتَ وقـد بَـدَا نَاراً تكـونُ إذا جَـرَى إعصَـارَا

أَسْتَعْطِفُ الأَسْمَـاعَ إطـرَاءُ لـهُ في صُورَةٍ تَسْتَعْطِفُ الأَبْصَـارَا

فالشاعر هنا لا يكتفي بالصور المعروفة عنده وعند غيره من الشعراء والأدباء، وهي صورة اختيال الجواد وبخاصة إذا كان أجرد من غير سرج وإنما يجعل من شقرته نضاراً يسيل إذا سار أو انطلق، ثم إنه يزيد في وصف لونه واختلاط الألوان الجزئية المكونة له بأن يجعل تحركه أشبه بالعقار الذي لا يدور على الأفواه كما هو متوقع معروف، وإنما يدور على العيون ويطوف بالأبصار [3] .

ويتطرق الشاعر إلى حركة هذا الجواد، حيث أن لها أثراً على ما حولها فهذا الجواد المتحرك يملأ الجو من حوله جلبة وصياحاً كما يشغل الملأ بحركته وشدة إيقاعه، فهو أشبه بالنار والشرر عند انطلاقه، ثم لا يلبث أن يتحول إلى إعصار شديد في حال ذلك الانطلاق، والصورة الجميلة التي تبدو في التعبير عن سرعة انطلاق الجواد بالبرق الخاطف والنار المحرقة والشهاب المنقض، ثم تشبيه الاستمرار بتلك السرعة مع البطش والشدة بالإعصار الشديد المدمر، إنها فيما نرى

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص208 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص143 .

[3] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص303 .

صورة مبعثرة ذات سمات بارعة وجمال مؤثر [1] .

وهذا الجواد يشغل البصر بحركته وسرعته وقوته وجمال منظره وحسن تصرفه، كما إنه يشغل السمع بحسن صهيله، وبذلك فإن السمع والبصر وجميع الحواس تشترك في متابعة هذا الجواد ورصد حركاته وحسنه وجماله .

ومن الصور الأخرى عند ابن خفاجة صورة معبرة حيث يعطي فيها البصر هذا الشيء المعنوي، يعطيه أبعاداً ملموسة، حيث صوره بالحصان وأعطاه صفة الحرون، فهذا الصبر الذي لا يؤاتي صاحبه ما هو إلا حصان لا يطيع فارسه : [2] (الطويل)

وَسَاقٍ لَخَيْلِ اللَّحْظِ في شأْوِ حُسْنِهِ جِمَاحٌ وَبِالصَّبْرِ الجَمِيلِ حِرَانُ

ولدقة التعبير عند ابن خفاجة نجده يصور النظر بأنه جواد مطال له العنان فيقول : [3] (المتقارب)

وَمِثْلُكَ مَدَّ يَمِينَ النَّدَى بِعِلْقٍ يُطِيلُ عِنَانَ النَّظَرْ

وتتسم بعض الصور عند ابن حمديس بدقة التصوير وجماله، فنجده يصف فرساً أدهم للمعتمد فيضفي عليه صفات البهاء والجمال والاختيال ويجعله قوياً سريعاً يوقع بالأعداء وينتصر لصاحبه، يقول : [4] (الطويل)

ومُنغمسٍ في صبغةِ الليلِ يَمْتَطي إلى أجل الآسادِ قَيْدَ الأوابد
يختِّم يمناه قبيعةُ صارم كما قد طغى من سُنْبُلِ الهام حاصد
يكرّ فكم جسمٍ على الأرضِ ساقطٍ صريعٍ وكم روحٍ إلى الجوِّ صاعد

تحوي هذه اللوحة الفنية من المعاني ما يكاد يعبر عن نفس الشاعر وتفصح عن مواطن الجمال والرقة في أبيات الصورة التي لا تتجاوز ثلاثة أبيات، ولكنه أودع فيها ثلاث صور للجواد : أولاها تتعلق بمظهر الجواد ولونه فهو أدهم أسود كأنه منغمس في ليل، وهو ربط قائم على فكرة مطروقة لدى الشعراء ولكن وجه الربط

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص204 .

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص235 .

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص272 .

[4] ابن حمديس، الديوان، ص137 .

فيه طرافة، والثانية تتعلق بالفارس الذي قد حمل بيمناه صارماً بتاراً يحصد الهام كما يحصد المنجل باليد القوية السريعة الزرع، وأما الثالثة فلعلها قد جمعت بين الفارس وجواده لتعبر عن شجاعتهما وقوتهما بحيث إذا كرّ الفارس تساقطت أشلاء القتلى على الأرض وتصاعدت أرواحهم إلى الجو [1] .

لقد جمع الشاعر في صورته هذه بين القديم والجديد، فالسبق والقدم صفتان عرفتا عند العرب القدماء بقيد الأوابد، ثم أخذ الشاعر من بيئته الأندلسية الجديدة بعض الصفات فأنتج صورة رائعة تعتمد على اللون والقوة والسرعة والتأثير في الحرب، وكان كما عبّر عنه بعض الباحثين " فرس حرب قد جمع الشاعر في وصفه بين القديم والجديد فمن القديم قيد الأوابد، ومن الجديد الأندلسي ما نلحظ من أثر للطبيعة حيث استغل قبيعة الصارم والسنابل والحصاد ... " [2] .

ويصور الأعمى التطيلي خيل علي بن يوسف بن تاشفين، وهي تشترك في المعارك ويصف سرعتها في صورة معبرة تدلّ على قدرة الشاعر وذوقه الرفيع، فهذه الخيل تهبّ كما تهبّ العواصف القوية حتى أنها لا تسكن ولا تتوقف : [3]

(الوافر)

وقد هَبّتْ عتاقُ الخيلِ فيها عواصفَ لا يُتاحُ لها سكون

ومن الصور الدالة على البراعة والجمال هذه الصورة التي يرسمها "أبو بكر بن الملح" [4] لجواده، فيمزج بين صفات هذا الجواد وحيوان آخر، فيقول : [5] (الطويل)

خوافقُ قد ريشتْ بأجنحةِ الهدى فطارتْ ببحرِ الرّوم كلَّ مطارِ

فهنَّ بشدِّ الجري عِقْبانُ شاهقٍ وهنَّ بألحانِ الصّهيلِ قماري

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص305 .

[2] شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص147 _ 148 .

[3] الأعمى التطيلي، الديوان، ص203 .

[4] هو أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي الإشبيلي، من أهل شلب، يعرف بابن الملح، مدح المعتضد والمعتمد، وتوفي سنة 500هـ/1106م . " ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص455 " .

[5] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص463 .

بكــلٍّ مبــاهَ بالسِّــلاح كأنَّمــا يجرُّ من الخطيِّ فَضــلَ إزار

نلاحظ في هذه الصورة براعة الشاعر في المزج بين صفات أكثر من حيــوان، فهو يصف الخيل ولكنه حاول أن يجعل سرعة جريها وقوتها بالعقبان التي تحلق في أعالي الجو ولا تدرك، أما صهيلها فهو ألحان مؤثرة أشبه بألحان القمريات، هذا بعد أن أعطى صورة عن وضعها فهي تطير بأجنحة الهدى كأنهــا ســحرت بسحــــر الروم [1] .

ولننظر إلى هذه اللوحة الفنية التي رسمها "ابن فتوح" [2] لجــواده الــذي يفــوت الطرف في سرعته، فنجده يقدم لنا صوراً عديدة لهذا الجواد فيقول : [3]

(الكامل)

طِرْفٌ يفوتُ الطَّرْفَ شأواً عدْوه ويضيقُ وُسْعُ الأرضِ عند مجالِهِ

يبدي ســوادَ الليل فــي ادبارِهِ ويريكَ وَجْهَ الصُّبحِ فــي إقبالــه

مُتبختراً تيهــاً كــأنّ لجامَــهُ إكليلُ كسرى لاحَ فــوقَ قذالــه

إن هذه الأبيات تحوي ثلاث صور لهذا الجواد، فهو أولاً سريع يســبق ســرعة طرف العين أو الغمض، كما أن الأرض تضيق على وسعها عند جريه، والصــورة الثانية تبدو في لون هذا الجواد فقد امتزج لونه بين السواد والبياض، فعنــدما يــدبر يبدو أسود كالليل وعندما يقبل يبدو أبيض كوجه الصبح، ثم تأتي الصورة الثالثة التي توحي ببراعة الشاعر حيث إنه أتى بصورة جديــدة بارعــة دقيقــة فــي التعبيــر والتصوير، فهذا الجواد يلبس لجاماً ويمشي متبختراً كأنه كسرى ملك الفــرس وقــد ارتدى إكليل الملك .

إن المتقصي لصور الخيل عند الأندلسيين يدرك مدى دقة التصوير وجمال التعبير فيها، فهم يسعون لرسم صور بارعة لتلك الخيل التي طالما شغلتهم وشغلت ملــوكهم

---

[1] خضر، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص309 .

[2] من رجال الذخيرة ، واسمه أبو المطرف عبدالرحمن بن فتوح، سكن قرطبة، وله كتاب اسمه (بســتان الملوك) رفعه إلى ابن جهور أيام إمارته بقرطبة . "ابن بسام، الذخيرة،ق1،م2، ص762 " .

[3] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص468 .

وأمراءهم؛ لذلك فقد أكثروا من وصفها والحديث عنها وبرعوا في ذلك وحاولوا التجديد فيها ولعل ما قدمناه من نماذج لهذه الصور يكشف عن جمالها ودقة التعبير فيها .

الخاتمة :

لقد انتهى موضوع هذه الدراسة على الخطة التي وُضعت له وأصبح بشكل وحدة عامة تجمع أشتاته، وتلم ما تفرق منه، وقبل أن أنهي هذا البحث لابدَّ من الإشارة إلى أبرز الجوانب التي عالجتها في هذا الموضوع والنتائج التي توصلت إليها .

إن البحث استطاع إثبات أن وصف الخيل والحديث عنها يشكل جانباً مهماً من جوانب الشعر الأندلسي عبر فترة الطوائف والمرابطين، فقد امتلأت دواوين الشعراء المشهورين في هذه الفترة بالحديث عن الخيل وتصويرها، وفي مقدمتهم ابن زيدون وابن حمديس وابن خفاجة وابن الزقاق البلنسي والأعمى التطيلي وغيرهم، مع اختلاف أشكال التعبير وأساليب التصوير عند كل شاعر، وتباين تلك اللوحات الفنية التي رسموها للخيل التي استخلصوها من موازين البيئة الأندلسية والشخصية الأندلسية، بالإضافة إلى معرفتهم الواسعة وثقافتهم العربية الأصيلة في ميدان الأدب والشعر، فضلاً عن الميادين الثقافية الأخرى .

وقد استطاعت الدراسة الكشف عن أهمية الخيل في المجتمع الأندلسي ودواعي الاهتمام بها في فترة الطوائف والمرابطين، فقد تبين أن الأندلسيين لم يكونوا يعاملون الخيل كسائر الحيوانات، بل عاملوها معاملتهم بني البشر، وأعزوها واعتنوا بها، فقد كانوا يقدمون لجيادهم اللبن ويسقونها الماء العذب؛ ذلك أنها وسيلتهم الأولى في الحرب والصيد والتنزه والسفر .

والخيل لها دور عظيم في الحروب والمعارك؛ لذا فقد نسب الشعراء إليها كل عمل من الأعمال الحربية، فهي التي تحمل عدة المحارب وسلاحه وهي التي تقتل الأعداء، وتكرّ عليهم، وتجهز على الجرحى، وتشتاق للقتل، وتجهد نفسها ولا تفرّ إذا حمي الوطيس في المعارك مهما نالها من الألم والطعن، فهي شجاعة كفرسانها بل ربما كانت أكثر منهم شجاعة .

وكشفت الدراسة عن دور آخر للخيل، فهي وسيلة الأندلسيين الأولى في حلهم وترحالهم، عليها يسافرون وبها يجتازون الصعاب ويقطعون الفلوات، وبواسطتها يتنزهون ويصلون إلى الملوك والأمراء، ويمتطونها ليصلون إلى من يحبون، كل ذلك كشفه الشعر الذي قيل في وصف هذا الحيوان .

واستطاعت الدراسة أن تكشف عن أن المعاني والأفكار التي عبّر عنها الشعراء في حديثهم عن الخيل جاءت ضمن قصائد وأبيات جميلة التعبير ودقيقة التصوير، وقد انقسمت هذه القصائد والأبيات إلى قسمين : القسم الأول يتمثل في الحديث عن الخيل ضمن قصائد مستقلة، جاءت لتؤكد على أهمية هذا الحيوان في حياة الإنسان الأندلسي مع استقصاء وتفصيل في صفات الخيل وألوانها وعاداتها، مما يوحي بأن الخيل ركن أساسي من أركان الحياة الأندلسية في عصري الطوائف والمرابطين .

أما القسم الثاني فيتمثل في الحديث عن الخيل ضمن موضوعات الشعر الأخرى، مما يؤكد أهمية هذا الحيوان حيث جعله الشعراء وسيلة وأداة إلى تحقيق الموضوع الرئيس، وقد حددت الدراسة الأغراض الأدبية التي تناولت الخيل ووصفها، وكان من أبرزها المديح والرثاء والغزل وشعر الحرب وشعر الطبيعة، حيث ظهر أن وصف الخيل ذات صلة قوية مباشرة بهذه الأغراض، وقد وضحت الدراسة كل غرض من هذه الأغراض وأوردت العديد من الشواهد الشعرية على كل غرض، وحللت نفسية الشاعر، والبيئة والظروف المحيطة به، على شيء من التحليل والمناقشة وإبداء الآراء الشخصية من غير إدعاء أو تعنّت .

وعلى أية حال ليس غريباً أن نقول بعد هذا كله أن معالجة الشعراء الأندلسيين للخيل على النحو الذي ذُكر يعدُّ من أهم دلالات براعة الشاعر الأندلسي وموهبته الفنية، ومقدرته الأدبية في استعارة صفات الخيل لصفات الإنسان الذي يمدحه ويتغنى بمآثره أو يتغزل بمن يحب أو يرثي من فقد . كما تكشف هذه المعالجة عن براعة الشاعر الأندلسي وقدرته على المزج بين الخيل وعناصر الطبيعة الأخرى، وقدرته على جعل الخيل وسيلة لاستنهاض الهمم والعزائم إذا ما اشتعلت نار الحرب وحمي وطيسها .

كما كشفت الدراسة عن صورة الخيل الحسية والمعنوية، حيث استقصت صفات هذه الخيل الحسية وتناولت وصف أعضاء الجواد عضواً عضواً، وعرضت لما يستحبه الأندلسيون في كل عضو، ثم أوردت أوصافهم فوجدت أنها متفقة في كثير منها، وتبين أن الشعراء الأندلسيين لم يصفوا أعضاء الخيل بصورة منظمة اعتمدوا فيها طريقة التسلسل المرتب، فلم يبدأوا بوصف وجه الحصان مثلاً، ثم ينتقلوا إلى وصف عينيه وغرته، مروراً بمتنه أو قوائمه، وأخيراً ينتهون بالحديث عن ذيله وحوافره . فالشعراء الأندلسيون في عصري الطوائف والمرابطين جاء وصفهم لأعضاء الخيل عفوياً وعرضياً، ينقصه الترتيب والتنظيم في عرضها، وبإمكان القارئ أن يحذف أو يقدم أو يؤخر بيتاً على بيت أو وصفاً على آخر دون أن يحدث أيّ تغيير في البناء الشعري أو التركيب الفني .

وقد وصف الشعراء الخيل بشكل عام وبينوا قوتها وضخامتها والمفضل منها، وكانوا يفتخرون بأصولها وسلالاتها فهي من سلالات خيل العرب الأوائل ، وقد تبين أن هذه الصفات لا تتجاوز صفات خيل العرب في المشرق، وبين الشعراء صفات الخيل المعنوية فأشاروا إلى كرمها وحسن أصلها ومساعدتها لمن يركبها، فهي تشعر كما يشعر الإنسان وتتصف بصفاته من كرم ومروءة ونجدة .

وقد كشفت الدراسة من خلال النظر في دراسة الصورة الفنية للخيل بما احتوته من عناوين دالة على موضوعات مختلفة تتعلق بدراسة أركان صورة الخيل ودراسة مصادرها ودراسة الألفاظ، كشفت للمتأمل عن مدى الثقافة الواسعة التي امتاز بها الشاعر الأندلسي مع خيال واسع ممتد وفكر متوقد ينزع إلى التجديد، مع ذوق رفيع استطاع أن يخرج نصوصاً شعرية تعدّ لوحات فنية بارعة مؤثرة في نفس كل أديب متذوق .

لقد جاءت الصور التي جادت بها قرائح الشعراء وهم يصفون الخيل دقيقة وجميلة، متشابهة في بعضها متقاربة في ألفاظها وتراكيبها، حيث تتكرر الصورة ذاتها أحياناً عند الشاعر الواحد مع بعض الاختلاف البسيط .

وقد توصلت الدراسة إلى أن هذه الصور تقوم على ثلاثة عناصر هي الصوت واللون والحركة، فقد رسم الشعراء صوراً لخيلهم تنبض بهذه العناصر فهي تتألم

وتفرح وتبكي وتصهل، كل ذلك بصمت وإشارات وأصوات يعيها كل من يديم معاشرة الخيل، وذلك من أدق الأشياء . ومن هنا فقد بينت الدراسة أن شعراء الأندلس في فترة الطوائف والمرابطين كانوا ملاحظين دقيقين للخيل؛ لذا جاءت صورهم مبينة لألوان تلك الخيل وأصواتها وتحركاتها، فارتسمت تلك الصور كأنها لمن يقرأها خيل ماثلة أمامه .

وقد كشفت الدراسة عن مصادر صور الخيل عند الأندلسيين، وكان من أبرزها البيئة الأندلسية الفاتنة التي تعدّ مصدراً لا ينضب لكل نوع من أنواع الفنون والآداب. وأشارت الدراسة إلى صلة البيئة الأندلسية بالخيل وكيفية التعبير عنها بوضوح وسهولة، وأكدت تعلق الإنسان الأندلسي ببيئته وحبه لوطنه وإعجابه بمشاهده ومفاتنه، وبذلك فقد مزج الشعراء بين أوصاف هذه البيئة وعناصرها المختلفة وأوصاف الخيل، فجاءت صور الخيل مأخوذة من هذه البيئة .

وكان الموروث الثقافي بشقيه الديني والأدبي من المصادر الرئيسية لصور الخيل عند الأندلسيين؛ ذلك أن القرآن الكريم مصدر مهم؛ لذا فإنه لابدَّ للشعراء في حديثهم عن الخيل أن يتأثروا بمعاني القرآن الكريم وصوره، وللسنة النبوية والدين الإسلامي بشكل عام دور مهم في تصوير الأندلسيين لخيلهم، فقد استقوا العديد من صورهم من هذا الدين العظيم .

ولم يكن الشعر المشرقي بعيداً عن صور خيل الأندلسيين، فهم يسيرون على خطى المشارقة في نسجهم للصور الخيلية، فيقلدون شعراء المشرق ويوظفون صورهم وألفاظهم ومعانيهم فيما يقولون من شعر يرسمون به لوحات فنية لخيلهم.

هذا بالإضافة إلى تجارب شعراء الأندلس الذاتية، فهم يسعون لرسم صور لخيلهم خاصة بهم، يبدعون بها وربما كانت موجودة عند المشارقة ولكنها عندهم جاءت بأسلوب جديد مبتكر لم يسبق له أحد، فالأندلسيون بارعون في تصوير خيلهم، يعكس هذا التصوير تجاربهم الخاصة التي يلتزمون الصدق فيها والقوة في التعبير عنها .

وبينت الدراسة الخصائص الرئيسية لصور الخيل، ومنها السهولة والوضوح، فالمتأمل لتلك الصور يدرك أنها سهلة واضحة في معظمها، تبتعد عن الغريب والإيغال في المعاني العميقة، ومع ذلك فهي معبرة ودقيقة .

أما الألفاظ فقد قلل الأندلسيون من استعمال الألفاظ الوحشية التي تنافي الذوق الأدبي العربي وتجافي الطبع، واختاروا ألفاظاً قادرة على التعبير عن المعاني الملائمة، حتى شكلوا معجماً خاصاً للألفاظ التي يتحدثون بها عن الخيل، ومنها ما يدل على الضخامة والطول والارتفاع، ومنها ما يدل على ألوان الخيل وسرعتها وخفة حركتها .

ومن خصائص صور الخيل عند الأندلسيين في عصر الدراسة دقة التصوير وجمال التعبير، فصورهم تمتاز بالجمال وحسن التعبير الذي قلما يوجد في أشعار أخرى؛ ذلك أن الشاعر الأندلسي يمتلك موهبة ومقدرة على التعبير واستنباط المعاني بالخيال الواسع من غير تكلف أو تصنع؛ لذا جاءت صورهم مؤثرة في السامعين والقارئين، ومرآة صادقة معبرة عن الشخصية الأندلسية والبيئة المحيطة بها بكل ما تحويه من عناصر ومقومات .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت370هـ/ 980م)، 1961م، **المؤتلف والمختلف**، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (د.ط)، القاهرة .

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله أبي بكر القضاعي (ت652هـ/1259م)، (د.ت)، **الحلة السيراء**،ج2، تحقيق حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة .

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت652هـ/ 1259م)، 1989م، **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت .

أبو إسحاق الإلبيري، إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الإلبيري (ت460هـ/1067م)، 1991م، **الديوان**، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق .

الأسدي، بشر بن أبي خازم (ت22 ق.هـ/ 601م)، 1972م، **الديوان**، تحقيق عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق .

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/ 966م)، (د.ت)، **الأغاني**، ج21، طبعة دار الكتب المصرية .

الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن حامد بن عبدالله عماد الدين (ت597هـ/ 1200م)، (د.ت)، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ق4، ج2، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبدالعظيم، (د.ط)، دار نهضة مصر، القاهرة .

ابن الأعرابي، أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي (ت231هـ/ 845م)، 1978م، **أسماء خيل العرب وفرسانها**، رواية أبي منصور الجواليقي، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت .

الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة (ت525هـ/1130م)، 1989م، **الديوان**، تحقيق إحسان عباس، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت .

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن آكل المرار (ت80 ق.هـ/ 544م)، (د.ت)، **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، دار المعارف، مصر .

بالنثيا، آنخل، 1955م، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية .

بدوي، عبده، 1973م، **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر**، (د.ط)، وزارة الثقافة والإعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

برس، جروس، 1989م، **الحصان العربي الأصيل**، ترجمة قبلان غلوب، ط1، طرابلس، ليبيا.

ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت542هـ/1147م)، 1975م، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس .

بشار بن برد، أبو معاذ بشار بن برد العُقيلي (ت167هـ/ 783م)، (د.ت)، **الديوان**، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت .

د.ر. بلاشير، 1984م، **تاريخ الأدب العربي**،ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط2، دار الفكر، دمشق .

بلبع، عبدالحكيم، 1969م، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، ط2، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة .

بهجت، منجد مصطفى، 1986م، **الإتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي الطوائف والمرابطين**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت .

بهجت، منجد مصطفى، 1988م، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة (92_ 897هـ)**، (د.ط)، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق .

بهنام، هدى شوكت، 2000م، **مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي**، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .

بيريس، هنري، 1988م، **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، ملامحه وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة .

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ/ 845م)، 1964م، **الديوان بشرح الخطيب التبريزي**، م1، م3 تحقيق محمد عبده عزام، (د.ط)، دار المعارف، مصر .

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، 1968م، **الحيوان**، ج7، تحقيق عبدالسلام هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة .

الجزائري، محمد بن الأمير عبدالقادر الجزائري الحسني، 1985م، **نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد**، ط2، دار الفكر، دمشق .

حاوي، إيليا، 1978م،**فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، ط2، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت .

ابن الحداد، أبو عبدالله بن الحداد القيسي الأندلسي (ت480هـ/ 1087م)، 1990م، **الديوان**، تحقيق يوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن حمديس، عبدالجبار بن حمديس الصقلي (ت527هـ/ 1132م)، (د.ت)، **الديوان**، صححه وقدم له إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت .

حميد، بدير متولي، 1964م، **قضايا أندلسية**، (د.ط)، دار المعرفة، القاهرة .

الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت488هـ/1095م)، 1996م، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، (د.ط)، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم (ت723هـ/ 1323م)، 1975م، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت .

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي الإشبيلي (ت529هـ/ 1134م)، 1983م، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت .

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان القيسي الإشبيلي(ت529هـ/ 1134م)، 1989م، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، حققه وعلق عليه حسين خريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء .

خضر، حازم عبدالله، 1987م، **وصف الحيوان في الشعر الأندلسي**، (د.ط)، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .

الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن محمد الحسن (ت502هـ/ 1108م)، 1964م، **شرح القصائد العشر**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، القاهرة .

ابن خفاجة، أبو اسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي (ت533هـ/ 1138م)، 1979م، **الديوان**، تحقيق سيد غازي، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية.

خوري، نجيب، 1962م، **الخيل وفرسانها**، (د.ط)، المطبعة الأنطوانية، لبنان .

خير الدين الزركلي، 1961م، **الأعلام**، ج1، ج3،ج21، ط6، دار العلم للملايين، بيروت.

الدّاية، محمد رضوان، 2000م، **في الأدب الأندلسي**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق .

ابن دراج القسطلي، أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي (ت421هـ/ 1030م)، 2004م، **الديوان**، تحقيق محمود علي مكي، ط2، منشورات جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت .

الدّقاق، عمر،(د.ت)، **ملامح الشعر الأندلسي**، (د.ط)، دار الشروق العربي، بيروت .

ذعدور، اشرف علي،(د.ت)، **الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي**، (د.ط)، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة .

الربيعي، أحمد حاجم، 2001م، **القصص القرآني في الشعر الأندلسي**، (د.ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد .

ابن رشيق القيرواني، الإمام أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت463هـ/ 1070م)، 1981م، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج2، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط5، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت .

الركابي، جودت، 1970م، **الطبيعة في الشعر الأندلسي**، ط2، مكتبة أطلس، دمشق، مطبعة الترقي .

الركابي، جودت، 1966م، **في الأدب الأندلسي**، ط2، دار المعارف، مصر .

ابن الزقاق البلنسي، أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف اللخمي (ت528هـ/1133م)، 1989م، **الديوان**، تحقيق عفيفة محمود ديراني، ط1، دار الثقافة، بيروت .

ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن زيدون (ت463هـ/ 1070م)، 2004م، **الديوان**، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، ط3، منشورات جائزة عبدالعزيزسعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت .

سارتر، جان بول، 1961م،**ما هو الأدب**، ترجمة محمد غنيمي هلال، (د.ط)، الأنجلو المصرية، القاهرة .

ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/ 1286م)، 1978م، **رايات المبرزين وغايات المتميزين**، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق .

ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/ 1286م)، (د.ت)، **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ج2، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة .

السّعيد، محمد مجيد، 1972م، **الشعر في ظل بني عبّاد**، ط1، مطبعة النعمان، النجف الأشرف .

السّعيد، محمد مجيد، 1985م، **الشعر في عهد المرابطين والموحدين**، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت .

السّعيد، محمد مجيد، 1978م، **شعر ابن بقي القرطبي**، حياته وشعره، مجلة المورد العراقية م7،ع1، رقم32 .

سلامة، إبراهيم،(د.ت)، **بلاغة أرسطو بين العرب واليونان**، ط2، القاهرة .

سلامة، علي محمد، 1989م، **الأدب العربي في الأندلس**، تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت .

الشّايب، أحمد، (د.ت)، **الأسلوب**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .
الشّكعة، مصطفى، 1973م، **الأدب الأندلسي**، موضوعاته وفنونه، ط5، دار العلم للملايين، بيروت .
شلبي،سعد إسماعيل، 1978م، **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر**، (د.ط)، عصر الطوائف، دار نهضة مصر، القاهرة .
شيخة، جمعة، 1994م، **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي**، ج1، ج2، ط1، المطبعة المغاربية، تونس .
الصالحي، عباس مصطفى، 1981م، **الصيد والطرد في الشعر العربي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت .
أبو الصّلت، أمية بن عبدالعزيز الأندلسي (ت529هـ/ 1134م)، 1990م، **الديوان**، ط1، تحقيق عبدالله الهوني، دار الأوزاعي، الدوحة .
أبو الصّلت، أمية بن عبدالعزيز الدّاني (ت529هـ/ 1134م)، 1974م، **الديوان**، تحقيق محمد المرزوقي، (د.ط)، دار الكتب الشرقية، تونس .
الضّبي، أحمد بن يحيى (ت599هـ/ 1202م)، 1967م، **بغية الملتمس في تاريخ الأندلس والمغرب**، (د.ط)، دار الكتاب العربي، القاهرة .
الضّبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي (ت168هـ/ 784م)، (د.ت)، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط4، دار المعارف، مصر .
ضيف، شوقي، 1971م، **فصول في الشعر ونقده**، (د.ط)، دار المعارف، مصر .
طه، عبدالواحد زنون، 1987م، **دراسات في التاريخ الأندلسي**، ط1، (د.ن) .
طويل، يوسف، 1991م، **مدخل في الأدب الأندلسي**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت .
العاني، محمد شهاب، 2002م، **أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح إلى سقوط الخلافة**، ط1، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .

ابن عبدربه، أبو عمر بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت328هـ/ 939م)، 1965م، **العقد الفريد**، ج1، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط3، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة .

عبدالمجيد بن عبدون، عبدالمجيد بن عبدون اليابري الفهري (ت529هـ/ 1134م)، 1988م، **الديوان**، الشعر والنثر مع دراسة لأدبه، إعداد وتحقيق وتأليف سليم التنير، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق .

عتيق، عبدالعزيز، 1976م، **الأدب العربي في الأندلس**، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت .

ابن عِذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عِذاري (كان حياً عام 712هـ/ 1312م)، 1983م، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج2، ج3، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت .

عصفور، جابر، 1992م، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء .

عنترة بن شداد، عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي (ت22 ق.هـ/601م)، 1968م، **الديوان**، تحقيق فوزي عطوي، ط1، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت .

عيّاط، حامد كسّاب، 1983م، **أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية .

غومس، إميليو غرسيا، 1956م، **الشعر الأندلسي**، بحث في تطوره وخصائصه، ترجمة حسين مؤنس، ط2، مكتبة النهضة المصرية .

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/ 889م)، 1964م، **الشعر والشعراء**، ج1، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت .

القرطبي، أبو مروان حيان بن حيان، 1983م، **المقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت .

قطب، سيد، 1980م، **التصوير الفني في القرآن**، ط6، دار الشروق، بيروت .

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/ 1418م)، 1987م، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج2، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، ط1، نسخة عن نسخة دار الكتب المصرية، دار الكتب العلمية، بيروت .

القيسي، فايز، 1989م، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان .

القيسي، نوري، 1964م، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، (د.ط)، منشورات مكتبة النهضة، بغداد .

ابن الكتاني، أبو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (ت420هـ/ 1029م)، 1986م، **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق إحسان عباس، ط3، دار الشروق، بيروت .

كعب بن مالك الأنصاري، كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري الخزرجي (ت50هـ/ 670م)، (د.ت)، **الديوان**، تحقيق سامي مكي العاني، (د.ط)،عالم الكتب، بيروت .

ابن اللبانة الدّاني، أبو بكر محمد بن عيسى (ت507هـ/ 1113م)، 1977م، **شعر ابن اللبانة الدّاني**، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، (د.ط)، منشورات جامعة البصرة .

لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد السلماني (ت776هـ/ 1374م)، 1977م، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج4، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة .

لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد السلماني (ت776هـ/ 1374م)، 1956م، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، طبعة بيروت .

مؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن الثامن الهجري، 1979م، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكّار وعبدالقادر زمامة، (د.ط)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء .

مؤلف مجهول، 1989م، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت .

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ/ 965م)، 1986م، **شرح ديوان المتنبي**، ج3، ج4 عبدالرحمن البرقوقي، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت .

المحاسني، زكي، (د.ت)، **شعر الحرب في أدب العرب**، ط2، دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية .

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت346هـ/ 957م)، 1988م، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج2، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت .

الإمام مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/ 874م)، (د.ت)، **صحيح مسلم**، ج2، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

المعتمد بن عبّاد، أبو القاسم محمد بن عباد (ت488هـ/ 1095م)، 1997م، **الديوان**، تحقيق حامد عبدالمجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة .

المعرّي، أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي (ت449هـ/ 1057م)، 1990م، **سقط الزند**، شرحه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن مقبل، تميم بن أبي بن مقبل (ت37هـ/ 657م)، 1962م، **الديوان**، تحقيق عزة حسن، (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق .

المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني المغربي (ت1041هـ/ 1631م)، 1998م، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، م1، تحقيق عبدالسلام الهراس وسعيد أحمد عراب، (د.ط)، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية .

المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني المغربي (ت1041هـ/ 1631م)، 1940م، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ج3، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، (د.ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .

المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، 1988م، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت .

ملتون، روستريفور، 1963م، **الشعر والتأمل**، ترجمة محمد مصطفى بدوي، (د.ط)، الدار القومية العربية، القاهرة .

منصور، حمدي، 2003م، **الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين**، ط1، دار الجوهرة، عمان .

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت711هـ/ 1311م)، (د.ت)، **لسان العرب**، (د.ط)، دار صادر، بيروت .

نشأت، كمال، 1970م، **في النقد الأدبي**، دراسة وتطبيق، (د.ط)، مطابع النعمان، النجف الأشرف .

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني (ت18 ق.هـ/ 605م)، 1967م، **الديوان**، جمع وشرح وتعليق محمد الطاهر بن عاشور، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .

النجار، عبدالوهاب،(د.ت). **قصص الأنبياء**، ط3، مكتبة النهضة العربية،.

ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبدالرحمن بن هذيل (ت بعد سنة 763هـ/ 1361م)، 2001م، **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، ط1، مركز زايد للتراث، الإمارات، العين .

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت395هـ/ 1004م)، (د.ت)، **ديوان المعاني**، ج2، عن نسخة الإمامين محمد عبده والشيخ محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني، (د.ط)، مكتبة القدسي، القاهرة .

هلال، محمد غنيمي، 1982م، **النقد الأدبي الحديث**، ط1، دار العودة، بيروت .